المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإ
قسم الدراسات العليا التاريخية و





الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب

عبد الحفيظ بن حمدي بن حامد السالمي

إشراف

الأستاذ الدكتور / ضيف الله بن يحيى الزهراني

العام الجامعي ١٤٢٤/ ١٤٢٥هـ

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تناولت هذه الرسالة موضوع الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي الذي بدأ سنة ٦٤٨هـ إلى سنة ٩٢٣هـ. وقد اشتملت الرسالة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول. تناول الفصل الأول العمارة الدينية في مكة المكرمة واشتمل على أربعة مباحث. تناول المبحث الأول الإصلاحات التي تمت في بناء الكعبة المعظمة وأروقة المسجد والحجر والمنائر والمقامات. أما المبحث الثاني فقد ناقش بناء المدارس والأربطة والمواضي والأسبلة التي تمت في ذلك العصر مع بيان لمنشئيها ونظم الدراسة والسكن والتمويل لبقائها. أما المبحث الثالث فقد ناقش العمارة في منى وعرفة والترميم والإصلاح للمساجد والمنشآت الأخرى. أما المبحث الرابع فقد ناقش كسوة الكعبة المعظمة والاهتمام بها وتجهيزها وتمويلها وحرص الدولة على الانفراد بها وماتم من كسوة للحجر الشريف.

أما الفصل الثاني: فاشتمل على الوظائف في مكة المكرمة، وقد احتوى على ستة مباحث: المبحث الأول: ناقش موضوع الإمامة والخطابة في المسجد الحرام من تعيين وعزل ومقدرة علمية وتعدد للأمة وتنافس على المنصب. أما المبحث الثاني فقد ناقش وظائف القضاء والإفتاء والسدانة من جوانب التعيين والتعدد والتنافس على المناصب وأشهر موظفيها ومهام كل منهم. ويناقش المبحث الثالث وظائف الأذان والبوابة والطوافة من حيث تعيين أصحابها ومكانتهم العلمية وأشهر الأسر التي تولت هذه الوظائف ونشوء الطوافة في العصر المملوكي وتدرجها. ويناقش المبحث الرابع السقاية في المسجد الحرام مع ذكر نبذة مختصرة عن نشوئها ومكان تواجدها واهتمام الدولة بها وأشهر الأسر التي تولت هذه المهمة. ويناقش المبحث الخامس نظارة الحرم الشريف من حيث تعيين الناظر وبداية هذه الوظيفة وأشهر من تولوا هذه الوظيفة مع مناقشة لأهم أعمالهم. ويناقش المبحث السادس الحسبة في مكة مع عرض لأشهر من تولوا الحسبة ونشوء هذه الوظيفة مع مناقشة لأهم أعمال المحتسب.

أما الفصل الثالث: فاشتمل على مناقشة العلوم التي كانت تدرس بالمسجد الحرام والمدارس المحيطة به وقد احتوى على أربعة مباحث. المبحث الأول ناقش تعليم القرآن الكريم وعلومه مع ذكر لكيفية التعليم ووقته وأشهر المقرئيين. ويناقش المبحث الثاني تعليم الحديث الشريف مع استعراض لأشهر كتب الحديث التي كانت تدرس وأشهر المحدثين مع ذكر للدروس المقامة لتدريس الحديث من المتبرعين. ويناقش المبحث الثالث تعليم الفقه وعلومه وعلم المواريث مع استعراض لأشهر الفقهاء والدروس التي أقيمت لتدريسه وأشهر من برز في علم الفقه والمواريث. يناقش المبحث الرابع علم اللغة العربية وتعليمها والاهتمام بها وأشهر علمائها مع ذكر المؤلفات التي ألفت لتبسيط تعلمها بالإضافة لتعليم التاريخ وأشهر المؤرخين مع ذكر الكتب التي كانت تدرس آنذاك.

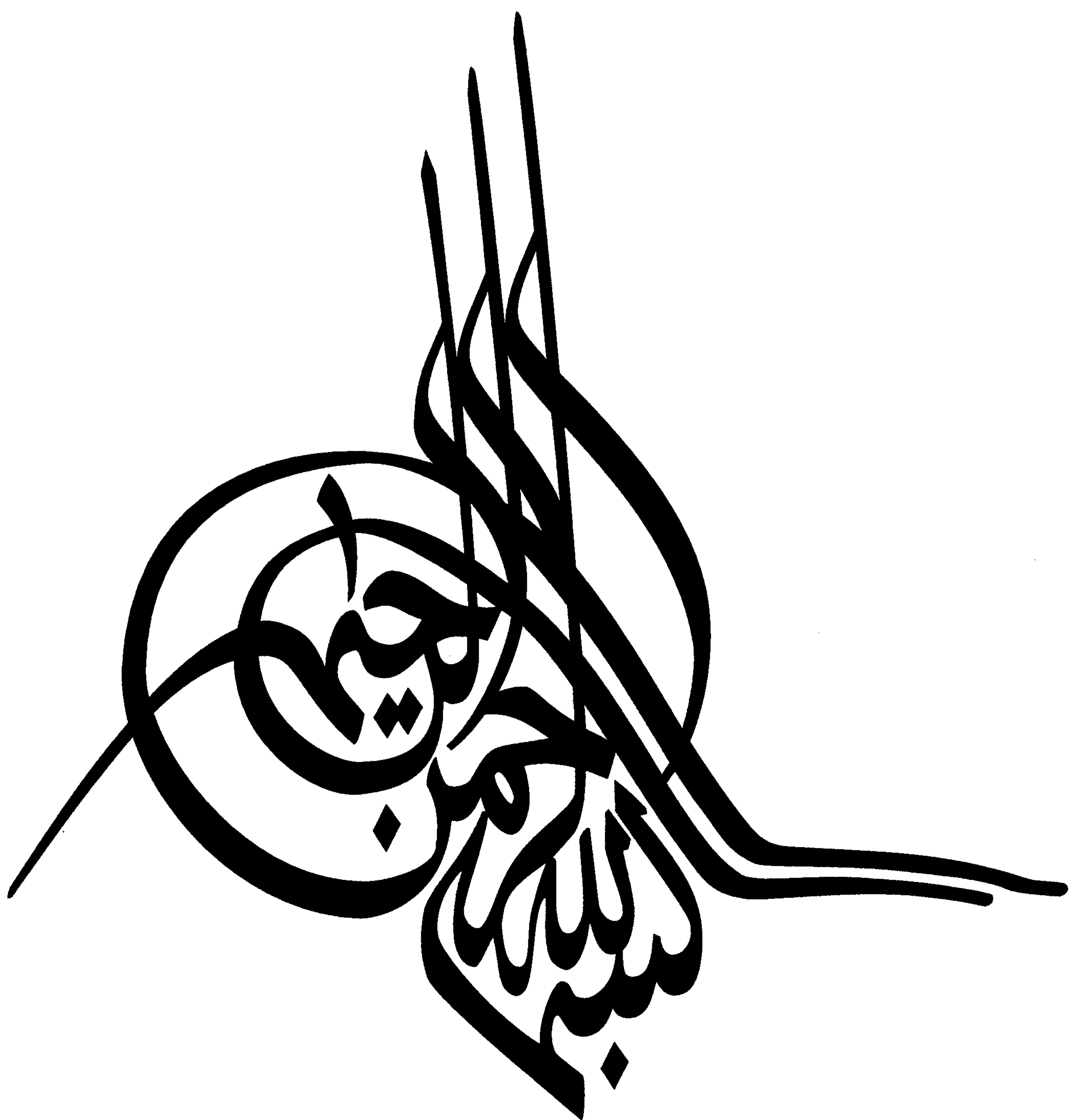
أما الفصل الرابع فاشتمل على مناقشة المظاهر الدينية المشروعة وغير المشروعة التي كانت تمارس في مكة حيث ضم خمسة مباحث. المبحث الأول ناقش الاهتمام بالحج وما قامت به الدولة من جهود لتيسيره للمسلمين. والمبحث الثاني ناقش الاحتفال بدخول شهر رمضان المبارك وعيد الفطرومظاهر هذه الاحتفالات وما يتم فيها من ممارسات والدعاء للحاكم من على قبة زمزم . والمبحث الثالث ناقش ظاهرة التصوف من جانب أشهر مشايخها وما نتج عنها من اعتقادات وممارسات غير صحيحة انتشرت بين الناس. والمبحث الرابع ناقش ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي وطريقة الاحتفال به وما يتم من ممارسات في الاحتفال به ومشاركة أصحاب السلطة والعلماء فيه. ويناقش المبحث الخامس بعض المظاهر الأخرى مثل أناشيد المؤذنين في المسجد الحرام والطواف بالميت قبل دفنه وقراءة القرآن عند القبور وما حدث من بدع في الكعبة المعظمة مع استعراض لموقف العلماء لهذه المظاهر و إبطالها. أما الخاتمة فقد ذكر فيها أهم النتائج للبحث ومنها:

١ـ اهتمام سلاطين المماليك بأمر المسجد والكعبة المعظمة من جميع النواحي.

٢ـ اهتمام سلاطين المماليك بالعلم وأهله من علماء وطلبة فحرصوا على وجوده واستمراره.

٣ـ عدم تدخل سلاطين المماليك في بعض الأمور الدينية بل تركوا الأمر كما ورثوه من الدولة الأيوبية.

الطالب /	المشرف على الرسالة /	رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية /	عميد كلية الشريعة /
عبدالحفيظ بن محمد ...	أ.د/ يوسف ...	أ.د/ عبدالله بن سعيد الغامدي	د/ عابد بن محمد السفياني
		١٤٢٥/٢/٢١هـ	


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله وحده حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه الذي أعانني على إتمام هذا العمل حتى يخرج في صورته النهائية.

كما أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لسعادة الأستاذ الدكتور ضيف الله بن يحيى الزهراني الذي قدم لي الكثير من علمه ووقته وجهده في مساعدتي على إخراج هذا العمل وذلك بكرمه الفياض حيث لم يبخل عليّ في كل أوقاته في سفره وإقامته وذلك بتقديم الآراء العلمية الصائبة والتوجيهات الإشرافية الواعية، حرصاً من سعادته على خدمة العلم وتسهيل بلوغه لطلابه فجزاه الله كل خير وأعظم له الأجر في الدنيا والآخرة.

كما أشكر سعادة رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية والشكر موصول لسعادة عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالجامعة.

كما أشكر جميع من ساعدني في إخراج هذا العمل واسأل الله لهم حسن الجزاء.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الإهـداء

إلى والديّ الكريمين اللذين حببا إليّ طلب العلم، وكانا نوراً أنار قلبي ودربي.

إليكما يا من غرستما في قلبي أن العلم أثمن شيء في الحياة يسعى الإنسان لطلبه.

إليكما أهدي هذا العمل المتواضع، والذي آمل أن أرى على محياكما علامات الرضى واسأل الله أن يجزيكما خير الجزاء.

المقـــدمة:

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على سيد المرسلين   وبعد:

لقد شرّف الله عز وجل مكة المكرمة فجعلها قبلةً للمسلمين ، ومهبطاً للوحي ومهوى أفئدة المسلمين ، وأحب البقاع لرب العالمين ورسوله الأمين ، وعند الحديث عن مكة المكرمة يتبادر إلى الذهن الحديث عن تاريخها الديني ، وذلك أن بداية نشأت هذه المدينة بداية دينية بأمر الله عز وجل حيث اختارها الله مقراً لبيته العتيق ومبعثاً لخاتم رسله محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وعلى مر العصور كان الاهتمام بمكة من جميع النواحي أمراً محبباً لدى الجميع من المسلمين وقد كانت الحكومات التي تتنافس على زعامة العالم الإسلامي ترغب في الإشراف على مكة المكرمة إشرافاً مباشراً وذلك للبروز على مستوى العالم الإسلامي لما لمكة من مكانة في قلوب المسلمين، فمن يهتم بمكة ينال إعجاب واحترام العالم الإسلامي.

هذا ومن الدول التي اهتمت بالإشراف على مكة المكرمة دولة المماليك التي قامت عام ٦٤٨هـــ واستمرت إلى عام ٩٢٣هـــ وقد اهتمت دولة المماليك بمكة المكرمة وشمل اهتمامها جوانب متعددة منها الجانب الديني الذي تمثل في العمارة الدينية والإشراف عليها، والتنظيم الإداري الديني الذي شمل عدة وظائف دينية كانت الدولة تقوم برعايتها ...الخ .

ولذ أخذت هذه الدراسة الجانب الديني في عصر هذه الدولة تحت مسمى: (الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ٦٤٨ ـــ ٩٢٣هـــ) هذا وقد كانت أهمية الناحية الدينية لمكة المكرمة تفوق كل ناحية حيث أن كل ما يتم بمكة المكرمة من جميع الوجوه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالناحية الدينية حيث يهيمن التوجه الديني على جميع الأعمال فالعمارة العامة بمكة ترتبط بالناحية الدينية مثل الإصلاحات بالمسجد الحرام والمساجد في المشاعر المقدسة بالإضافة لعمارة الأربطة والمواضي وغيرها وكذلك المجال العلمي والتنظيمي من قبل الدولة وذلك لما لمكة المكرمة من مكانة خاصة عند جميع المسلمين شعوباً وحكومات أفراداً وجماعات.

وكان لتعدد وجوه الناحية الدينية خلال العصر المملوكي من عمارة دينية اهتم بها أُولي الأمر وبعض الموسرين من أهل الخير ، واجتماع العلماء بهذه البقعة الطاهرة وظهور الإبداع الفكري والثقافي وتعدد وجوهه ، والعاطفة الدينية لدى البعض من المسلمين مما أدى إلى ظهور ممارسات ليس لها سند ديني من الكتاب والسنة وإثراء هذا العصر بالمادة العلمية التي تميز هذا العصر عن غيره من العصور، مع ما صاحب العصر المملوكي من ظهور بوادر الحصار الصليبي للعالم الإسلامي من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية تمثل في السيطرة على البحار بظهور البرتغاليين في مياه المحيط الهندي وقربهم من الديار المقدسة وتهديدها وقد شهدت مكة المكرمة في هذه الفترة من عام ٦٤٨هـ إلى ٩٢٣ العديد من الصور الدينية التي كان لحكومة المماليك دوراً كبيراً في عدد من جوانبها وإن الدراسات التاريخية والحضارية السابقة لمكة المكرمة في هذا الجانب تعتبر قليلة إلى حد ما نظراً لما شهدته هذه المدينة المقدسة من ثروة حضارية دينية شملت جميع جوانب الحياة أثرت فيها عدة مؤثرات من أهمها التمازج السكاني في مكة المكرمة بين أعداد كبيرة من الناس من مختلف أقطار العالم الإسلامي.

لذا كانت الدراسات التي ناقشت هذه الفترة تأخذ جانباً واحداً من هذه الجوانب المتعددة في المجال الديني وجزءاً محدداً من هذه الفترة ، لذا كانت هذه الدراسة تحاول مناقشة جميع الجوانب الدينية لمكة المكرمة في العصر المملوكي ، مع أن تاريخ مكة الكبير يحتاج إلى دراسات كثيرة جداً لما لهذه المدينة من سجل تاريخي يتفوق على جميع مدن العالم.

وقد تميزت هذه الفترة أيضاً بظهور تنافس حاد على زعامة العالم الإسلامي بين المماليك في مصر والرسوليين في اليمن وحكومة المغول الإخانية في العراق كانت مكة تشكل جوهرة التفوق بين هذه الوحدات السياسية.

هذا وقد كانت الأسباب الداعية لاختيار هذا الموضوع للبحث والدراسة ما يلي:

١ـــ بيان ما قامت به حكومة المماليك الإسلامية من جهود مباركة في عمارة المسجد الحرام شملت التجديد تدل على حب المماليك للأماكن المقدسة وحرصهم على تقديم أفضل الخدمات للحرم المكي الشريف.

٢ـــ توضيح ما قدمته حكومة المماليك وبعض الموسرين من جهود مباركة في عمارة المشاعر المقدسة في مني وعرفات شملت الترميم والإصلاح وعمارة المباني الخيرية.

٣ـــ بيان مساهمات حكومة المماليك وبعض أهل الخير في العمل على استمرار انتشار التعليم بمكة المكرمة حيث شملت العمارة والإنفاق على المرافق التعليمية.

٤ـــ بيان النظام الوظيفي لبعض الوظائف الدينية التي كانت قائمة خلال العصر المملوكي

٥ـــ استعراض لبعض العادات الدينية والاجتماعية التي كانت سائدة خلال العصر المملوكي مع بيان موقف الشرع منها.

هذا وقد واجهنا خلال جمع معلومات هذا البحث صعوبات نسأل الله أن يثيبنا على تحملها ومنها:

١ـــ اهتمام بعض المصادر بالناحية السياسية للعصر المملوكي والبعد عن الجوانب الحضارية.

٢ـــ اهتمام بعض المصادر بالكتابة عن موقع الحكومة المركزية لدولة المماليك مع عدم الحديث عن المناطق الأخرى ومنها مكة المكرمة.

٣ـــ عدم الحصول على عدد من التراجم لعدد من الشخصيات لعدم توفر الكتابة عنها في المصادر التي كتبت في هذا العصر.

٤ـــ التشابه في الكثير من أسماء الشخصيات التي عاشت في العصر المملوكي وخصوصاً الشخصيات الدينية والسياسة.

هذا وقد أخذت الدراسة لهذا الموضوع العرض التالي:

الفصل الأول وهو بعنوان: العمارة الدينية في مكة المكرمة.

ويضم أربعة مباحث هي : المبحث الأول بعنوان الإصلاحات في الكعبة المعظمة، المسجد الحرام ، المنائر ، الحجر ، المقامات . ويناقش الجانب المعماري الذي حدث في

العصر المملوكي والذي كانت في مجمله إصلاحات لما حدث للجانب المعماري من تغيير بفعل الزمن وعوامل الطبيعة والزيادات التي حدثت لبعض الجوانب بالمسجد الحرام والتغيير لما يراه أهل البناء أفضل من حيث قدسية المكان فتحرص الدولة على تغييره.

أما المبحث الثاني فهو بعنوان العمارة في بعض المنشآت الدينية كالمدارس والمكتبات والأربطة ، والمواضي والأسبلة . وقد ناقش ما أستحدث من عمارة لهذه المباني خلال العصر المملوكي والدور التي كانت تقوم به .

أما المبحث الثالث فهو بعنوان : العمارة في المشاعر المقدسة في منى وعرفات وقد ناقش ما تمت عمارته في العصر المملوكي من المرافق وإصلاح بعض المباني السابقة بالترميم خدمة لضيوف بيت الله الكريم .

أما المبحث الرابع فهو بعنوان : كسوة الكعبة المعظمة . وقد ناقش اهتمام الحكومة المملوكية بأمر الكسوة وإرسالها إلى مكة المكرمة كل عام والإجراءات التي قامت بها الحكومة المملوكية لاستمرار صناعة الكسوة في أوقات الأزمات المالية التي قد تتعرض لها الدولة ، وكذلك الإجراءات التي تتم لتلبيس الكعبة للكسوة في مكة المكرمة .

أما الفصل الثاني فهو بعنوان الوظائف الدينية في مكة المكرمة . ويضم ستة مباحث هي : المبحث الأول وهو بعنوان الإمامة والخطابة . ويناقش إمامة وخطابة المسجد الحرام خلال العصر المملوكي من حيث التعيين والمكانة العلمية والتنافس على المنصب .

المبحث الثاني وهو بعنوان القضاء والإفتاء والسدانة . ويناقش تولي هذه المناصب في العصر المملوكي من حيث التعيين والمكانة العلمية والمهام التي يقوم بها من يتولى هذه المناصب وما يتقاضاه موظفوها من مرتبات وهبات .

المبحث الثالث . وهو بعنوان : المؤذنون والبوابون والطوافة . ويناقش تولي هذه المناصب من قبل الدولة وما يستحدث فيها من أمور وما يقوم به متقلدوها من أعمال .

المبحث الرابع وهو بعنوان السقاية . ويناقش أمر السقاية في المسجد الحرام لزواره من حجاج ومعتمرين ومصلين وما يقوم به متقلدوها من عمل في المسجد الحرام والمكان الذي به السقاية .

المبحث الخامس وهو بعنوان : نظارة ومشيخة الحرم الشريف . وهو يناقش قيام هذا المنصب وما يقوم به شيخ الحرم من أعمال مع مكانته العلمية التي أهلته لتولي هذا المنصب.

المبحث السادس وهو بعنوان الحسبة . ويناقش وظيفة المحتسب خلال العصر المملوكي بمكة المكرمة والمهام التي كان يقوم بها المحتسب مع ذكر نبذة عن بعض من تولى الحسبة بمكة المكرمة .

الفصل الثالث : وهو بعنوان العلوم الشرعية التي كانت تدرس بالمسجد الحرام ويضم أربعة مباحث وهي :

المبحث الأول : وهو بعنوان القرآن الكريم وعلومه . ويناقش تدريس القرآن الكريم بالمسجد الحرام وتفسيره مع ذكر لطريقة تعليمه ووقتها ، وذكر عدد من علماء القراءات الذين اشتهروا بتعليم القرآن الكريم خلال العصر المملوكي .

المبحث الثاني : وهو بعنوان الحديث الشريف . ويناقش تعليم الحديث الشريف بالمسجد الحرام مع ذكر لعدد من مشايخ علم الحديث في العصر المملوكي وبيان بعض الدروس التي كانت تدرس علم الحديث .

المبحث الثالث : وهو بعنوان : الفقه وأصوله وعلم المواريث . ويناقش تدريس علم الفقه وأصوله بالمسجد الحرام مع ذكر لعدد من مشايخ الفقهاء المسلمين بالمسجد الحرام خلال العصر المملوكي ومناقشة علم المواريث الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الفقه مع ذكر لبعض الفقهاء الذين اشتهروا بهذا العلم .

المبحث الرابع وهو بعنوان : علوم اللغة العربية وبعض العلوم الأخرى ويناقش اهتمام طلبة العلم بعلوم اللغة العربية وآدابها والحرص على تعلمها وتعليمها وبروز عدد من العلماء والأدباء الذين كانوا يدرسونها في المسجد الحرام مع مناقشة لبعض العلوم مثل علم التاريخ واهتمام العلماء بهذا العلم حيث كان مؤرخو مكة في ذلك العصر هم علماؤها مما يدل على أن المسجد الحرام وما كان يحيط به من أربطة ومدارس أكبر جامعة علمية على وجه الأرض.

الفصل الرابع وهو بعنوان : المظاهر الدينية المشروعة وغير المشروعة ويحتوي على خمسة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول وهو بعنوان : الاهتمام بالحج ومشاعره ومنافعه . ويناقش اهتمام الحكومة المملوكية بأمر الحج وتسهيله للمسلمين من جميع أرجاء المعمورة وتمثل في حفظ الأمن في المشاعر والطرق المؤدية إلى مكة المكرمة ، وتوفير ما يحتاجه الحاج من ضروريات.

المبحث الثاني وهو بعنوان : الاحتفال بالعيدين ودخول شهر رمضان المبارك حيث يناقش ما كان يمارسه أهل مكة والمقيمون بها من ممارسات تدل على ابتهاجهم بدخول الشهر الكريم والعيدين التي تعتبر أعظم المواسم الدينية .

المبحث الثالث : وهو بعنوان : ظاهرة التصوف . ويناقش هذه الظاهرة خلال العصر المملوكي مع ذكر لبعض الممارسات الصوفية ، وعدد ممن اشتهر بالتصوف من رجال ونساء .

المبحث الرابع وهو بعنوان : الاحتفال بالمولد النبوي . ويناقش احتفال أهل مكة والمقيمين بها بالمولد النبوي وما يتم من نظام لهذا الاحتفال يبدأ في المسجد الحرام في الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام ، مع بيان الحكم الشرعي لهذه الممارسة .

المبحث الخامس وهو بعنوان : مظاهر أخرى غير مشروعة . ويناقش أناشيد المؤذنين ، والدعاء للحاكم من على قبة زمزم من قبل المؤذنين ، والطواف بالجنائز حول الكعبة لعلية القوم .وما حدث في الكعبة المعظمة من بدع حيث ناقش البحث ظهور هذه الممارسات وما كان يتم بها وأوقاتها وموقف العلماء منها .

هذا وقد اعتمدت في مناقشة مواضيع هذا البحث على عدة مصادر وخاصة تلك التي عاش مؤلفوها في فترة حكم المماليك في مكة المكرمة وخصوصاً ما كتبه" التقي الفاسي " في كتابه ((العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين))، فقد احتوى كتابه على ترجمات لعدد كبير من شخصيات مكة المكرمة من أمراء وعلماء وقادة وأصحاب وظائف . وقد استعرض" التقي الفاسي" لعدد كبير ممن ترجم لهم بمعلومات غزيرة تبدأ بميلاد الشخصية

وتدرجه العلمي والوظيفي ومكانته بين علماء عصره وما شارك به من أعمال مما كان للمادة العلمية التي يحتويها الكتاب أكبر الأثر في إثراء الجوانب العلمية للبحث وقد ابتدأ "التقي الفاسي" في كتابه العقد الثمين بالترجمة لمن سمي من الشخصيات باسم محمد لما لهذا الاسم من مكانة عند المؤلف خاصة والمسلمين عامة حيث اختاره الله سبحانه لتسمية نبيه وخاتم رسله صلى الله عليه وسلم .

ثم استدرج بقية التراجم على حسب حروف المعجم وقد اتسم كتابه بالحديث عن الشخصيات وكل ما يذكر أو يكتب عنهم و لم يقتصر في كتابه على فترة معينة بل كتب عن الشخصيات منذ العهد الجاهلي والنبوي إلى العصر المملوكي الذي عاش فيه حيث توفي عام ٨٣٢هـ و لم يقتصر بالكتابة على فئة معينة من الشخصيات بل كتب عن كل ما يمر عليه من أسماء فكتب عن الأمير والوزير والرجل والمرأة والحر والعبد . وتعد كتاباته عن شخصيات العصر المملوكي من أغزر الكتب مادة علمية في شخصيات هذا العصر .

ومن المصادر التي اعتمدت عليها الكتاب الثاني للتقي الفاسي وهو :

((كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام)). ويعتبر هذا الكتاب الذي يناقش الجانب المعماري لمكة المكرمة وخصوصاً المسجد الحرام وما يحيط به من مدارس وأربطة وقد استفاد البحث من هذا الكتاب خصوصاً في الجانب المعماري للمسجد الحرام والمباني الدينية الأخرى حيث عاش المؤلف جزءاً من العصر المملوكي وشاهد انجازات معمارية في مكة المكرمة منذ عام ٧٧٥هـ إلى عام ٨٣٢هـ

وقد كان نقله دقيقاً للجانب المعماري في هذه الفترة التي عاشها ، كما ناقش في كتابه الناحية الدينية لمكة المكرمة منذ بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة والتطور الحضاري لمكة المكرمة وبناء البيت الشريف والتنازع على السيادة على مكة بن القبائل والأسر .

ومن المصادر التي اعتمدت عليها في مناقشة مواضيع البحث كتاب النجم عمر بن فهد المسمى ((إتحاف الورى بأخبار أم القرى)) والذي عاش في العصر المملوكي من عام ٨١٢هـ إلى عام ٨٨٥هـ وكان أحد علماء مكة المكرمة ومؤرخيها ويعد كتابه هذا من أهم المصادر في تاريخ مكة المكرمة في العصر المملوكي . فقد بدأ كتابه بالحديث عن

ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعثته عليه الصلاة والسلام . وقد بدأ كتابه بالحديث بالسنوات حيث يناقش في كل عام ماتم فيه من أحداث سياسية وعمرانية وإدارية واجتماعية في مكة المكرمة ثم في نهاية حديثه عن العام الذي يكتب فيه يذكر من توفي في من الأعيان بمكة المكرمة حتى انتهى به المطاف إلى عام ٨٨٥هـ حيث توفي رحمه الله. ولهذا كان كتابة من أكثر الكتب بعد الفاسي مادة علمية عن العصر المملوكي من جميع الجوانب الحضارية وقد استفادت الدراسة أيضاً بكتابة الآخر والذي أخذ جانب التراجم وهو كتاب ((الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين)).والذي سلك في تأليفه طريقة شيخه التقي الفاسي فبدأ بالترجمة لمن سمى بمحمد من الأعيان ثم بالترجمة على ترتيب حروف المعجم وقد جمع مادة علمية كبيرة لمن عاصرهم وكان كتابة شاملاً لجميع جوانب الشخصية منذ الولادة والنشأة والتعليم والوظيفة والجهد العلمي والعملي مما أعطى كتابة ثراءً علمياً للفترة التي عاشها، وقد استأنف الترجمة لعدد من الشخصيات التي لم يترجم لها شيخه التقي الفاسي في كتابة العقد الثمين.

ومن المصادر التي استعنت بها كتاب عبد العزيز بن فهد المسمى: ((بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى)) وهو كتاب نهج مؤلفه على الكتابة بالسنوات على نسق كتاب إتحاف الورى الذي ألفه والد الشيخ عبد العزيز حيث ذكر فيه أحداث السنوات التي توقف عندها والده عن التأليف إلى عام ٩٢٢هـ وقد حوى كتاب الشيخ عبد العزيز الكم الكبير من المعلومات عن تاريخ مكة المكرمة الحضاري في هذه الفترة وترجع أهمية الكتاب في أنه حوى جميع ما كان يدور في تلك الفترة من ممارسات حكومية واجتماعية حيث كان يصور الحياة المكية تصويراً دقيقاً وكأن القارئ يعيش تلك الفترة بجميع صورها، بهذا حوى معلومات غزيرة ساهمت في إثراء البحث.

ومن المصادر أيضاً كتاب آخر لعبد العزيز بن فهد وهو كتاب ((غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام)) حيث سلك في هذا الكتاب الترجمة للشخصيات مستعرضاً من تولي حكم مكة من الولاة والحكام منذ العصر النبوي إلى العام الذي مات فيه عام ٩٢٢هـ. هذا ويشمل كتابه تعريف الشخصيات التي تولت حكم مكة في العصر المملوكي موضحاً

كل ما جرى من أحداث حضارية وفرت مادة علمية غزيرة لأنه يصور هذه الأحداث التي عاشها تصويراً دقيقاً.

ومن المصادر التي استعانت بها هذه الدراسة كتاب: ((الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)) لمؤلفه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي وهو كتاب قيم حوى العديد من التراجم لشخصيات كثيرة انفرد بالترجمة عنها خصوصاً الشخصيات التي كانت لها علاقة بالدولة المملوكية في مصر وأسهمت بدور حضاري في مكة المكرمة وخصوصاً الشخصيات التي من أصل تركي، وقد اتسم أسلوبه بالشمولية في حديثه عن الشخصيات والإشادة بمن كتب عن الشخصيات التي يتحدث عنها من المؤلفين المعاصرين والسابقين له.

كما استعانت هذه الدراسة بالكتب التاريخية التي اهتمت بالكتابة عن التاريخ المملوكي وخصوصاً كتاب : ((السلوك لمعرفة دول الملوك)) للمقريزي، ، وتعود أهمية هذا الكتاب في أنه يسرد أحداث كل عام بحيث يذكر النواحي السياسية للدولة وما قام به رجالها في جميع ولاياتها وبهذا نجد بين سطور كتابة ما يتعلق بمكة المكرمة من الأوامر والتعيينات ما كانت الدراسة تحتاجه من مادة علمية، وقد اتسم أسلوبه بالشمولية لجميع أحداث الدولة في عهده وقد كان يذكر اليوم والشهر لتاريخ الحدث مع ذكره لمن يتوفى من الشخصيات في كل عام.

والكتاب الثاني في تاريخ الدولة المملوكية كتاب: ((النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة)) لمؤلفه ابن تغري بردي المتوفى عام ٨٧٤هـ وهو كتاب أيضاً يناقش الأحداث السياسية بالسنوات ذاكراً الأحداث السياسية التي تمت في كل سنة مبتدئاً بفتح مصر سنة ٢٠هـ إلى نهاية عام ٨٧٢هـ وتعود أهمية الكتاب في ذكره للأحداث التي تتعلق بأمر مكة المكرمة من قبل الحكومة المركزية في مصر وأمر أمراء الحج المصريين وما يصاحب الحج من أحداث أثرت على الجانب الديني والحضاري في مكة المكرمة، كما أنه يذكر من توفى من الأعيان في السنوات التي يؤرخ عنها.

كما استفادت الدراسة بعدد من المراجع التي تناقش تاريخ مكة المكرمة وأوردت بين طياتها صوراً للناحية الحضارية لمكة المكرمة في العصر المملوكي وسترد في نهاية البحث قائمة بجميع الجهود العلمية التي استعنت بها من مصادر ومراجع ومجلات علمية ورسائل علمية وأبحاث.

الباحث

الطالب: عبد الحفيظ بن حمدي السالمي

التمهيد

الناحية السياسية لمكة المكرمة في العصر المملوكي

عندما قامت دولة المماليك [1] عام ٦٤٨هـ كان يحكم مكة المكرمة الشريف حسن بن علي بن قتادة[2]، وقد وصل إلى حكم مكة بعد أن انتزع حكمها من الملك المنصور[3] ملك اليمن عام ٦٤٧هـ، وقد استمر الشريف حسن بن علي يحكم مكة حتى قتل سنة ٦٥١هـ[4]، وكان قتله على يد أحد أبناء عمومته الطامعين في العرش وهو الشريف جماز بن حسن بن قتادة[5]،الذي استغل قدوم حملة من بلاد الشام تحمي الحجاج

---

(١)المماليك: جمع مفردها مملوك والمملوك العبد إذا مُلِك. وقد حكم المماليك مصر بعد الدولة الأيوبية، وذلك أن الملك الصالح نجم الدين الأيوبي قد استكثر من المماليك الترك، وبعد وفاته قتلوا ابنه المعظم توران شاه، واستبدوا بالأمر، وكان أول سلاطينهم، عز الدين أيبك واستمر حكمهم من سنة ٦٤٨ـ ٩٢٣هـ، حيث سقطت دولتهم على يد العثمانين.

ابن منظور ، لسان العرب ص١٨٤. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٥، صـ٤٣٠.

(٢)هو الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني المكي، ولي إمرة مكة نحو أربع سنين، وقد حكم عام ٦٤٧هـ، بعد أن انتزعها من واليها من قبل ملك اليمن، ويدعى ابن المسيب، وقد قتل سنة٦٥١هـ، بعد أن حكم مكة حوالي أربع سنوات، وقد كان رجلاً كريم الأخلاق شجاعًا مقدامًا. الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٣٩٧.

(٣)الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، نور الدين مؤسس الدولة الرسولية في اليمن، دخل اليمن مع الملك المسعود الأيوبي، وجعله نائبًا عنه باليمن عندما توجه المسعود إلى مصر، أعلن استقلاله عند ما سمع بموت الملك المسعود بمكة، قتل على يد المماليك سنة ٦٤٧هـ.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٢٣، صـ١٧٣، ابن تغري بردى، الدليل الشافي علـى المنهل الصافي، جـ١، صـ٥٠٢.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٣٩٧.

(٥)هو جماز بن حسن بن قتادة بن إدريس الحسين، ولي إمرة مكة بعد قتل الشريف حسن بن علي بن قتادة أبي سعد سنة ٦٥١هـ، وخطب للناصر يوسف الأيوبي صاحب الشام لمساعدته له ثم تركه وخطب لصاحب اليمن، وقد ترك مكة بسبب زحف الشريف راجح بن قتادة عليها في نفس العام، والشريف جماز هو جد الأشراف ولاة ينبع.

المصدر السابق، جـ٣، ص٢٨٣. وابن فهد، غاية المرام، جـ١، ص٦٣٨.

فأغرى قائد الحملة بمساعدته على انتزاع حكم مكة من الشريف حسن بن علي مقابل الدعاء لحاكم دمشق الأمير الأيوبي[١]،فتم له النصر وذلك في رمضان عام٦٥١هـ[٢].

وهنا يتبين تنافس زعماء العالم الإسلامي في كسب ولاء حكام مكة ودعمهم مقابل ذكر أسمائهم على منابر مكة مما يعطي لهم شهرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي بإشرافهم على الأماكن المقدسة بمكة المكرمة.

هذا و لم يستمر الشريف جماز في حكم مكة، حيث أُجبر على تركها في نفس العام في آخر شهر ذي الحجة، عندما زحف الشريف راجح[٣] بن قتادة على مكة وربما كان السبب لعدم وجود مناصرين للشريف جماز بعد خروج حملة الحجاج التي ناصرته إلى ديارها، هذا و لم يستمر الشريف راجح في حكم مكة حيث نازعه ابنه غانم[٤] فلم يقف الشريف راجح في وجه ابنه بل ترك له حكم مكة وذلك في شهر ربيع الأول عام

---

(١)هو السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد بن غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، صاحب حلب ودمشق ، ولد في سنة ٦٢٧هـ، تولى الملك سنة ٦٣٤هـ بحلب ودخل دمشق سنة ٦٤٨هـ، واستولى عليها، قبض عليه التتار وقتله هولاكو في أواخر عام ٦٥٨هـ.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٢٣، صـ٢٠٤.

(٢)ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٤، صـ١٣٧.

(٣)هو راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني المكي، ولي إمرة مكة أوقاتاً كثيرة، نافس أخاه الحسن عندما ولي مكة بعد وفاة والدهما قتادة سنة ٦١٨هـ، وكان محباً للسلطة، وكان محالفاً لحكام اليمن لمساعدتهم له في حكم مكة، كان آخر حكمه بمكة سنة ٦٥١هـ عندما انتزعها من جماز بن حسن بن قتادة، توفي سنة ٦٥٤هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٧٨، الزركلي، الأعلام، جـ٣، صـ١٠.

(٤)هو غانم بن راجح بن قتادة بن إدريس الحسين، تولى حكم مكة في ربيع الأول سنة ٦٥٢هـ من والده راجح بدون حرب واستمر حكمه لها ثمانية شهور فقط حيث انتزعها منه أبو نمي وإدريس سويًا.

الفاسي العقد الثمين ، جـ٥، صـ٤٤٣.



٦٥٢هـ[١]. ولم تصف له الأمور بمكة وذلك لظهور الشريفين أبي نمي[٢] محمد بن حسن ابن علي والشريف إدريس[٣] بن قتادة وانتزعا حكم مكة منه في شوال عام ٦٥٣هـ.

وفي نفس العام هاجم مكة جيش من اليمن مما يدل على رغبة حكام اليمن في تبعية أمراء مكة لهم والفوز بالسيادة الروحية على الأماكن المقدسة كما يدل أيضًا أن راجحًا وابنه غانماً كانا على علاقة قوية بحكام اليمن، هذا ولم يستكين الأشراف لتدخل القوات اليمنية بل جمع الشريفان أبو نمي وإدريس الجيوش، وانتزعا حكم مكة بعد قتال عنيف قتل فيه العديد من الرجال وذلك في عام ٦٥٣هـ[٤].

هذا ومع أن الشريف أبا نمي، وإدريس بن قتادة تعاونا في انتزاع حكم مكة وفرضا سيطرتهما عليها إلا أنهما كانا يضمران لبعضهما الغدر، حيث يطمع كل منهما في الانفراد بالسلطة وإقصاء الآخر، وقد حدث بينهما العديد من الحروب والمكايد انتهت بانتصار أبي نمي وانفراده بالسلطة بعد قتله للشريف إدريس في مواجهة بينهما سنة٦٦٩هـ.

---

(١)المصدر السابق، جـ٤، صـ٨٢، وابن فهـد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٧٦. والسباعي، تاريخ مكة، جـ١، صـ٢٤٠،

(٢)هو محمد بن حسن بن علي بن قتادة الحسني ، ولي إمرة مكة نحو ٥سنوات، وقد شاركه في إمرة مكة عمه إدريس بن قتادة في بعضها حوالي ١٧عامًا، واستقل حوالي ٣١سنة، وكانت بداية توليه سنة ٦٥٢هـ، هو وعمه إدريس وقد دارت الحرب بينهما، وانتهت بمقتل إدريس، واستقلال أبي نمي، توفي سنة٧٠١هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، صـ٤٢٢. والزركلي، الأعلام، جـ٦، صـ٨٦.

(٣)هو إدريس بن قتادة ابن إدريس الحسني ، ولي إمرة مكة حوالي ١٧سنة شريكًا لابن أخيه أبي نمي، وأنفرد بحكمها وقتاً يسيرًا، ودارت الحرب بينهما كثيرًا انتهت بمقتل إدريس على يد ابن أخيه أبي نمي سنة ٦٦٩هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١٧٥.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٧٦، ٧٧.

واستمر حكم أبي نمي لمكة حتى وفاته عام ٧٠١هـ[١]، وبموته بدأت الصراعات بين أبنائه مما أرهق الناس بمكة وضايق الحجاج، وذلك أنه بوفاة أبي نمي تولى حكم مكة اثنان من أبنائه وهما حميضة[٢] ورميثه[٣] ولم يلبثا أن عارضهما اثنان من إخوانهما هما عطيفة[٤] وأبو الغيث[٥]. وكان لهذا الخلاف آثاراً كثيرةً على الوضع الأمني بمكة المكرمة حيث انقسم الناس في تأييد الأخوة، وكان بعض قادة الحملات التي تحمي الحجاج يميلون إلى تأييد بعض الأخوة ضد البعض الآخر مما أدى إلى تطور النزاع واستمراره فترةً طويلةً، ومن ذلك تأييد قائد الحملة المصرية عام ٧٠١هـ الأمير بيبرس[٦] الجاشنكير للأخوين

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٧٤٨، وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٣٤.

(٢)هو حميضة بن أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة أمير مكة، تولى إمرة مكة أربع مرات، مرتان شريكًا لأخيه رميثة، ومرتان مستقلاً، وكان شجاعاً مقداماً، مات قتيلاً سنة ٧٢٠هـ.

الفاسي العقد الثمين ، جـ٣، ص٤٤٥، وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٥٣، واليافعي،مرآة الجنان، جـ٤، صـ٢٥٩.

(٣)هو رميثة بن أبي نمي بن حسن الحسني المكي، يلقب أسد الدين، ولي إمرة مكة حوالي ٣٠سنة في سبع مرات مستقلاً بذلك ١٤سنة وشريكًا لأخيه حميضة مرتين وشريكًا لأخيه عطيفة أزيد من خمس سنين، مات سنة ٧٤٦ هـ بمكة.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، صـ١١١. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، ص١٤٩.

(٤)هو عطيفة بن أبي نمي محمد بن حسن الحسني المكي، يلقب سيف الدين، أمير مكة ولي إمرة مكة حوالي عشرة سنة مستقلاً بها وفي بعضها شريكًا لأخيه رميثة، توفي بمصر سنة ٧٤٣هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ٤٥٥.

(٥)هو أبو الغيث بن أبي نمي محمد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي، ولي إمرة مكة في سنة ٧٠١هـ شريكاً لأخيه عطيفة وعزل سنة ٧٠٤هـ، ثم ولي الإمرة سنة ٧١٣هـ، ثم أخرج من مكة لزحف أخيه حميضة عليه سنة ٧١٤هـ فلحق بقبيله هذيل.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ٣٠٧.

(٦)هو السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الجاشنكير، أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون، كان جركي الجنس، ويعتبر أول سلطان من الجراكسة حكم مصر، أخذ يترقى في مناصب الدولة من عهد

المعارضين فاستطاعا بمساعدته حكم مكة والقبض على أخويهما حميضة ورميثة وسجنهما في مصر[1] واستمرا في حكم مكة حتى عام ٧٠٤هـ، حيث أُطلق أخواهما من سجنهما في مصر وقدما بمرسوم تولية من السلطة لمكة المكرمة وعزل أخويهما عطيفة وأبي الغيث وكانا بصحبة حملة عسكرية تحمي الحجاج وتنفذ أوامر الدولة[2].

ولم يلبث أن تغير حكام مصر على نائبيهما على مكة الشريف حميضة ورميثة وذلك لما ورد إلى مصر عن فرض حكام مكة الضرائب على الحجاج وما يتعرض له الحجاج من حوادث في طريق الحج والطرق المؤدية إلى المشاعر المقدسة مما يدل على عدم مقدرتهما على حفظ الأمن، فقررت الدولة عزلهما وتعيين أخيهما أبي الغيث وذلك عام ٧١٣هـ، حيث قدم بحملة مصرية أجلت الشريفين رميثة وحميضة[3]، وحكم مكة ولكن لم يهدأ له بال حيث أخذ أخواه يثيران ضده الناس ويهاجمانه باستمرار.

وفي عام ٧١٤هـ استطاع حميضة انتزاع حكم مكة من أبي الغيث وقتله وذلك بعد خروج القوات المصرية التي كان يعتمد عليها أبو الغيث[4] وفي هذه الأثناء توجه الشريف رميثة إلى مصر وأعلن الولاء والطاعة والخطبة للسلطان مما جعل السلطة في مصر تؤيده وتمده بقوة استطاع انتزاع حكم مكة من أخيه حميضة وذلك في عام ٧١٥هـ[5]، وقد دفعت مناصرة المماليك للشريف رميثة أن توجه الشريف حميضة إلى حكومة العراق الدولة الإلخانية، حيث أمدته بقوة مقابل الدعاء لحكومة العراق على منابر مكة مما يؤيد

الملك الناصر قلاوون، تولى الملك بعد خروج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الملك بإرادته سنة ٧٠٨هـ، وهو السلطان الحادي عشر من المماليك في مصر قتل في ذي القعدة سنة ٧٠٩هـ.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٨، صـ٢٣٢.

(١)المقريزي، السلوك لمعرفة دول المملوك، جـ٢، صـ٣٤٩. ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ٢٧٦.

(٢)المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ٢، صـ٣٨٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٤٢.

(٣)المصدر السابق ، جـ٣، صـ١٥٠.

(٤)المصدر السابق، جـ٣، صـ١٥٢.

(٥)المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٢، صـ٥٠٣. ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٥٣.

تنافس حكام العالم الإسلامي على منبر مكة المكرمة لما له من دور روحي لدى عامة المسلمين. وقد استطاع حميضة دخول مكة عام ٧١٨هـ والدعاء لحكام العراق مما أثار حفيظة المماليك في مصر وعجل بنهاية حكمه لمكة المكرمة حيث جهزت الدولة في مصر الشريف عطيفة على رأس قوة واستطاع دخول مكة وقتل أخاه الشريف حميضة في عام ٧١٩هـ[١].

واستمر الشريف عطيفة يحكم مكة حتى ثار عليه أخوه رميثة وانتزع منه مكة حوالي عام ٧٣٠هـ، واستمر الصراع بين الأخوين مما أثر على الحجاج وسكان مكة تأثيرًا كبيراً بانعدام الأمن وقلة المؤن وعندما رأت الدولة أن الشريف رميثة أقدر على استتباب الأمن من أخيه عطيفة أرسلت له تأييداً بتعيينه حاكماً وأمدته بقوة وذلك عام ٧٣١هـ[٢]، وكان هذا الإجراء لم يرض الشريف عطيفة الذي استمر على مناوأته لأخيه مما جعل السلطة تشركه مع أخيه في حكم مكة عام ٧٣٤هـ[٣]، ولكن هذا الأمر لم يكن بالحل النهائي لطموح كل من الأخوين في الانفراد بالسلطة ولم تستقر الأمور إلا بوفاة الشريف عطيفة في مصر عام ٧٤٣هـ[٤]، وبوفاته استقر الأمر لرميثة.

واستمر الشريف رميثة يحكم مكة حتى عام ٧٤٦هـ حيث تنازل لابنه عجلان[٥] عن الحكم وأيدته السلطة في مصر وذلك لكبر الشريف رميثة وعجزه ولتجنب إثارة ابنه عجلان الذي ظهر طموحه وتطلعه للحكم منذ عام ٧٤٤هـ[٦].

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٥٨، صـ١٦٣.

(٢)المصدر السابق، جـ٣، صـ١٩٦، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، صـ١٤٠.

(٣)ابن فهد ، إتحاف الورى ، جـ٣، صـ٢٠٤.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٢١٢. وابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ١١٣.

(٥)هو عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي، ولي إمرة مكة نحو ثلاثين سنة مستقلاً بها مدة، وشريكًا لأخيه ثقبة مدة، وشريكًا لابنه أحمد مدة، وكان بداية توليه سنة ٧٤٦هـ بأمر الملك الصالح صالح بن محمد قلاوون، وكان غالب حكمه في صراع مع أخيه ثقبة حتى توفي ثقبة، توفي سنة ٧٧٧هـ بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ١٨٩. وابن تغري بردي، الدليل الشافي، جـ١، صـ٤٤٢. والزركلي، الأعلام، جـ٤، صـ٢١٦.

(٦)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٢٦، صـ٢٣٠.

وما أن تولى الشريف عجلان الحكم حتى نافسه إخوته الثلاثة سند[1]، ومغامس[2]، وثقبة[3]، مما حدا بالسلطة في مصر إلى تعيين أخوة عجلان معه في الحكم وإعطائهم نصف الدخل مقابل النصف الآخر للشريف عجلان، وهذا يدل على أن السلطة في مصر كانت تفضل إضعاف السلطة في مكة حتى لا تستقل عنها وتفقد الدعاء على منابر مكة وذلك إذا التجأ أحد الأخوة إلى سلطة أخرى وطلب مساعدتها، ولكن هذا الإجراء لم يكتب له النجاح حيث لم يلبث أن دار الصراع بين الأخوة في مكة و لم يصف لعجلان الحكم حتى توفي أخوه ثقبة الذي كان أشد المعارضين له وشاركه في حكم مكة وذلك سنة ٧٦٢هـ، واستمر عجلان يحكم مكة بعد هذا التاريخ حتى عام ٧٧٤ هـ، أشرك معه ولده أحمد[4]

---

(١)هو سند بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي، ولي إمرة مكة شريكاً لابن عمه محمد بن عطيفة بعد عزل ثقبة وعجلان سنة ٧٦٠هـ، ثم شريكًا لثقبة بن رميثة، وانتهى حكمه سنة ٧٦٢هـ برجوع عجلان إلى حكم مكة، وقد توفي وهو يحاول حكم مكة سنة ٧٦٣هـ بمرض أصابه.

ابن فهد، غاية المرام، جـ٣، صـ١٦٨. وابن تغري بردي، الدليل الشافي، جـ١، صـ٣٢٦.

(٢)هو مغامس بن رميثة بن محمد بن حسن الحسني المكي، كان أحد المعارضين لحكم أخيه عجلان وقد قبض عليه وأرسل إلى مصر سنة ٧٥٤هـ مع عدد من الأشراف منهم أخيه سند، وثقبة، ولكن لم يلبث أن عاد إلى الحجاز سنة ٧٥٦هـ، وواصلوا نضالهم ضد عجلان، وقد توفي سنة ٧٦١هـ قتيلاً في اشتباك بين الأتراك بمكة ضد قبيلة بني حسن.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ١٠٦.

(٣)هو ثقبة بن رميثة بن أبي نمي محمد الحسني المكي، يلقب أسد الدين ولي إمرة مكة شريكاً لأخيه عجلان ومستقلاً في بعض السنين، وكانت الحرب بينه وبين عجلان مستعرة في أغلب الأحيان، ويعودون إلى الصلح حتى عزلا عن حكم مكة سنة ٧٦٠هـ، وعين بدلاً منهما أخوهما سند وابن عمهما محمد بن عطيفة.

المصدر السابق، جـ٣، صـ٢٥٦. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ٥٣٠.

(٤)هو الشريف أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد الحسني، أمير مكة، ولي إمرة مكة شريكاً لأبيه ومستقلاً ثم شريكاً لابنه محمد ٢٦سنة، وكان بداية شراكته لأبيه سنة ٧٦٢هـ ثم انفرد بالإمرة سنة ٧٧٤هـ ثم أشرك ابنه محمد سنة ٧٨٠هـ، كانت سيرته مشكورة في الرعية، فكان كثير العدل مكرماً للتجار، توفي سنة ٧٨٨هـ بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٥٥.

لما رأى منه من طموح في الحكم وفي عام ٧٧٧هـ[١] توفي الشريف عجلان وتولى ابنه الشريف أحمد حكم مكة وقد أيدته السلطة في مصر واستمر في الحكم حتى عام ٧٨٨هـ حيث توفي فتولى ابنه الشريف محمد[٢] ولكن لم يستمر في حكم مكة حيث قتل بتدبير من السلطة في مصر لمخالفته أوامرها في إطلاق بعض المسجونين من الأشراف[٣] وهذا يدل على تدخل الحكومة المصرية في الأمور الداخلية بين الأشراف وبمقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان عينت الدولة الشريف عنان[٤] بن مغامس حاكماً لمكة، في موسم سنة ٧٨٨هـ، ولم يستمر عنان في حكم مكة وذلك لثورة الأشراف غضباً لمقتل الشريف محمد مما حدا بالسلطة في مصر إلى تغيير ولائها وتعيين علي[٥] بن عجلان فثارت الحرب بين الأشراف أنفسهم وانقسم الناس إلى فريقين مما أدى إلى اضطراب الأمن،

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٢٦.

(٢)هو الشريف محمد بن أحمد بن عجلان الحسني المكي، أمير مكة، ولي إمرة مكة ثمان سنين شريكًا لأبيه، أول ولايته لمكة سنة ٧٨٠هـ ولم يكن لشراكته دور لمكانة والده وشخصيته القوية، وبعد وفاة والده كان لعمه كبيش دور في سلطة محمد وتسييره للأمور، انفرد بالسلطة سنة ٧٨٨هـ بعد وفاة والده، قتل بتدبير من السلطة في نفس العام الذي تولى فيه سنة ٧٨٨هـ عند استقباله لمحمل الحج المصري في مستهل ذي الحجة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٣. وابن تغري بردي، الدليل الشافي، جـ٢، صـ٥٨٤.

(٣)ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ١، قـ٢، صـ٣٨١.

(٤)هو عنان بن مغامس بن رميثة بن محمد الحسني، أمير مكة، ولي إمرة مكة مرتين،الأولى سنة إلا أربعة أشهر والثانية سنتان، اختلف مع أحمد بن عجلان فسافر إلى مصر وعاد بأمر أن يعطيه أحمد بن عجلان نصيبًا من المال، وحاول الشريف أحمد قتل عنان وسجنه مع عدد من الأشراف واستطاع عنان الفرار والسفر إلى مصر في الوقت الذي تعرض زملاءه في السجن للأذى مما أغضب السطان في مصر فقرر تعيين عنان حاكماً لمكة وقدم صحبة لحاج حيث حكم مكة فقتل الشريف محمد بن أحمد سنة ٧٨٨هـ، توفي بمصر سنة ٨٠٥هـ.

السنجاري، الضوء اللامع، جـ٦، صـ١٤٧.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٤١٦.

(٥)هو علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمى الحسني المكي، ولي إمرة مكة ثمان سنين وثلاثة أشهر مستقلاً بالإمارة ما عدا سنتين كان شريكًا لعنان بن مغامس وبداية ولايته في سنة ٧٨٩هـ ، وقتل سنة ٧٩٧هـ على يد الأشراف وكان كريم الأخلاق كريماً عاقلاً.

ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٣٥٠. وابن تغري بردي، الدليل الشافي، جـ١، صـ٤٦٤.

وتقاتل الفريقان وأرادت السلطة أن تستدرك الأوضاع فأمرت بتعيين عنان شريكًا لعلي بن عجلان وذلك لتهدئة الأوضاع في الحجاز ولكن الصراع بين الأشراف لم يؤد إلى هدوء للأوضاع مما جعل السلطة في مصر تقبض على عنان سنة ٧٩٤هـ وبقي مسجوناً حتى وفاته سنة ٨٠٥هـ[١]،أما الشريف علي بن عجلان فقد استمر في حكم مكة بتأييد من السلطة في مصر حتى قتل على يد الأشراف عام ٧٩٧هـ[٢]، وبمقتله عينت السلطة أخاه الشريف حسن[٣] الذي كان متواجدًا في ذلك الوقت في مصر فقدم مكة وتسلم زمام الأمور بها وقد استطاع بحزمه وقوته أن يعيد الأمن لمكة والمشاعر المقدسة والحد من خطر الخارجين والطامعين من الأشراف وقد استمر الشريف حسن يقود البلاد بأحسن الأحوال حتى وفاته عام ٨٢٩هـ وقد تخلل فترة حكمه حادثتان أجبرته على ترك مكة، الأولى عام ٨١٨هـ حيث عينت السلطة الشريف رميثة[٤] بن محمد بن عجلان و لم يلبث أن أخرجه الشريف حسن عام ٨١٩هـ والثانية عام ٨٢٧هـ عندما عينت السلطة الشريف علي[٥] بن عنان و لم يدم حكمه سوى عاماً واحداً حيث عادت السلطة واعترفت

---

(١)الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٥، صـ٤١٦. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٣٣.

(٢)المصدر السابق، جـ٥، صـ٢٨١. المصدر السابق، جـ٣، صـ٣٩٤.

(٣)هو الشريف حسن بن عجلان بن رميثة الحسني المكي، يلقب بدر الدين، ولد سنة ٧٧٥هـ، ونشأ في كفالة أخيه أحمد مع أخيه علي بن عجلان، سافر إلى مصر عام ٧٩٧هـ ليحاول إقناع السلطان بتعيينه حاكماً على مكة بدلاً من أخيه علي فقبض عليه وسجن في مصر، وعندما قتل الشريف علي عينه السلطان حاكمًا لمكة في نفس العام ٧٩٧هـ ووصل مكة واستمر يحكمها ما عدا فترتين عينت الدولة فيها الشريف رميثة والشريف علي بن عنان، توفي بالقاهرة سنة ٨٢٩هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ١٠٣. وابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٢٤٦.

(٤)هو رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي، ولي إمرة مكة مدة يسيرة فلم تحمد سيرته فعزل، واتفق خروجه في طائفة مع العسكر للوقيعة ببعض القبائل فقتل في المعركة في رجب سنة ٨٣٧هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٣٠.

(٥)هو علي بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسني المكي، تولى إمرة مكة سنة ٨٢٧هـ، وذلك لعدم ملاقاة الشريف حسن أمراء الحج فوصل إلى مكة بصحبة حملة عسكرية من مصر وفي العام التالي ٨٢٨هـ عزل وعين الشريف حسن واعتقل الشريف علي في القاهرة إلى أن مات سنة ٨٣٣هـ.

ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٤٨٣. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٢٧٢.

بنفوذ الشريف حسن ومقدرته في حكم البلاد وذلك لما تتميز به شخصيته من صفات قيادية وبعد وفاته تولى ابنه الشريف بركات[1] وكان قد تدرب على مهام الحكم وذلك عند ما أشركه والده معه في سنوات حكمه الأخيرة، وقد أيدت سلطة مصر تولي الشريف بركات، واستمر الشريف بركات في حكم مكة حتى عام ٨٤٥هـ، حيث نافسه أخوه الشريف علي[2] بن حسن وذلك عندما استطاع إقناع السلطة في مصر بتعيينه بدلاً من أخيه واستمر الشريف علي في حكم مكة حتى عام ٨٤٦هـ حيث عُزل وعُين بدلاً منه أخوه أبو القاسم[3] الذي استمر إلى عام ٨٥٠هـ حيث عُزل وأعيد تعيين الشريف بركات واستمر في حكم مكة حتى وفاته سنة ٨٥٩هـ[4] وعين بعده ابنه الشريف محمد[5] بن بركات بموافقة السلطة في مصر وقد استقرت الأمور للشريف محمد بن

---

(١)هو الشريف بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، ولي إمرة مكة بعد وفاة والده سنة ٨٢٩هـ، ولد سنة ٨٠١هـ ونشأ بمكة، تعلم القراءة والكتابة وقراءة القرآن، أجاز له عدد من العلماء، حسنت سيرته وعم الناس في أيامه الأمن والرخاء، عزله السلطان الظاهر جقمق سنة ٨٤٥هـ، ثم عاد الشريف بركات عام ٨٥٠هـ، وكان شهمًا كريمًا شجاعًا، له مآثر بمكة مات سنة ٨٥٩هـ.

المصدر السابق ، جـ٣، صـ١٣. وابن تغري بردي، الدليل الشافي، جـ١، صـ١٨٨.

(٢)هو الشريف علي بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسني المكي، ولد سنة ٨٠٧هـ بمكة سمع على عدد من العلماء ، عينه الظاهر جقمق عام ٨٤٥هـ بدلاً من أخيه الشريف بركات وفي شوال عام ٨٤٦هـ عزل عن حكم مكة ونقل إلى مصر وبقي بها إلى أن مات سنة ٨٥٣هـ بدمياط.

ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٤٨٧.

(٣)هو أبو القاسم بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسني المكي، ولد بمكة ونشأ بها، تولى إمرة مكة سنة ٨٤٦هـ، وعُزل سنة ٨٥٠هـ بسبب فرض مكوساً على الحجاج، توفي في القاهرة سنة ٨٥٣هـ. بمرض الطاعون.

المصدر السابق، جـ٢، صـ٤٩٨.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٣٤٧. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٤٥.

(٥)هو الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، تولى إمرة مكة منفردًا بعد وفاة والده سنة ٨٥٩هـ، وكان مولده سنة ٨٤٠هـ بمكة ونشأ بها ودرس على يد عدد من العلماء، وقد ساد الأمن في عهده مكة المكرمة حتى توفي عام ٩٠٣هـ.

ابن فهد، غاية المرام، جـ٢،صـ٥٠٦. الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، جـ٢، صـ١٤٠.

بركات في حكم مكة حتى وفاته عام ٩٠٣هـ[١]، وكان يسانده في حكم مكة وينوب عنه ابنه الشريف بركات[٢] وقد تولى بعده الحكم بمكة بتأييد من السلطة في مصر ولكن لم تصفُ له الأمور حيث نازعه أخوته وكان أولهم نزاعًا له الشريف هزاع[٣] منذ سنة ٩٠٤ هـ ودارت الحرب بين الأخوين، واستطاع الشريف هزاع أن ينتزع مكة عام ٩٠٦هـ بمساعدة الحملة المصرية المرافقة للحجاج ولكنه أُجبر على تركها بداية عام ٩٠٧هـ ثم عاد ودخلها في جمادى الأولى من نفس العام وأجبر الشريف بركات على الخروج منها ولكنه توفي في شهر رجب من نفس العام[٤]، وبوفاته خرج الأخ الثاني للشريف بركات ويدعى أحمد الجازاني[٥] حيث نادى بنفسه أميراً على مكة فزحف عليه الشريف بركات من جهة اليمن وأجبره على الخروج من مكة في شهر شعبان من عام ٩٠٧هـ، وعندما رأت السلطة إصرار الشريف بركات، أرسلت بتعيينه حاكمًا على مكة، واستمر الشريف

---

(١)ابن فهد ، غاية المرام ، جـ٢، صـ٥٩٦.

(٢)هو بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، ولد سنة ٨٦١هـ، مارس الحكم شريكاً لوالده سنة ٨٧٨هـ بأمر السلطان الأشرف قايتباي، واستمر في مساعدة والده الذي توفى والده سنة ٩٠٣هـ، فتولى أمر مكة، ونافسه أخوته على حكم مكة ودارت بينهم حروب عديدة وقد أخرج من مكة مرات عديدة حتى دخلها أواخر سنة ٩٠٩هـ واستمر إلى وفاته سنة ٩٣١هـ.

المصدر السابق، جـ٣، صـ٥.

(٣)هو الشريف هزاع بن محمد بن بركات الحسني المكي، نافس أخاه الشريف بركات على حكم مكة منذ عام ٩٠٤هـ ودارت الحرب بين الأخوين وقد عينته الدولة أميراً على مكة عام ٩٠٦هـ بدلاً من أخيه الشريف بركات بدعم من قائد الحملة المصرية التي كانت مع الحجاج، لم يستمر في حكم مكة حيث مرض وتوفي في شهر رجب سنة ٩٠٧هـ.

الطبري، إتحاف فضلاء الزمن ، جـ١، ٢٩٤.

(٤)ابن فهد، غاية المرام، جـ٣، صـ٦. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ١٠٥.

(٥)هو أحمد بن محمد بن بركات بن حسن الحسني المكي، يلقب بالجازاني نافس أخاه بركات في حكم مكة وذلك بعد وفاة أخيه هزاع نادى بنفسه حاكماً على مكة بتأييد من أهلها وطلبوا التأييد الرسمي من الدولة في مصر، وقد هاجمه أخوه بركات ودارت الحرب بين الأخوين فترات عديدة تضرر منها أهل مكة والزوار كثيراً، قتل وهو يطوف بالبيت في ١٩ رجب عام ٩٠٩هـ.

السنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ١١١.

أحمد في مناوأة أخيه وقد كانت الحرب بينهما سجالاً عانت مكة وأهلها والحجاج ويلات الحرب وانعدام الأمن الشيء الكثير، وقد حاولت السلطة إيقاف الصراع بالقبض على الشريف بركات وسجنه في مصر سنة ٩٠٨هـ[١]، ولكن الشريف أحمد قتل في العام التالي ٩٠٩هـ[٢] بمكة فظهر الشريف حميضة[٣] الأخ الثالث للشريف بركات ونادى بنفسه أميراً على مكة، وفي هذا الأثناء أفلت الشريف بركات من مصر وعاد إلى مكة وجمع الجيوش لمهاجمة أخيه حميضة وأجبر أخاه على ترك مكة فدخلها فلم تجد السلطة في مصر مناصًا من الاعتراف بالشريف بركات وترك أمر مكة له يولي من يريد من الأشراف أو يليها بنفسه، فاختار الشريف بركات لحكم مكة أخاه الشريف قايتباي[٤] وأشرك معه ابنه الشريف علي[٥] في الوقت الذي احتفظ الشريف بركات بالقيادة العليا للبلاد حيث كان يذكر اسمه في خطبة الجمعة[٦]، هذا ولم يلبث أن توفي الشريف علي بن بركات عام ٩١٣هـ[٧] فلم يعين بدلاً منه شريكًا للشريف قايتباي، وفي عام ٩١٨هـ توفي الشريف

---

(١)الطبري، إتحاف فضلاء الزمن ، جـ١، صـ٣١٠. والسنجاري، منائح الكرام، جـ٣، صـ١٣٣.

(٢)الطبري إتحاف فضلاء الزمن ، جـ١، صـ٣٢٢.

(٣)هو الشريف حميضة بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، تولى إمره مكة بعد مقتل أخيه أحمد الجازاني بأمر قائد الترك بمكة ولكن لم يتم له أمر وذلك لخروج الشريف بركات من مصر ومهاجمته مكة وانتزاعها من الشريف حميضة.

المصدر السابق، جـ١، صـ٣٢٢.

(٤)هو الشريف قايتباي بن محمد بن بركات بن حسن الحسني المكي، ولي إمارة مكة بالشراكة منذ عام ٩١٠هـ بعد أن أخرج الشريف بركات أخاه الشريف حميضة، وقد كان مصافياً لأخيه الشريف بركات، توفي عام ٩١٨هـ.

ابن فهد، غاية المرام، جـ٣، صـ١٧٣، ٢٤٧.

(٥)هو الشريف علي بن بركات بن محمد بن بركات الحسني المكي، أشرك في حكم مكة عام ٩١٠هـ الشريف قاينباي، توفي الشريف علي عام ٩١٣هـ ودفن بمكة.

المصدر السابق، جـ٣، صـ٢٠٧. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ١٥٤، ١٥٦.

(٦)ابن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٦١.

(٧)المصدر السابق، جـ١، صـ٣٣٣.

قايتباي[١] وبوفاته باشر الشريف بركات مهام الحكم في مكة بنفسه بتأييد من السلطة في مصر[٢] واستمر إلى أن سقطت الدولة المملوكية وهو حاكماً بمكة عام ٩٢٣هـ[٣].

هذا وكان للصراع السياسي بين أفراد البيت الهاشمي أثره الكبير على الأوضاع الاقتصادية للبلاد، وذلك أن اقتصاد البلاد لا يزدهر وينمو إلا في استقرار الوضع السياسي، فعندما يحدث الصراع بين أفراد البيت الحاكم يضطرب الأمن في البلاد فتضعف الناحية الاقتصادية وذلك أن الطرق التجارية تصبح غير آمنة لغياب السلطة فتقل موارد البلاد، ومن ذلك ماحدث في عام ٧٥٥هـ عندما منع الملك المجاهد[٤] حاكم اليمن التجار من السفر إلى مكة بسبب ما تعرض له من فتنة في موسم سنة ٧٥١هـ فاضطر حاكم مكة الشريف عجلان أن فرض على المزارعين مبلغاً من المال تراوح من درهمين إلى أربعة دراهم على كل نخلة[٥]، وفي عام ٩٠٤هـ تمرد الشريف هزاع على أخيه الشريف بركات بن محمد بن بركات فأخذ يهاجم أنصار أخيه ويهدد مدينة جدة والطريق بين مكة والمدينة المنورة مما كان يشبه الحصار الاقتصادي على مكة المكرمة[٦]،ومن ذلك أيضاً أن حكام مكة من الأشراف كانوا يأخذون مبالغ من المال من الحجاج على شكل ضريبة، حيث فرضوا على كل جمل قادم من اليمن ٣٠ درهماً وعلى كل جمل قادم من مصر ٥٠ درهمًا[٧]، وقد كان الدافع لفرض هذه الضرائب قلة موارد الحجاز الطبيعية، التي لم تكن

---

(١)المصدر السابق، جـ٢، صـ٥٤٥.

(٢)ابن فهد، غاية المرام، جـ٣، صـ٢٤٨.

(٣)المصدر السابق، جـ٣، صـ١٢.

(٤)الملك المجاهد: هو علي بن داود بن يوسف المظفر، أحد ملوك الدولة الرسولية في اليمن، حكم بعد وفاة والده سنة ٧٢١هـ، أجبره أمراء الحج المصري عام ٧٥١هـ على المسير إلى مصر لتخوفهم منه، أقام بمصر حوالي ١٤ شهرًا، ثم أطلق سراحه فعاد إلى اليمن، توفي بعد سنة ٧٦٤، كان عاقلاً أديباً شاعرًا محباً للعلم والعلماء، بنى في مكة مدرسة ملاصقة للحرم الشريف.

ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢٠٩.والصفدي، الوافي بالوفيات، جـ٢١، صـ٦٧.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٦٣. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٣٥٨.

(٦)عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٨٣.

(٧)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١١٦. والطبري، الأرج المسكي، صـ١٢٠.

تكفي لما يصرفه أمراء مكة على جنودهم لكي يكسبوا ولاءهم واستمرارهم في الحكم، وقد كان سلاطين المماليك حريصين على إلغاء هذه المكوس حيث كانوا يطلبون إلغاءها بشكل مستمر بل خصصوا مبالغ مالية سنوية لحاكم مكة مقابل إلغاء الضرائب عن الحجاج، ومن ذلك ما خصصه السلطان(1) الظاهر بيبرس حيث حدد مبلغ ٢٠ ألف درهم سنويًا لحاكم مكة(2)، وخصص السلطان شعبان بن حسين ١٦٠٠ ألف درهم سنويًا، وألف إردب من القمح سنوياً مقابل إلغاء المكوس عن الحجاج(3)، وعندما يحدث من حاكم مكة تجاوز كبير ترسل السلطة حملة عسكرية لتأديبه أو تغييره ومن ذلك عندما بالغ الشريف أو نمي في جباية الحجاج سنة ٦٨٣هـ فأرسلت السلطة حملة عسكرية قدمت إلى مكة وأجبرت أبا نمي على ترك مكة ولكن عانت مكة وأهلها والحجاج من الاضطراب الأمني مما كان له تأثير على الناحيتين الاقتصادية والدينية(4).

هذا وكان الخلاف بين الأشراف دافعاً لهم في جباية الأموال من الحجاج والتجار لا يردهم عن هذا أي وازع ديني في سبيل الحصول على غاياتهم ومن ذلك أن الحجاج تعرضوا سنة ٦٩٨هـ للنهب فكان نصيب أبي نمي ٥٠٠جمل(5)،هذا وكان لاضطراب الأمن في مكة أثره على الحجاج والأهالي والتجار فما أن تحدث حركة تصادم عسكري حتى يتعرض الناس للنهب والسلب وأغلب من يتعرض لذلك كان الحجاج والتجار(6)،

---

(1)هو الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي، الرابع من ملوك الترك بمصر ولد سنة ٦٢٠هـ بالقبجاق، كان مملوكاً للأمير علاء الدين البندقداري وبه سُمي ثم أصبح من مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه وجعله رئيساً لطائفة الجمدارية وعندما تسلطن سيف الدين قطز انضم إليه وأبلى بلاءً حسناً في حرب التتار في عين جالوت ثم استولى على الملك بعد قتل السلطان سيف الدين قطز مع مجموعة من الأمراء وذلك عام ٦٥٨هـ في آخر السنة وامتاز عهده بحروب متواصلة ضد التتار والصليبيين وتوفي سنة ٦٧٦هـ بدمشق.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ، صـ٩٤. والمقريزي، السلوك، جـ١، صـ٥٢٠.

(2)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٩٣.

(3)السنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٣٧٥. وأحمد دحلان، أمراء البلد الحرام، صـ٤٦.

(4)المصدر السابق، جـ٣، صـ١١٦.

(5)الفاسي، شفاء الغرام، جـ٢، صـ٤١٠.

(6)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٤٥. والمقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، صـ٣٧٨.

وفي عام ٧١٧هـ أخذ الشريف حميضة أموال التجار بمكة بعد أن دخلها وأخرج أخاه الشريف رميثة[(١)].

وفي الخلاف الذي دار بين الشريف عنان والشريف محمد بن عجلان سنة ٧٨٩هـ هاجم الشريف محمد بن عجلان جدة ونهب ما فيها من أموال التجار[(٢)].

وكان لهذه الأعمال أثرها على الناحية الاقتصادية والدينية على البلاد حيث تقل موارد الدولة من عوائد التجارة ويقل عدد الحجاج القادمين إلى مكة وكان للصراعات أثرها على تعطل الشعائر الدينية بسبب الخوف من القتل حيث يتعرض الحجاج لكثير من أعمال السلب والنهب، وذلك لانشغال السلطة في مكة بالصراع على الحكم[(٣)] ومن ذلك ما حدث للحجاج عام ٧٥١هـ عندما اشتبك الأشراف وحجاج مصر مع حجاج اليمن الذين كانوا مع الملك المجاهد في منى مما أثر على الشعائر الدينية فخرج كثير من الحجاج دون أداء النسك بل قتل منهم عدد كبير[(٤)]، وفي عام ٧٤٣هـ حدث قتال في صعيد عرفات بين الحجاج من الحجاز ومصر فقتل خلق كثير وكان سببه التنافس على الزعامة في مكة وتخوف أمير مكة من بعض قبائل الأشراف فاستغل مجيئهم إلى عرفة فحرض عليهم قائد الحملة المصرية فنشب القتال وهذا يدل على عدم احترام للنسك في المشعر العظيم والموقف الكبير من قبل أمير مكة الشريف رميثة وكان همه القضاء على مناوئيه مما كان له الأثر الكبير على شعائر الحج[(٥)].

---

(١)ابن فهد إتحاف الورى ، جـ٣، صـ١٥٨.

(٢)المصدر السابق، جـ٣، صـ٣٦٢.

(٣)المصدر السابق ، جـ٣، صـ٦٢٤.

(٤)ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٤، صـ٢٣٧. والخزرجي العقود اللؤلؤية، جـ٣، صـ٧٦.

(٥)المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، صـ٣٨٧. ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٢٤.

الفصل الأول: العمارة الدينية في مكة المكرمة.

المبحث الأول: عمارة ا لمسجد الحرام.

الإصلاحات في (الكعبة المعظمة،المسجد الحرام،المنائر،الحجر، المقامات).

المبحث الثاني: العمارة في بعض المنشآت الدينية.

(المــدارس، المكتبات، الأربطــة، المواضــي، الأسبلة).

المبحث الثالث : العمارة في المشاعر المقــدسة.

(منى، عرفة)

المبحث الرابع: كسوة الكعبة.

الفصل الأول: العمارة الدينية في مكة المكرمة.

المبحث الأول: العمارة في المسجد الحرام .

الإصلاحات في الكعبة المعظمة:

منذ أن بنى خليل الله إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل البيت العتيق بأمر من الله عز وجل حيث يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] فقد أخذ عدد من الملوك والسلاطين والأمراء والوزراء التقرب إلى الله سبحانه بالاهتمام ببيته العتيق رغبة في الأجر والمثوبة ومن هؤلاء السلاطين الذين اهتموا بأمر الكعبة المعظمة ســـلاطين المماليك ((من ٦٤٨ـــ ٩٢٣ هـــ)) من بناء لما يوشك أن يتهدم من أجزائها أو تحلية بابها بالذهب والفضة وتزيين ميزابها وتحليتها بالرخام [2] إلى آخر أعمالهم التي سُجلت في كُتب التاريخ عنهم وقد حرصوا على رصد المبالغ المالية[3] لأعمال العمارة في الحرم الشريف وخصوصًا للبيت المعظم، واختيار بعض رجال الدولة من الأمراء لتنفيذ أعمال العمارة في الحرم الشريف كما حرص عدد من الأمراء والملوك في اليمن والعراق أن يكون لهم نصيب من عمارة الحرم وخصوصًا العمارة في الكعبة المعظمة في فترات من العصر المملوكي رغبة في الأجر

---

(١)سورة البقرة الآية: ١٢٧.

(٢)الرخام: نوع من الصخور يتكون بصفة خاصة من كربونات الجير التي تكونت بدورها على أثر التحولات العظمى في الصخور القديمة، ويرجع استخدام الرخام إلى أقدم العصور فقد استخدمه المصريون واليونانيون على نطاق واسع وكذلك الرومان، كما استخدمه العرب والبيزنطينيون في مبانيهم وهو يتميز بمتانة وجمال.

موسوعة المعرفة، جـــ١٢، صـــ٢١٠٢.

(٣)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، صـــ٢٣٨.

والمثوبة وتخليداً لذكراهم[1] حيث حرص عدد من السلاطين والملوك على كتابة أسمائهم وأعمالهم على رخام البيت الشريف، وقد بدأت العمارة في العصر المملوكي في الكعبة المعظمة في شوال سنة ٦٨٠هـ حيث أمر الملك المظفر صاحب[2] اليمن بتجديد رخام البيت الشريف من الداخل واثبت عمله هذا بكتابة رخامه وضعها في وسط الجدار الغربي من الكعبة المعظمة[3].ومع أن الملك المظفر ليس من سلاطين المماليك إلا أن ما قام به تم في العصر المملوكي .

وفي عام ٧٨١هـ تم تصليح سقف الكعبة حيث طُلي بالنورة وذلك لمنع تسرب ماء المطر إلى داخل الكعبة ولعل الدافع لهذا العمل تشقق الرخام الذي بسطح الكعبة.

وكان هذا العمل بجهود الأمير زين الدين بركة بن عبد الله[4] العثماني الذي كان يشغل منصب رأس نوبة[5] النوب في مصر وقد قام أيضًا بتحلية الحجر الأسود.

---

(١)الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام،جـ١،صـ١٩٤.وابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ١١٣. ومحمد صالح الحجبي، إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام، صـ١٧٨. وباسلامة،تاريخ الكعبة المعظمة، صـ٢٢٢.

(٢)الملك المظفر ملك اليمن يوسف المنصور بن عمر بن علي بن رسول ولي السلطنة بعد أبيه ثم قلده الخليفة العباسي اليمن واستمر حتى مات، حج سنة ٦٥٩هـ عمت صدقته بيوت مكة وغسل الكعبة وكساها وله مآثر كثيرة مات سنة ٦٩٤هـ.

الفاسي، العقد الثمين ، جـ٦، صـ٢٥٣.

(٣)الفاسي،شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام،جـ١،صـ١٩٤.وابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى،جـ٣، صـ١١٣. ومحمد صالح الحجبي ، إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام، صـ ١٧٨. وباسلامة ، تاريخ الكعبة المعظمة ، صـ٢٢٢.

(٤)الأمير زين الدين بركة العثماني كان أحد الأمراء الكبار في دولة السلطان المنصور علي بن السلطان الملك الأشرف، وقد استبد هو والأمير برقوق بالأمور في دولة المماليك ثم وقعت الفتنة بين الأميرين وانتهت بالقبض على بركة وسجنه في الإسكندرية ثم قتله سنة ٧٨٢هـ، وكان له مآثر بمكة المشرفة وبطريق الحجاز .

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٣١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ١١، صـ٢٠٤.

(٥)رأس نوبة النوب لقب الذي يتحدث على مماليك السلطان أو الأمير وتنفيذ أمره فيهم.

القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، صـ٤٥٠.

وقد نفذ هذه الأعمال الأمير سودون باشا بأمر سيده الأمير زين الدين بركة العثماني[1].

واستمرت هذه النورة بسطح الكعبة حتى عام ٨٠١هـ حيث كُشطت والأرجح أنها بُدلت بأخرى وذلك بأمر السلطان الظاهر[2] برقوق ونفذها أمير الحج[3] الرجبي في ذلك العام الأمير بيسق الشيخي وكان بصحبته المعلم أحمد بن الطولوني[4] المهندس الذي عينه السلطان لعمارة ما يحتاج عمارته من أجزاء الحرم والكعبة المعظمة[5] وقد كشف على رخام البيت من الداخل وأعاد إلصاق بعض الرخام الذي خُشي سقوطه في بعض جدران الكعبة المعظمة[6] وقام أيضاً بتحلية عتبة باب الكعبة العليا بالفضة وقد وضع بها مازنته ١٨٠٠ درهم وقام بتخليد هذا العمل في رخامه حملت اسم السلطان الظاهر برقوق

---

(١)الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جـ١، صـ٢٠٦. والفاسي العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٣١. والمقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٥، صـ٧٥. وابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٣٣٤.

(٢)الظاهر برقوق: هو أول من ولي السلطنة من ملوك الجراكسة بالديار المصرية بعد الملك المظفر بيبرس الجاشنكر، وقد حكم مرتين حيث خُلع ثم أعيد وهو جركسي الجنس قدم إلى مصر مع الخواجا عثمان فاشتراه الأمير يلبغا وسماه برقوق وكان اسمه سودن واعتقه وترقى حتى وصل إلى الإمارة وترقى حتى ملك مصر توفي سنة٨٠١هـ.
الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٢٩. والمقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٥، صـ٣٤٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ١٢، صـ١٠٦.

(٣)الحج الرجبي: يقصد بذلك العمرة الرجبية.

(٤)هو أحمد بن أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين بن المعلم شمس الدين الطولوني، كبير المهندسين كان أبوه وجده مهندسين وإليهما تقدمه الحجارين والبنائين بديار مصر وعليهما المعول في العمائر السلطانية، ويقال له المعلم، حج بسبب عمارة المسجد الحرام فمات راجعاً بين مر وعسفان، وتردد إلى مكة للهندسة على عمارة الحرم الشريف.
السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ٢٢١.

(٥)ابن فهد،إتحاف الورى بأخبار أم القرى،جـ٣،صـ٤١٠.وباسلامة، تاريخ عمارة الكعبة المعظمة، صـ٢٣٣.

(٦)الفاسي، سفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جـ١، صـ١٩٤.وابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى،جـ٣، صـ٤١٠. باسلامة، تاريخ عمارة الكعبة المعظمة، صـ٢٣٣.

وابنه الناصر فرج[1] ومنفذ العمارة وعلقت في جدار البيت الشريف[2] واستمر هذا الترميم لسطح الكعبة المشرفة حتى عام ٨١٤هـ حيث ظهر بسطح الكعبة بعض الشقوق مما أدى إلى تسرب مياه الأمطار إلى داخل الكعبة فقلع الرخام الذي بسطح الكعبة وأُصلح السقف بالجص[3] وغيرت أخشاب الروازين[4] التي بسطح البيت وأخشاب سلم الكعبة المتكسرة[5]؛ وقد بلغ من اهتمام سلاطين المماليك بالحرمين، وخصوصًا الحرم المكي الشريف والكعبة المعظمة أن يستشير السلطان القضاة والمشايخ وأهل العلم لسؤالهم عن الإنفاق في إصلاح ما يحتاج إصلاح من بناء الحرم الشريف والكعبة المعظمة، مثل ما فعل

---

(١)الفاسي،شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام،جـ١،صـ٢٠٦.وابن فهد،إتحاف الورى بأخبار أم القرى،جـ٣، صـ٤١٠.

(٢)هذه العمارة كانت في أواخر عهد السلطان الظاهر برقوق وبداية عهد ابنه الملك الناصر فرج حيث أن السلطان برقوق توفي في الخامس عشر من شوال سنة ٨٠١هـ، وذلك بعد خروج المحمل المصري إلى الحج مع الأمير بيبسق، وكذلك كتب اسم السطان الظاهر برقوق الآمر بالعمارة واسم ابنه الذي تمت في عهده العمارة. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٥، صـ٤٤٣.

(٣)الجص هو الجبس، وهو كبريتات الكالسيوم مركب من مركبات الكالسيوم يُعرف بمسحوق الجبس أو عجينة باريس، وقد تكونت رواسب الجبس منذ ملايين السنين وذلك تبخر الماء الذي يحتوي على مركبات الكالسيوم. موسوعة المعرفة، جـ١، صـ٦.

(٤)الروازن جمع روزن، وهو الخرق في أعلى السقف وقال له الكوة والروزن وهي فتحات في سقف الكعبة كانت للضوء. وهي أربعة روازن ((فتحات)) نافذة من السقف الأعلى إلى السقف الأسفل.
ابن منظور، لسان العرب، جـ١٥، صـ٢٨٤. والفيروز أبادي، القاموس المحيط، جـ٥، صـ١٣٠. والفاسي شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جـ١، صـ٢٠٥.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جـ١، صـ١٩٧. والفاسي، العقد الثمين ، جـ١، صـ٢١٩. والفاسي، الزهور المقتطفة، صـ٦٢. وابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٤٨٧. وباسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة، صـ٢٣٢.

السلطان المؤيد[١] شيخ عندما تولى السلطنة في مصر[٢]، وقد كان الحجاج الذين يقدمون إلى الحرم الشريف لأداء فريضة الحج يحملون في عودهم أخباراً للدولة عن حال الحجاج وأحوال بناء الحرم والكعبة المعظمة.

وقد كان يحمل هذا الخبر مبشروا[٣] الحاج الذين يقدمون الحملة، أثناء عودها ليبشروا السلطان، ورجال الدولة بسلامة الحجاج، فقد أخبر مبشروا الحاج سنة ٨٢٣هـ ((أن مسجدي مكة والمدينة قد تشعثا ويخاف خرابهما، وأن الجانب الشامي من الكعبة قد آل إلى السقوط))[٤] وذلك من حرصهم على البيت الشريف ومحبتهم له، وقد تكون بعض الأخبار فيها شيء من المبالغة حيث أن الجانب الشامي من البيت لم يسقط خلال ذلك العام و لم تتعرض له الدولة بالترميم والإصلاح في العام الذي يليه، والترميمات التي حدثت في عام ٨٢٥هـ لم تتعرض للجانب الشامي من البيت الشريف، وفي نفس الوقت لم يذكر مبشروا الحاج في العام التالي عام ٨٢٤هـ تشقق في الكعبة في جانبها الشامي.

وفي عام ٨٢٥هـ أصلح بسطح الكعبة رخامًا تجاه الميزاب والروازن وجددت الأخشاب التي بسطح الكعبة لربط الكسوة[٥]. وقام بهذه الإصلاحات الأمير مقبل

---

(١)السلطان المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري أبو النصر هو السلطان الثامن والعشرين من ملوك الترك بالديار المصرية والرابع من الجراكسة، أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق ثم أعتقه وترقى في مناصب الدولة حتى استولى على الملك بعد القبض على الملك الناصر فرج وقتله وذلك في شعبان سنة ٨١٥هـ.

المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٦، صـ٣٣٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ١٤، صـ٢.

(٢)المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٦، صـ٤٩٠.

(٣)مبشرو الحاج: أول من يصل من الحجاج إلى مصر يبشرون السلطان ورجال الدولة بسلامة الحاج وقدومه وما يحصل له في طريقة إلى المشاعر المقدسة والوقوف بعرفة والوضع في الحجاز.

المصدر السابق، جـ٢، صـ٤٢١.

(٤)المصدر السابق، جـ٧، صـ٥.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جـ١، صـ١٩٥. والفاسي، العقد الثمين ، جـ١، صـ٢١٩. وابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٥٨٧. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٤٢٧. وباسلامة، تاريخ عمارة الكعبة المعظمة، صـ٢٣٢.

القديدي[1] بأمر السلطان برسباي[2]، وفي عام ٨٢٦هـ قام الأمير مقبل بتجديد بعض الرخام بأرضية الكعبة المشرفة وفي جدرانها[3]، وأصلح إحدى إسطوانات[4] البيت التي كادت أن تسقط فأعيدت كسابق عهدها وتخليداً لهذه الأعمال قام الأمير مقبل بكتابة اسم السلطان بعد البسملة والدعاء للسلطان بالخير والقبول على لوح رخام وأُلصق على الحائط اليماني للكعبة المعظمة من داخلها مسجلاً به تاريخ العمارة سنة ٨٢٦هـ[5].

وفي عام ٨٣٨هـ قامت الدولة بعمارة في الكعبة المعظمة على يد الأمير سودون المحمدي[6] حيث شملت العمارة سقف الكعبة المعظمة حيث نقض ثم عُمر، وبعض

---

(١)الأمير مقبل القديدي، كان له إصلاحات كثيرة بالحرمين وكان قائماً بالعمارة بالحرم المكي من قبل السلطان برسباي، وقد عمر عين حنين، والميضاءة الصرغتمشية وأنشأ السبيل المنسوب إليه بالمعلاة.

ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٥٨٧، جـ٤، صـ٥٢.

(٢)السلطان برسباي: الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري جلس على تخت الملك يوم خُلع الملك الصالح محمد بن الملك الظاهر طهر سنة ٨٢٥هـ، وهو الثامن من سلاطين الجراكسة والثاني والثلاثون من ملوك الترك بالديار المصرية، مات سنة ٨٤١هـ.

المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٧، صـ٥٥. وابن تغري بروي، النجوم الزاهرة، جـ١٤، صـ٢٤٢. وابن فهد، الدر الثمين، جـ١، صـ٦٤٦.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ١٩٥. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٩٧. وباسلامة، تاريخ عمارة الكعبة المعظمة، صـ٢٢٢.

(٤)يوجد بالكعبة المعظمة ثلاث اسطوانات بين كل واحدة منها والأخرى أربعة أذرع ونصف، وتقوم على كراسي من ساج، والأسطوانة الأولى هي التي أمام باب الكعبة بين الركن اليماني والحجر الأسود.

الأزرقي، أخبار مكة، جـ١، صـ٢٩١.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ١٩٦. والفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ٢١٩.

ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٩٧. والنهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، صـ٢٢٧. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن ، جـ١، صـ٢٠٤.

(٦)سودون المحمدي الظاهري، كان مع الظاهر برقوق فلما قتل خدم عند المؤيد شيخ فترة قصيرة خاصكياً، وفي أيام الأشرف رأس نوبة الجمدارية، ثم أرسله لمكة، وتولى نظر الحرم مات بدمشق سنة ٨٥٠هـ.

ابن فهد، الدر الثمين، جـ٣، صـ٧٦٣.

الإصلاحات في بناء الكعبة الخارجي ورخام الشاذروان[1] [2]. وبعد أربع سنوات من عمارة الأمير سودون تبين أنها لم تكن بالإتقان الذي يسمح باستمرارها لعدة سنوات وذلك لتسرب الماء من سقف الكعبة المعظمة، ولعل السبب عدم تمييل سطح الكعبة تجاه الميزاب بحيث يتسرب الماء النازل عليها من المطر بسرعة، وذلك لاستواء السطح ووجود أخشاب الكسوة فأعاد الأمير سودون نقض الرخام وإصلاحه وشمل الإصلاح أيضاً رخامًا بداخل الكعبة في الجدار الغربي، وكان هذا العمل سنة ٨٤٣هـ في شهر صفر [3].

وفي عام ٨٤٦هـ غُير بعض رخام الشاذروان[4]، وفي عام ٨٤٧هـ أُصلح جدار الكعبة المعظمة من جهة الغرب، وأصلح حجر تحت الميزاب[5]. وفي عام ٨٨٤هـ جدد السلطان قايتباي[6] رخام الكعبة المشرفة من الداخل، وكتب بذلك على رخامه أُلصقت في الجدار الشرقي للكعبة تاريخ عمل هذا التجديد[7].

---

(١)هي الأحجار التي بأسفل الكعبة والتي يقوم عليها البناء من ثلاث جهات ماعدا الجهة الشمالية وعددها ثمانية وستون حجراً. وحجارة الشاذروان في عصرنا الحاضر كلها من حجر الرخام الأبيض الصلب .
الأزرقي، أخبار مكة، جـ١، صـ٣٠٩، محمد طاهر كردي ، التاريخ القويم ، ج ٣،ص ٢٩٧

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٨٢. وابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٧٦٢. والمقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٧، صـ٢٧٦. وابن حجر، أنباء الغمر، جـ٨، صـ٣٣٠. وابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، صـ١٥٨.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ١٤٨. وابن فهد، الدرر الكمين، جـ٢، صـ٧٦٢. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٣٠. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن ، جـ١، صـ٢٣٤.

(٤)ابن فهد إتحاف الورى ، جـ٤، صـ١٩٦، باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة، صـ١٤٦.

(٥)المصدر السابق، جـ٤، صـ٢١٩. والمصدر السابق، صـ١٤٦.

(٦)قايتباي: هو السلطان الحادي والأربعون من ملوك الترك بمصر والخامس عشر من الجراكسة تولى بعد خلع الملك الظاهر تمربغا سنة ٨٧٢هـ وتلقب بالملك الأشرف وقد كان من مماليك الملك الأشرف برسباي ثم التحق بالظاهر جقمق واعتقه وصار خاصكياً ثم ترقى في المناصب حتى وصل إلى حكم مصر واستمر إلى وفاته سنة٩٠٦ هـ. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٦، صـ٣٩٥. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٢٠١. والنهروالي، الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، صـ٢٥٤.

(٧)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٨، صـ٢٦٠. ومحمد صالح الحجي، إعلام الأنام، صـ١٨٤، وباسلامة، تاريخ عمارة الكعبة المعظمة، صـ١٣٨.

العمارة في الحجر[1] الشريف:

كانت عمارة الحجر الشريف في العصر المملوكي تشمل ترميمات بين الحين والآخر لجدار الحجر من الداخل والخارج والأعلى بالرخام كلما احتاج إلى ذلك، وكذلك فرش الحجر بالرخام، وإصلاح ما يتلف منه، وقد بلغت عدد مرات الترميم والإصلاح خمس عشرة مرة منها مرتين نقض جدار الحجر جميعه، وأعيد بالرخام وكانت العمارة على النحو التالي:

عمارة الحجر بالرخام من قبل الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٨٢هـ[2].ثم في سنة ٧٢٠هـ عُمر الحجر بالرخام في عهد السلطان محمد[3] بن قلاوون[4].

وفي سنة ٧٨١هـ عُمر رخام الحجر على يد الأمير سودون باشا[5].

وفي سنة٨٠١هـ عُمر رخام الحجر على يد الأمير بيبسق[6]الشيخي.بأمر السلطان[7] برقوق.

---

(١)الحجر جزء من الكعبة قصرته قريش في بنائها ويبلغ ستة أذرع وشبر. الأزرقي، أخبار مكة، جـ١، صـ٢٠.

(٢)الأرجح أن هذه العمارة صاحبت عمارة الملك المظفر لرخام الكعبة سنة ٦٨٢هـ، وقد ثبتت هذه العمارة بذكرها مع باقي العمائر للحجر على رخامة بعد آخر عمارة للحجر سنة ٩١٧هـ.

الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٠٩. وابن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٥١٩.

(٣)هو الملك الناصر محمد بن السلطان المنصور قلاوون الصالحي النجمي، ولد بالقاهرة سنة ٦٨٤هـ، بقلعة الجبل، جلس على عرش الملك بعد قتل أخيه الملك الأشرف صلاح الدين خليل سنة ٦٩٣هـ، وهو السلطان التاسع من ملوك الترك بالديار المصرية، وقد تقلد الملك ثلاث مرات يُخلع فيعود حتى توفي سنة ٧٤١هـ.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٨، صـ٤١.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٤٠. الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٠٩. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٧٢.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٠٩. وابن فهد، اتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٣٤.

(٦)الأمير بيبسق الظاهري الشيخي أحد مماليك الظاهر برقوق ترقى حتى صار من أمراء الطلبخاناة، ولي أمره الحاج في الأيام الظاهرية والناصرية، وولي عمارة المسجد الحرام لما احترق سنة ٨٠٣هـ، ثم تنكر عليه الناصر فرج وأخرجه من القاهرة إلى بلاد الروم منفياً، وعاد في سلطنة المؤيد شيخ وأقام في داره، مات بالقدس سنة ٨٢١هـ.

المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٦، صـ٤٨٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٤، صـ١٥٠.

(٧)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٠٩. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤١٢.

وفي سنة ٨٢٢هـ عُمر الكثير من رخام الحجر بالجبس[١].

وفي سنة ٨٢٦هـ عُمرأغلب رخام الحجر من جميع جوانبه وكذلك باطن الحجر[٢] على يد الأمير مقبل القديدي.

وفي سنة ٨٣٢هـ، ثم في الحجر بعض الإصلاحات بالرخام[٣].

و في سنة ٨٣٨هـ استقدم رخام من مصر لعمله في الحجر و الشاذروان، وكان القائم بالعمارة في ذلك الوقت في المسجد الحرام الأمير سودون المحمدي[٤].

وفي سنة ٨٤٣هـ تم إصلاح رخام الحجر على يد الأمير سودون المحمدي[٥].

وفي سنة ٨٤٧هـ غير الرخام الذي بأرض الحجر جميعه[٦].

وفي سنة ٨٧٣هـ رخم الأمير شاهين[٧] الحجر[٨].

وفي سنة ٨٨١هـ غُير رخام الحجر من الداخل والخارج[٩].

وفي سنة ٩١٦هـ في ربيع الأول هُدم جدار الحجر جميعه وشُرع في بنائه من الخارج بالحجارة ومن الداخل بالرخــام ، وانتهى العمل منه في تاسع ربيع الثاني من نفس السنة[١٠]

---

(١)المصدر السابق، جـ١، صـ٤١٠. والمصدر السابق، جـ٣، صـ٥٦٧.

(٢)المصدر السابق، جـ١، صـ٤١٠. والمصدر السابق، جـ٣، صـ٥٩٧.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٤٦.

(٤)المصدر السابق، جـ٤، صـ٨٢.

(٥)المصدر السابق، جـ٤، صـ١٤٨.

(٦)المصدر السابق، جـ٤، صـ٢١٩.

(٧)هو شاهين الجمالي ناظر الخاص يوسف بن كاتب جكم ولد سنة ٨٣٨هـ، ترقى في المناصب حتى شغل شادية جدة سنين وحمدت مباشرته لكمال عقله ورفقه وفهمه مع إقباله على العلم، قام بعمارة المسجد المكي، وأجرى عين حنين، وله بالمدينة آثار.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٩٣.

(٨)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٤٩٣.

(٩)المصدر السابق، جـ٤، صـ٦٠١.

(١٠)ابن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤٤٥.

وفي سنة ٩١٦هـ في شهر شوال أعيد ترخيم الحجر من الخارج على يد المهندس ابن عباد الله الرومي(١).

وفي سنة ٩١٧هـ نقضت العمارة السابقة وأُعيدت عمارته من جديد لعدم جودة العمارة السابقة وسجل في أعلاه أسماء من عمل في إصلاح وترميم وبناء الحجر من الملوك وكان ذلك على يد الأمير خاير بك المعمار(٢) بأمر السلطان قانصوه الغوري(٣) (٤).

باب الكعبة(٥) المعظمة وحليته:

شمل اهتمام المماليك باب الكعبة المعظمة بالتغيير والتحلية، ومن ذلك أن باب الكعبة المعظمة غُير في العصر المملوكي ثلاث مرات كانت على النحو التالي:

١ــ باب عمله المظفر ملك اليمن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، والأرجح أن هذا كان سنة ٦٥٩هـ حيث حج الملك المظفر وقيل أنه عمل للكعبة باباً (٦).

---

(١) المصدر السابق، جـ١، صـ٤٧٢.

(٢) المصدر السابق، جـ١، صـ٤٤٥. والنهروالي، الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، صـ٢٥٩. والطبري، الأرج المكي، صـ١٥٧. والعصامي، سمط النجوم العوالي، جـ٤، صـ٥٢.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، ١٩٩. الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ٢٥٣. والفاسي، الزهور المقتطفة، صـ٦٢. المقريزي، السلوك، جـ٣، صـ١٦٧. ومحمد صالح الحجبي، إعلام الأنام، صـ١٧٨.

(٤) قانصوه الغوري الظاهري الأشرفي أبو النصر سيف الدين تولى السلطنة سنة ٩٠٦هـ عمر في عهده بعض أروقة المسجد الحرام وباب إبراهيم وسور جدة ....الخ. كان جسيماً مهاباً قتل في معركة مرج دابق أمام العثمانين عام ٩٢٣هـ.

الطبري، الأرج المسكي، صـ٢٨٤. والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ٢، صـ٥٤.

(٥) الباب الكريم مرتفع من الأرض، وهو من فضة مذهبه الصنعة رائق الصنعة يستوقف الأبصار حسناً، وعضادته كذلك، والعتبة العليا كذلك وعلى رأسها لوح مذهب خالص، أبرز في سعته مقدار شبرين، وللباب نقرتا فضة كبيرتان، يتعلق عليهما قفل الباب، وهو ناظر للشرفة، وسعته ثمانية أشبار.

خالد البلوي، تاج المغرق في تحلية علماء المشرق، جـ١، صـ٣٠١.

(٦) الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ١٩٩. الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ٢٥٣. الفاسي، الزهور المقتطفة، صـ٦٢. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، صـ١٦٧. محمد صالح الحجبي، إعلام الأنام، صـ١٧٨.

٢ــ باب عمله السلطان محمد قلاوون، انفق على تحليته ٣٥٣٠٠ درهماً وركب سنة ٧٣٣هـ[١].

٣ــ باب عمله الملك الناصر[٢] حسن بن محمد بن قلاوون سنة ٧٦١هـ[٣] وقد عُمل بمكة من خشب الساج وتم تحليته سنة ٧٧٦هـ بأمر الملك الأشرف شعبان[٤] [٥].

ثم توالت أعمال التحلية للباب الشريف ولم يكن هناك تغيير له ومن ذلك تحلية الجانب الأيمن للباب عام ٨١٠هـ بتكلفة بلغت مائة درهم وتسعين درهماً[٦] وفي عام ٨٥١هـ حلى ناظر الحرم بيرم[٧] خجا باب الكعبة بالفضة وطلاه بالذهب[٨]

---

(١)ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٤، صـ١٦٢. والفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ١٩٩. والفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٤٠. الفاسي، الزهور المقتطفة، صـ٦٢. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٠٣. وابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، صـ٤٦١. المقريزي، السلوك المعرفة دول الملوك، جـ٣، صـ١٦٧.

(٢)هو السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الألفي أمه أم ولد ماتت عنه وهو صغير، عُين ملكًا سنة ٧٤٨هـ وعمره إحدى عشرة سنة، وهو السلطان التاسع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية، والسابع من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون وقد كان مفرط الذكاء عاقلاً، وفيه رفق بالرعية، متديناً شهمًا، عالي الهمة كثير الصدقات قُتل سنة ٧٦١هـ.

ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،جـ١٠،صـ١٨٧، ٢٣٣.والمقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،جـ٤،صـ٥٨.

(٣)الفاسي، شفاء والغرام، جـ١، صـ١٩٩. الفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ٢١٩. والفاسي، الزهرو المقتطفة،صـ٦٢.وابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،جـ١٠،صـ٣١٦.ومحمد صالح الحجي،إعلام الأنام،صـ١٨١.

(٤)هو السلطان شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي النجمي، تولى الملك سنة ٧٦٤هـ، وعمره عشرة سنين بعد خلع الملك المنصور محمد بن حاجي، واستمر إلى عام ٧٧٨هـ حيث قُتل في ذي القعدة.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١١، صـ٢٤، ١٣٤.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٢١.

(٦)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٢٠٠. والفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ٢٢٠. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥١٠. النهروالي، الأعلام، صـ٢٢٥. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٤١٤. الطبري، تاريخ مكة، جـ١، صـ١٩٠.

(٧)بيرم خجا قشتدي أصلى بن أصباي ناظر المسجد الحرام المكي، وصل لمكة مع الحجاج سنة ٨٥٠هـ ناظراً على المسجد الحرام عن الخواجا بدر الدين الطاهر ومحتسباً عن القاضي محب الدين واستمر ثلاث سنين. ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٦٥٨. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٧٣.

(٨)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٧٣.

هذا بالنسبة للباب الشريف، أما ميزاب[1] الكعبة فلم يحدث أن غُير ميزا بها خلال العصر المملوكي بل حُلي مرتين الأولى سنة ٧٧٦هـ بأمر السلطان الأشرف شعبان بن حسين[2] والثانية على يد الأمير سودون المحمدي سنة ٧٨١هـ[3].

العمارة في المسجد الحرام :

لم يقتصر اهتمام سلاطين المماليك بالكعبة المعظمة، ولكن شمل اهتمامهم جميع أجزاء المسجد الحرام بالبناء والترميم، وسنستعرض ما عمله سلاطين المماليك في الحرم الشريف من عمارة وترميم مبتدئين بالبناء في المسجد الحرام ومن ذلك:

— في عام ٧٢٧هـ جدد سطح المسجد الحرام بأمر من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقد قام بالعمارة الأمير علاء الدين[4] بن هلال الدولة الشيزري[5].

— في عام ٧٣٦هـ، غُيرت الأساطين التي حول المطاف وقد كانت من الأخشاب فجعلت بناءً بالحجارة وجعل بينها أخشاب لتعليق القناديل للإضاءة حول الكعبة[6].

---

(١)ميزاب الكعبة هذا عمله الخليفة العباسي الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن الخليفة المستضيء تولى الخلافة سنة ٥٧٥هـ، وهو خشب مبطن برصاص في الموضع الذي يجري فيه الماء، وظاهر مما يبدو للناس مطلي بفضه، ومكتوب فيه اسم الخليفة الناصر العباسي.

ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٣٤. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١، صـ١٨٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٢٢، صـ١٩٢.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٢٥٨. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٢١.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ١٩٧. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٣٤. باسلامة، تاريخ عمارة الكعبة المعظمة، صـ١٩٢.

(٤)هو الأمير علي بن هلال الدولة الشيزري، ولد بشيزر، ثم قدم مصر وباشر شده العمارة ندبة السلطان الناصر لعمارة المسجد الحرام في شوال سنة ٧٢٧هـ، ولما أنجز مهمته عينه الناصر في شد الدووابن.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، صـ٨٠.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٨٥، ١٨٧. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، صـ١٠٢. الطبري، تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ١٤٧.

(٦)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٤٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٠٧.

ـــ في عام ٧٤٧هـــ في مدة حكم السلطان المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون عُملت عمارة في سقف المسجد الحرام بالقرب من رباط السدرة[١]. وقد أُرسل البناءون والنجارون والعمال من مصر[٢] مما يدل على اهتمام الدولة بعمارة المسجد الحرام.

ـــ في عام ٧٤٩هـــ في مدة حكم السلطان الناصر حسن عُملت إصلاحات في المسجد الحرام شملت الأعمدة التي بنيت حول المطاف عام ٧٣٦هـــ وذلك لتعرضها للتلف وخُشي سقوطها[٣].

ـــ وفي عام ٧٦٦هـــ أحدثت الدولة إصلاحات بالمسجد الحرام حيث أُكمل المطاف بالأحجار المنحوتة، وتم تبييض سطح المسجد الحرام وذلك بأمر من السلطان الأشرف شعبان[٤].

ـــ وفي عام ٨٠٢هـــ في ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال حدث الحريق الكبير بالمسجد الحرام في الجهة الغربية وبعض الجزء الشمالي و لم تلتهم النار الجزء الشمالي جميعه لانهدام عمودين من أعمدة المسجد الحرام بسبب سيل دخل الحرم في شهر ربيع الأول من نفس العام وكان سبب هذا الحريق اشتعال حدث برباط[٥] رامشت المجاور للمسجد الحرام ووصل خبر هذا الحريق إلى الدولة بمصر مما أدى إلى سرعة الاهتمام بإعادة عمارة المسجد الحرام، فعينت الدولة الأمير بيسق الظاهري للقيام بعمارة المسجد الحرام فقدم في موسم سنة ٨٠٣هـــ،وبعد انتهاء موسم الحج وسفر الحجاج إلى ديارهم شرع الأمير بيسق في العمارة، حيث كشف عن أساس العمارة السابقة ورفع عليها البناء من جديد، واستخدم في البناء أحجاراً قطعت من الجبال المحيطة بالمسجد الحرام، وأعاد ما استطاع إصلاحه من

---

(١)رباط السدرة يقع بالجهة الشرقية من المسجد الحرام بالقرب من باب بني شيبة.الفاسي، شفاء الغرام ،جـــ١، صـــ٦٠٧.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٣، صـــ٢٣٣.

(٣)المصدر السابق، جـــ٣، صـــ٢٣٧.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـــ٤، صـــ٢٥٨. وابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٣، صـــ٣١٤.

(٥)هو رامشت بن الحسين بن شيروية الفارسي، يكنى أبا القاسم واسمه إبراهيم كان من أعيان تجار العجم، وخيارهم له في الكعبة ومكة المكرمة آثار تحمد توفي في شعبان سنة ٥٣٤هـــ.الفاسي،العقد الثمين،جـــ٤،صـــ٨٧.

أعمدة المسجد الحرام السابقة التي كانت من الرخام، وأتم الأمير بيسق عمله في أواخر شعبان سنة ٨٠٤هـ ولم يبق عليه سوى تسقيف المسجد وذلك لعدم وجود أخشاب تصلح لذلك، وعاد الأمير إلى مصر ثم قدم سنة ٨٠٧هـ وقد جلب الأخشاب اللازمة لتسقيف المسجد وشرع في العمل واستعان بكثير من خشب العرعر ((الساج)) لعدم كفاية الخشب الذي أتى به، وأكمل العمارة على أحسن وجه في نفس السنة[١].

ـ وفي سنة ٨١١هـ جُدد عقد المروة[٢] بعد سقوطه من قبل السلطان الظاهر برقوق[٣] ولم يقتصرعمارة المسجد الحرام في العصر المملوكي على السلاطين بل يحدث أن يتبرع أحد الموسرين بعمارة ما يحتاج إليه المسجد في بعض الأوقات، ومن ذلك ما تم سنة ٨١٥ من عمارة عقدين بالمسجد الحرام من قبل أحد الموسرين وقد قام بالإشراف على العمارة الشيخ جمال الدين[٤] محمد بن عبد الله بن ظهيرة قاضي مكة آنذاك[٥].

---

(١)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٣١. ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٢٠. وأحمد بن مكي، أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، صـ١٨٦.

ابن ظهيرة، الجامع اللطيف، صـ٢٠٣. وابن إياسي، بدائع الزهور، جـ١، صـ٥٨٨. العصامي، سمط النجوم العوالي، جـ٤، صـ٣٣. ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ١٣. السنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٤٠٠. الطبري، تاريخ مكة، جـ١، صـ١٨٠. باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، صـ٨٥.

(٢)المروة: هي الموضع الذي هو منتهى السعي، وهي في أصل جبل قعيقعان.

الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٥٨٣.

(٣)المصدر السابق، جـ١، صـ٥٨٤. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٥٧. والنهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، صـ٢٢٢.

(٤)هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشي المكي، قاضي مكة و خطيبها، وفقيهها وكان أكثر من يفتي بمكة، ولي قضاء مكة ٨٠٦هـ، كان ذا حظ عظيم من الخير والعبادة والعفاف والصيانة، توفي سنة ٨١٧هـ.

الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ٢، صـ٩٤. د.سعد فهمي أحمد، البدر التمام فيمن لقب من العلماء بشيخ الإسلام، جـ٢، صـ٦٧٨.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٣٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٨٧. السنجاري، منائح الكرام، جـ٣، صـ٤١٤.

ـ وفي عام ٨٢٥هـ حصل بالمسجد الحرام ترميمات شملت جوانب من السقف وعدد من الأعمدة والجدران بالبناء والإصلاح و قام بهذه العمارة الأمير مقبل القديدي [١].

ـ وفي عام ٨٣٠هـ حدث بالمسجد الحرام إصلاحات شملت صحن المسجد الحرام وتسويته وعمارة عدد من العقود وذلك على يد سعد الدين[٢] إبراهيم القبطي[٣].

ـ وفي عام ٨٣٨هـ قدم الأمير سودون المحمدي لمكة لعمارة ما يحتاج عمارة من المسجد الحرام وقدم إليه ما يحتاجه من جبس وحديد وأخشاب من مصر وقام بأعمال الترميمات[٤] وقد توالت أعمال هذا الأمير حتى أنه سنة ٨٤٣هـ قام بأعمال ترميمات أيضًا شملت رفوف[٥] المسجد الحرام وأجزاء أخرى منه[٦].

ـ وفي عام ٨٤٦هـ حدثت إصلاحات بالمسجد الحرام شلمت سقف الرواق[٧] الغربي من المسجد وشملت أيضاً إصلاح أرض المطاف وكانت على يد الأمير[٨] تنم[٩].

---

(١)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٣٤. ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٨٩. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٠٤. والنهروالي، الإعلام بيت الله الحرام، صـ٢٢٧.

(٢)هو إبراهيم سعد الدين القبطي الناصري يعرف بابن المرة ويقال ابن المرأة، ولي نظر الديوان المفرد في أيام السلطان الأشرف برسباي، ثم صُرف وولي بندر جدة وحصل منها ثورة زائدة، وقد جدد جامع جدة، مات بالقاهرة سنة ٨٤٤هـ. السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ١٨٤.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٦٣٧.

(٤)المصدر السابق، جـ٤، صـ٨٢.

(٥)الرفوف بروز خشبي أعلى الفتحات، ويثبت في الحائط فوق المقاعد أو المساطب للوقاية من المطر، وأشعة الشمس كما يستخدم في تغطية الميضأة ووسط الصحن في المدارس والمساجد.
سعيد عاشور، التراث المعماري في العصر المملوكي، صـ٤٤١.

(٦)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ١٥٠. النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، صـ٢٣٥. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٣٤. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٣٠.

(٧)الرواق هو الساحة المحصورة بين صفين من الأعمدة أو بين صف أعمدة وجدار بشرط أن تكون موازية لجدار القبلة أو ممتدة من الشمال إلى الجنوب.

د. عاصم رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، صـ١٢٥.

(٨)هو الأمير تنم تنبك البردبك الظاهري برقوق، صار خاصكيًا في الأيام المؤيدية ورأس نوبة الجمدارية، وترقى في المناصب، تولى أمره الحاج غير مرة توفي سنة ٨٦٢هـ. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٤٢.

(٩)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ١٩٦.

ــ وفي عام ٨٥٢هـــ قام ناظر الحرم الأمير بيرم خجا بإصلاحات في الجانب الشرقي من المسجد الحرام وبعض الأروقة[١].

ــ وفي عام ٨٥٤هـــ أُصلحت بعض سقوف المسجد الحرام على يد الأمير[٢] بردبك التاجي[٣].

ــ وفي عام ٨٧٣هـــ عُملت بالمسجد الحرام ترميمات كبيرة شملت سطح المسجد الحرام وجددت ألوان المسجد الحرام وأبوابه باللون الأبيض[٤].

ــ وفي عام ٩١٥هـــ أجريت بالمسجد الحرام إصلاحات كثيرة شملت تغير الأخشاب التالفة بأخشاب استقدمت عن طريق البحر وذلك لأن هذه الأخشاب تكون أكثر تحملاً مثل التي استخدمت في العمارة عام ٨٠٣هـــ وشملت الإصلاحات أيضاً أخشاب الشبابيك بالمسجد الحرام، وترخيم ما يحتاج الترخيم[٥]، كما شملت الإصلاحات عمل مجرى لتصريف الماء المستخدم من ماء زمزم في الوضوء والاستحمام إلى خارج المسجد الحرام[٦] من الجهة الغربية. وهذا العمل يدل على كثرة الحجاج والمعتمرين في استخدامهم لماء زمزم.

ــ وفي عام ٩١٨هـــ أصلح بأرض المطاف ما تشقق منه بإذابة الرصاص ووضعه في الحفر لأن الرصاص يتشكل على نفس حجم الشقوق والحفر التي يُصب فيها، ولا يكون بارزاً يؤذي الطائفين[٧].

---

(١)المصدر السابق، جـــ٤، صـــ٢٨٠. الطبري، تاريخ مكة، جـــ١، صـــ٢٣٨.

(٢)الأمير بردبك التاجي الخاصكي، عُين سنة ٨٥٤هـــ في جمادي الآخرة ناظرًا للحرم ومحتسبًا بمكة على الأربطة والأوقاف والصدقات وأن يكون شاد العمائر عوضًا عن السيفي بيرم خجا الأشرفي.

السخاوي، التبر المسبوك، صـــ٣٢٠.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٤، صـــ٢٩٨. النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، صـــ٢٣٧.

(٤)ابن فهد ، إتحاف الورى ، جـــ٤، صـــ٤٩٣.

(٥)ابن فهد، بلوغ القرى، جـــ١، صـــ٤١٠.

(٦)المصدر السابق، جـــ١، صـــ٤١٤.

(٧)المصدر السابق، جـــ٢، صـــ٥٧٢.

ـ وفي عام ٩٢٠هـ أُصلحت أرض المطاف بالنورة[١] ولعل الدافع لذلك تآكل الرصاص من كثرة الطائفين فاستبدل بالنورة[٢].

مقام[٣] إبراهيم عليه السلام:

اهتم سلاطين المماليك بمقام إبراهيم عليه السلام خلال اهتمامهم بالمسجد الحرام من الإصلاح والمتابعة لما يحتاجه من ترميم وتزيين على مدى مدة رعايتهم واهتمامهم بالحجاز، ومن ذلك أنه في سنة ٧٢٨هـ في مدة حكم الملك الناصر عمّر علي بن هلال الدولة شبابيك مقام الخليل عليه السلام من جميع جوانبه بالحديد بدل الخشب[٤] واستمرت الأعمال بالمقام الشريف حيث جددت القبة عام ٨١٠ هـ[٥]، وفي عام ٨٣٠هـ دهن أعلى قبة المقام باللون الأبيض وكذلك عام ٨٤٣هـ[٦]. وفي عام ٩١٥ هـ غير لون القبة إلى اللون الأخضر وطُرز أسفلها بالذهب وكذلك سقفها[٧]، وفي عام ٩١٦هـ حصل في قبة المقام بعض الشقوق مما دعى إلى إصلاحها بالرصاص والتحلية بالذهب[٨]. وهذا يدل على مكانة المشاعر في قلوب سلاطين المماليك وأهميتها لديهم.

---

(١)النورة من الحجر الذي يحرق، ويسوى منه الكلس.

ابن منظور، لسان العرب، جـ١٤، صـ٣٢٤.

(٢)ابن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٦٧٣.

(٣)موضع المقام فيه عالية من خشب ثابتة قائمة على أربعة أعمدة دقاق حجارة منحوتة بينها أربعة شبابيك من حديد من الجهات الأربع، ومن الجهة الشرقية يُدخل إلى المقام والقبة مما يلي المقام منقوشة مزخرفة بالذهب، ومما يلي السماء مبيضة بالنورة، والمقام بين الشبابيك الأربعة الحديد في قبة من حديد ثابت في الأرض، والقبة التي عليها ثابتة أيضاً في الأرض برصاص مصبوب، ويتصل بهذه القبة ساباط يصلي فيه الإمام الشافعي وظهاره كظاهر القبة مبني بحجارة منورة وباطنة وباطن القبة فيما يبدو للناس مزخرف بالذهب.

الفاسي، الزهور المقتطفة، صـ٩٧. والفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٣٨٨.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٨٧.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٥٧.

(٦)المصدر السابق، جـ٣، صـ٦٣٧،جـ٤ ، صـ١٥٠.

(٧)ابن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤١٥.

(٨)المصدر السابق، جـ١، صـ٤٤٥.

عمارة المقامات:

شمل اهتمام سلاطين المماليك المقامات الأربعة التي بالمسجد الحرام وهي مواضع قيام الأئمة الأربعة بالمسجد الحرام والمقام مأخوذ من القيام بمعنى الوقوف[١] وهي عبارة عن مواضع زُينت بالأخشاب المزخرفة[٢] يصلي بها الأمة الأربعة وهم الشافعي والمالكي والحنبلي والحنفي ويصلي خلف كل منهم أتباع مذهبه وقد اهتم سلاطين المماليك بأمر المقامات وعمارتها وترميمها، فقد شملها الإصلاح على مدى عصر حكم المماليك للحجاز ومنها: تجديد المقامات في عهد السلطان الأشرف شعبان سنة ٧٧٦هـ، وقد اهتم سلاطين المماليك بالمقام الحنفي أكثر من غيره وذلك أن أكثر أتباع المذهب الحنفي من الأتراك ، ففي سنة ٨٠١هـ قام الأمير بيسق الظاهري في عمارة مقام الحنفية عمارة متقنة فجعله بأربعة أعمدة من حجارة منحوتة وجعل له سقفاً مدهون ومزخرف، أتقن السقف من أعلاه بالنورة. وقد اعترض عدد من العلماء على بناء مقام الحنفية بهذا الشكل وتميزه عن باقي المقامات ولكن لم يُنظر في ذلك لميل سلاطين المماليك لاتباع المذهب الحنفي الذين أغلبهم من أبناء جنسهم.[٣]

وفي عام ٨٠٧هـ عمرت الدولة المقامات الثلاث مقام الشافعي، والمالكي، والحنبلي، حيث بُنيت لها أسطوانات من حجارة ووضع عليها عقود يوضع بها خشب لتعليق قناديل الإضاءة[٤]، ولعل هذه العمارة التي تمت في المقامات الثلاث إرضاءً لأتباع المذاهب التي قد تأثرت بالعمارة السابقة للمقام الحنفي فالعمارة هذه لم تشمل المقام الحنفي بل اقتصرت على الثلاثة فقط. وأخذت بعد ذلك أعمال إصلاحات بسيطة تشمل بعض التجديدات كلما دعت إليها الحاجة في جميع المقامات. ومن ذلك الدهان باللون

---

(١)ابن منظور، لسان العرب، جـ١١، صـ٣٥٥.

(٢)خالد البلوي، تاج المغرق، جـ١، صـ٣٠٦.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٦٢، ٤٦٣. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٤٠٥.

(٤)الفاسي ، شفاء الغرام ، جـ١، صـ٤٦٢. وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، صـ٢٠٩.

الأبيض للمقامات وفرش أرض المقامات بالأحجار[1]. وفي عام ٩١٥هـ عُمل ترميم للمقام الحنفي شمل تغيير القبة بالأخشاب ودهانها باللون الأبيض وكان بناؤها بالنورة وكان هذا العمل على يد الخواجا محمد بن عباد الله الرومي[2]. وفي عام ٩١٧هـ عُملت ترميمات في المقام الحنفي شملت القبة وسقف المقام بإخراج ما تلف من أخشاب واستبدل بغيره ثم أكملت جميع الترميمات في البناء[3].

عمارة الأبواب[4]:

شمل اهتمام سلاطين المماليك بالحرم الشريف أبوابه بالتجديد والتقوية والإصلاح، ومن ذلك ما قام به علاء الدين علي بن هلال الدولة في عهد الملك الناصر عندما بعثه لإصلاح ما يحتاج إصلاحه في المسجد الحرام حيث شملت عمارته أبواب المسجد الحرام فجددها[5]. وفي عام ٨٠٤هـ جددت عمارة باب الحزورة[6] بعد عمارة الحرم من الحريق الذي أصاب الجهة الغربية منه عام ٨٠٢هـ وسُجلت عمارة هذا الباب مع عمارة المسجد الحرام في عهد السلطان الناصر فرج [7]بن برقوق[8].

وفي عام ٨٢٦هـ عملت صيانة لأبواب المسجد الحرام جميعًا على يد الأمير مقبل القديدي[9]،

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٦٣٧، جـ٤، صـ٦٧.

(٢)ابن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤١٤.

(٣)المصدر السابق، جـ١، صـ٥٠٤.

(٤)للحرم تسعة عشر باباً، ابن جبير، رحلة ابن جبير، صـ٨٢. وابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٥٩.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٨٧.

(٦)يقع بالجهة الغربية من المسجد الحرام ويطلق عليه غالبًا باب الحزامية لأنه يلي الحزامية. الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٥١.

(٧)هو فرج بن برقوق بن أنس الظاهر الجركسي ولد سنة ٧٩١هـ، سُمي أولاً بلغاق ثم سمي فرجًا، أمه أم ولد رومية، تولى الحكم بعد أبيه بعهد منه سنة ٨٠١هـ وسنه دون العشر سنوات قُتل في حروبه مع المؤيد شيخ سنة ٨١٥هـ بدمشق. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ١٦٨.

(٨)باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، صـ١٧٩.

(٩)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٣٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٩٨. والنهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، صـ٢٧٧. الطبري، تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٠٤.

وفي عهد السلطان قانصوه الغوري عام ٩١٣هـ بُني عقد[١] لباب إبراهيم حيث لم يكن له عقد[٢]، وفي عام ٩١٥هـ أصلح درج أبواب المسجد الحرام من باب الصفا في الجهة الجنوبية الشرقية إلى باب العمرة في الجهة الشمالية الغربية حيث شملت الإصلاحات جميع الأبواب في الجهتين الشرقية والشمالية[٣]. وفي عام ٩٢٠هـ قامت الدولة بعمارة في باب إبراهيم كانت عبارة عن تخفيض مستوى الباب من داخل المسجد الحرام حيث منع ارتفاع الباب خروج مياه السيول من المسجد الحرام[٤].

وبهذا الشكل استمرت أعمال الترميم والإصلاح الذي يشمل ما يحتاج إلى إصلاح طوال العهد المملوكي مما يدل على اهتمام سلاطين المماليك بعمارة المسجد الحرام والاهتمام به.

مآذن الحرم الشريف:

شمل اهتمام المماليك في عمارة المسجد الحرام المآذن، فقد كان للمسجد الحرام في العصر المملوكي خمس مآذن[٥]، وقد شملها الاهتمام بالترميم والإصلاح ومن ذلك ما يلي:

١ـ إعادة عمارة مئذنة باب الحزورة التي سقطت سنة ٧٧١هـ بسبب المطر بأمر السلطان الأشرف شعبان ، وقد انتهى العمل من أعادتها في المحرم سنة ٧٧٢هـ[٦].

٢ـ إعادة عمارة مئذنة باب بني شيبة حيث سقطت سنة ٨٠٩هـ فأمر بإعادتها السلطان الناصر فرج وأنتهى العمل فيها سنة ٨١١هـ حيث أُتقن العمل بها[٧].

---

(١)العقد: البناء المعطوف على شكل قوس، والبناء المعقود هو بناء سقفه معطوف.
محمد أمين وآخرون، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، صـ٨١.

(٢)السنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ١٠٤.

(٣)ابن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤٣٣.

(٤)المصدر السابق، جـ٢، صـ٦٥٥.

(٥)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٦٠. العبدري، الرحلة، صـ١٧٤.

(٦)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٥٥. ابن فهد ، إتحاف الورى ، جـ٣، صـ٣١٢

(٧)المصدر السابق، جـ١، صـ٤٥٥. المصدر السابق ، جـ٣، صـ٤٥٤.

٣ــ هدم وعمارة مئذنة باب سويقة سنة ٨٣٨هــ حيث خشيت الدولة من سقوطها فأمر السلطان الأشرف برسباي بهدمها وإعادة عمارتها فقام بالعمل الأمير سودون المحمدي[١]. وبهذا يكون المماليك قد أعادوا بناء ثلاث مآذن بالإضافة إلى عمارة مئذنة جديدة هي مئذنة مدرسة السلطان قايتباي في الجهة الشرقية من المسجد الحرام. وقد كانت في غاية الصنعة وذلك عام ٨٨٣هــ[٢].

وقد أخذ الاهتمام بالمآذن الترميم الذي يشمل دهان المآذن باللون الأبيض كلما حدث لها تغيير[٣] ومن ذلك إعادة بناء مئذنة مدرسة السلطان قايتباي عندما سقطت وذلك سنة ٩١٠هــ ثم دهنت باللون الأبيض[٤].

بئر زمــــــزم:

شمل اهتمام المماليك بالعمارة والترميم مبنى بئر زمزم، وقد كان يغطي بئر زمزم غرفة مربعة الشكل وبجوارها غرفة أخرى تسمى سقاية العباس تغطيها قبة[٥]، وقد شملت العمارة هذين المبنيين لكثرة ازدحام الناس فيهما في مواسم الحج[٦] مما جعل أمر الترميمات لها أمر ضروري، ومن ذلك ما قام به السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حيث عمرهذين المبنين عندما قام بأعمال عمارة شاملة في المسجد الحرام سنة ٧٢٠هــ[٧].

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جــ٤، صــ٨٢. وابن فهد، الدر الكمين، جــ١، صــ٧٦٢. وابن حجر، انباء الغمر، جــ٨، صــ٣٣٠.

(٢)الطبري، تاريخ مكة، إتحاف فضلاء الزمن، جــ١، صــ٥٤٧.

الجمعية العراقية، المجلة التاريخية، عدد٣، سنة ١٩٧٤، منابر المسجد الحرام، صــ١٨٨.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جــ٤، صــ١٤٩. وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، صــ٢٠٤.

(٤)ابن فهد، بلوغ القرى، جــ١، صــ٨٦. ل. سنوك، صفحات من تاريخ مكة، جــ١، صــ٢٠٢.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جــ١، صــ٤٧٣، ٤٩٠.

(٦)العبدري، الرحلة، صــ١٧٤.

(٧)الفاسي، العقد الثمين، جــ٢، صــ٣٤.

والظاهر أن هذه العمارة كانت مجرد ترميم للمبنيين من الداخل والخارج بالدهان والإصلاح. وفي عام ٨٣٧هـ بُني سبيل بجانب زمزم بأمر السلطان المؤيد شيخ، وعمرت ظلة المؤذنين التي فوق مبنى زمزم بالحجر بدل أن كانت سابقًا من الخشب[١].

وفي عام ٨٢٢هـ أُعيد بناء ظلة المؤذنين حيث بنيت بالحجارة المنحوتة والنورة وجُددت أخشاب سقفها بأخشاب جديدة، وشمل الترميم مبنى بئر زمزم بتغيير الأخشاب التالفة، وعُمل السقف بالنورة، ووسعت أحواض الماء التي بداخل المبنى وكان الانتهاء من أعمال الترميمات هذه في شهر رجب سنة ٨٢٢هـ[٢].

وفي عام ٩١٧هـ عُملت إصلاحات في سقف مبنى زمزم حيث استخدم الرصاص ولعله لتشقق ظهر[٣] بها كما أصلح جدار مبنى زمزم بالرخام بعد نقض غلاف الجدار السابق[٤] الذي كان بالنورة.

---

(١)المصدر السابق، جـ١، صـ٢٥٨. السنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٤٢٠. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ١٩٨.

(٢)المصدر السابق، جـ١، صـ٢٥٧. والفاسي، الزهور المقتطفة، صـ١١٢. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٦٦.

(٣)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٥٠٥.

(٤)المصدر السابق، جـ١، صـ٥٢٣.

المبحث الثاني

العمارة في بعض المنشآت الدينية

المدارس في مكة المكرمة في العصر المملوكي:

اهتم المماليك بالتعليم وذلك بالسماح بإقامة المدارس التي كانت تنشر العلم بين الناس في مكة المكرمة وقد ساهم في إقامة المدارس عدد من الملوك والسلاطين الذين أوقفوا عددًا من المدارس وساعدوا على استمرارها بإيقاف الأوقاف التي تدر عليها مما يساعد في استمرار المدرسة في أداء دورها، ولم يقتصر إقامة المدارس على ملوك وسلاطين العالم الإسلامي في ذلك الحين بل شاركهم عدد من الأمراء والوزراء والعلماء في التقرب إلى الله بإقامة المدارس والإشراف عليها، وقد كانت تقام المدارس في الأعم الأغلب بجوارالمسجد الحرام ويفتح لبعضها أبواب تؤدي إلى المسجد الحرام مباشرة، وقد اقتصرنا في بحثنا هذا على التنويه على المدارس التي أُقيمت في العصر المملوكي فقط وذلك لاختصاص بحثنا بالتطرق لهذه المدة التي عاشتها مكة المكرمة وذلك من عام: ((٦٤٨هـ إلى عام ٩٢٣ هـ)) سنة سقوط دولة المماليك. والمدارس التي أقيمت هي:

المدرسة المجاهدية:

شيد الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول مدرسةً بمكة بالقرب من المسجد الحرام بالجانب الجنوبي عام ٧٣٩هـ وجعلها خاصة على فقهاء مذهب الشافعية[(١)]، وبهذا تكون المدرسة خاصة بالعلوم الدينية وعلى المذهب الشافعي، ولكي تستمر المدرسة في أداء رسالتها أوقف عليها وقفاً جيدًا ببلاد اليمن في وادي زبيد[(٢)] في مواضع مختلفة من الوادي بحيث لو انقطع مورد موضع لم ينقطع الآخر وذلك

---

(١)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٠٤. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢١٧.

(٢)زبيد: اسم واد به، مدينة يقال لها الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به وهي مدينة مشهورة باليمن أُحدثت في أيام المأمون.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، صـ٤٦٩.

لو أصاب منطقة جفاف و لم يكن لمزارعها محصول جيد تتمون المدرسة بمحصول المنطقة الأخرى[١]، وقد درّس بها عدد من العلماء منهم قاضي مكة جمال الدين محمد بن ظهيرة فقد درّس بها ١٧سنة ثم درّس بها ابنه محب الدين أحمد ما يقارب ١٠سنوات[٢]. وقد استمرت المدرسة تؤدي رسالتها، وكانت تُستخدم أيضاً مسكناً لكبار الشخصيات القادمة من مصر وعلى الأرجح أن هذا يكون في مواسم الحج حيث ذكر أنه في عام ٩١٣هـ نزلت أم الناصر في شهر ذي القعدة بهذه المدرسة ومما يؤيد أنها استمرت مدةً طويلة أنه عُقد فيها اجتماع العلماء للنظر في حكم شرب القهوة عام ٩١٥هـ[٣].

المدرسة الأفضلية:

من المدارس التي أنشأها ملوك اليمن بمكة المدرسة الأفضلية وقد أوقفها الملك الأفضل[٤] عباس بن الملك المجاهد صاحب اليمن عام ٧٦٨هـ وتقع بالجهة الشرقية من المسجد الحرام،وهي تتشابه مع سابقتها المدرسة المجاهدية حيث أنها تخصصت لفقهاء الشافعية[٥]،وقد شيد عمارة هذه المدرسة أحد أعيان مكة المكرمة وهو:أحمد[٦] بن سليمان

---

(١)الخزرجي: العقود اللؤلؤية، جـ٢، صـ٦٤. وعبد الرحمن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، صـ٦٣.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٢٠٢، جـ٣، صـ٩٠. وعبد الرحمن صالح، تاريخ التعليم بمكة المكرمة، صـ٦٣.

(٣)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٧٧٦.

(٤)العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن الملك الأفضل بن الملك المجاهد ولي السلطة نحو ١٤سنة له مدرسة بمكة وأخرى بتعز، وكان له إلمام بالعلم، وتواليف حسنة مات سنة ٧٧٨هـ. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢٥٧.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٠٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٠٦. والفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ٢٨٠.

(٦)أحمد بن سلمان بن سلامة المكي، كان من أعيان أهل مكة وزّر للشريف ثقبة بن رمثية صاحب مكة، ثم للشريف أحمد بن عجلان من حين ولايته سنة ٧٦٢هـ حتى مات تولي عمارة المدرسة الأفضلية بمكة توفي سنة ٧٧٧هـ بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٧.

ابن سلامة المكي، وقد رتب الملك الأفضل بمدرسته مدرساً ومعيدًا[1] وعشرة طلاب، وإمامًا ومؤذناً، وجعل أيضاً بالمدرسة قسم لتعليم الأيتام حيث خصص معلماً يعلم عدد من التلاميذ الأيتام القرآن الكريم، ولكي تستمر المدرسة في أداء رسالتها أوقف عليها وقفاً جيداً[2]. وقد بدأ التدريس بها سنة ٧٧٠هـ[3]، وقد درّس بهذه المدرسة عدد من العلماء كان أولهم القاضي محمد بن أحمد العقيلي[4]، وقد أتاح مُوقِف المدرسة لمدرسها السكن بها ومع التدريس بها تولى القاضي محمد العقيلي النظر على مصالح المدرسة وعلى المدارس الأخرى التي شيدها ملوك اليمن بمكة[5]، ومن الذين تولوا النظر على هذه المدارس على ابن أحمد بن محمد الزبيدي المكي الشافعي[6]، ويحي بن أحمد بن الناصر الرسولي[7]، وقد كان يتولى الناظر أيضًا قبض ما يصل للمدارس من اليمن وتفرقته[8].

---

(١)المعيد هو من يقوم بتفهيم بعض الطلبة وبهذا يكون عليه قدر زائد في سماع الدروس. وبهذا يكون أكثر الطلبة فهماً وعلمًا.

السبكي، معيد النعم، ومبيد النقم، صـ١٠٨.

(٢)الخزرجي، العقود اللؤلؤية، جـ٢، صـ١٣٦.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٠٦.

(٤)محمد بن أحمد بن عبد العزيز الهاشمي العقيلي قاضي مكة وخطيبها، ولي قضاء مكة سنة ٧٦٣هـ، وولي خطابة الحرم ونظره وحسبه مكة درّس بمدارس ملوك اليمن بمكة المنصورية والمجاهدية والأفضلية توفي سنة ٧٨٦هـ.

ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢٩٦. ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، صـ١٩٨.

(٥)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٨.

(٦)علي بن أحمد بن محمد بن سالم بن علي الموفق الزبيدي المكي الشافعي يعرف بابن سالم رحل إلى مكة وأقام بها نحو ٣٠سنة ناب في نظر المدارس الرسولية بمكة، ودرس بها أيضًا، وكان يتولى تفرقة ما ينفد لأجل المدارس.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ١٨٢.

(٧)يحيى بن أحمد بن الناصر يحيى الرسولي المكي الحنفي، ولد بمكة سنة ٨٦٨هـ ا ثبت له ولأخيه في سنة بضع وتسعين نظر المدارس الرسولية بمكة .

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ١٤٢.

(٨)المصدر السابق، جـ٦، صـ١٤٢.

وقد كان مقر هذه المدرسة داراً لمحمد بن محمد من مكرم الأنصاري[1].

مدرسة الشريف عجلان:

من أعمال البر التي عملها الشريف عجلان بن رميثة تشييده لمدرسة عرفت باسمه بالجانب اليماني من المسجد الحرام[2] ولم يرد عن إيقاف هذه المدرسة شيء ولا تاريخ وقفها ولكن يرجح أنها أنشئت في الفترة التي تولى الشريف عجلان الحكم بمكة المكرمة وذلك بين عامي ٧٤٦هـ ـ ٧٧٧هـ[3].

مدرسة الملك الأشرف[4]:

من المدارس اليمانية التي شيدها ملوك اليمن مدرسة الملك الأشرف وكان المتولي أمر هذه المدرسة العالم النحوي الكبير إمام أهل اللغة مجد الدين الفيروز آبادي[5]، فقد قدم إلى مكة المكرمة سنة ٨٠٢هـ من بلاد اليمن وأقام مدرسة في داره التي أنشأها عند

---

(١)ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٤، صـ١٤٦. وعباس حلمي، مجلة كلية الشريعة بمكة العدد الثالث السنة الثالثة، صـ ١٥٣، عام ١٣٩٧هـ.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ١٩٧. وابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ١٥٣. وناجي معروف، المدارس الشرابية، صـ٣٥٦. وعبد الرحمن صالح، تاريخ التعليم بمكة المكرمة، صـ٦٣.

(٣)الفاسي ،العقد الثمين ، جـ٥، صـ١٩٠.

(٤)الملك الأشرف: إسماعيل بن العباس بن علي بن رسول ممهد الدين أبو العباس ملك اليمن ولد سنة ٧٦١هـ حكم بعد أبيه سنة ٧٧٨هـ، كان جواداً لا نظير له في ذلك اشتغل بفنون من النحو والفقه والأدب والتاريخ وغيرها مات سنة ٨٠٣هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٢٩٩.

(٥)محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم مجد الدين أبو الطاهر الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي اللغوي نزيل مكة ولد بشيراز سنة ٧٢٩هـ تنقل لطب العلم، كان له بالحديث عناية وكذا بالفقه وفي اللغة كانت له فيها اليد الطولى وألف فيها تواليف حسنة منها القاموس المحيط، ولي قضاء الأقضية ببلاد اليمن أكرمه الملك الأشرف ونال منه بر ورفعة وتزوج الأشرف ابنته توفي سنة ٨١٧هـ.

عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، جـ١٢، صـ١١٨. والزركلي، الأعلام، جـ٧، صـ١٤٦.

الصفا[١] وجعلها للملك الأشرف صاحب اليمن الذي كانت تربطه به علاقة وطيدة، وقرر بهذه المدرسة ثلاثة مدرسين في الحديث وفي الفقه المالكي[٢] والشافعي[٣]، وبهذا تكون المدرسة الأولى من المدارس اليمينية التي تدرس مذهبين في أروقتها حيث اقتصرت سابقاتها على المذهب الشافعي.

المدرسة البنجالية:

من ملوك العالم الإسلامي الذين أقاموا مدارس بمكة المكرمة السلطان أعظم شاه بن إسكندر شاه غياث الدين[٤] أبو المظفر سلطان بنجالة من أقاليم الهند فقد قرر هذا الملك تشييد مدرسة بمكة فأرسل لعمارتها أحد ثقاته ويدعى ياقوت الغياثي[٥] الذي قدم إلى مكة المكرمة واجتمع بالشريف حسن بن عجلان، حاكم مكة آنذاك وعدد من الأعيان من القضاة والعلماء وقدم لهم الهدايا وذلك للمساعدة في تيسير إقامة المدرسة، وقد وقع اختياره على دارين متلاصقتين مجاورتين للمسجد الحرام بجوار باب أم هانئ[٦] في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام، وقام ياقوت بشراء الدارين من الشريف حسن بن عجلان

---

(١)الصفا بداية السعي في المسعى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ والصفا العريض من الحجارة الأملس والصفا اسم أحد جبلي المسعى.

ابن منظور، لسان العرب، جـ٧، صـ٣٧١. عاتق بن غيث، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـ١٥٢.

(٢)نسبة للإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني إمام دار الهجرة.

ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٤، صـ٣.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٤٣. وعباس حلمي، مجلة كلية الشريعة، نشأة المدارس الإسلامية والنظرة الصحيحة لمصدر نظام عمائرها، العدد الثالث، صـ١٥٣، عام ١٣٩٧هـ.

(٤)السلطان أعظم شاه بن إسكندر شاه بن شمس الدين غياث الدين السجستاني الأصل صاحب بنجالة من بلاد الهند، كان حنفياً ذا حظ من العلم والخير محباً لفقهاء ابتنى بمكة عند باب أم هانئ مدرسة، وقرر بها دروساً على المذاهب الأربعة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٣١٣.

(٥)ياقوت الغياثي الحبشي فتى السلطان غياث الدين صاحب بنجالة مات سنة ٨١٥هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠، صـ٢١٤.

(٦)باب أم هانئ نسبة إلى أم هانئ بنت أبي طالب ويقع بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام.

الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٥١.

وبدأ في هدمهما وعمارتهما وذلك سنة ٨١٤هـ وجعل بها سكناً لجماعة من الفقراء بلغت عشر حجر للفقراء وواحدة خاصة بالمدرسة، وفي جمادي الآخرة من نفس السنة ابتدئ فيها التدريس، وكانت مدرسة جامعة تدرس على المذاهب الأربعة[1] ومدرسيها هم القضاة الأربعة بمكة ذلك الحين وهم:

١ـ القاضي الشافعي: جمال الدين محمد بن ظهيرة.

٢ـ القاضي الحنفي: شهاب الدين أحمد بن الضياء[2].

٣ـ القاضي المالكي: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي[3].

٤ـ القاضي الحنبلي: سراج الدين[4] عبداللطيف بن أبي الفتح محمد الحسني الفاسي[5].

وقام السيد ياقوت بشراء وقف أوقفه على هذه المدرسة وهو عبارة عن منطقتين زراعيتين بمنطقة الركاني[6] وأربع وجاب[7] ماء من عين بهذا المكان أيضاً وقسم الوقف خمسة أقسام

---

(١)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٠٤. الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٠١. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٨١. وابن فهد، غاية ا لمرام، جـ١، صـ٢٨٢.

(٢)القاضي الحنفي شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الصاغاني قاضي القضاة شهاب الدين بن الضياء الحنفي المكي ولد سنة ٧٤٩هـ بالمدينة المنورة طلب العلم ورحل في طلبه على عدد من بلاد العالم الإسلامي من تدارسه بمكة درس الأمير يلبغا الخاصكي والمدرسة الغياثية البنجالية وغيرها، قلد قضاء الحنفية سنة ٨٠٦هـ توفي سنة ٨٢٥ هـ بمكة. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ١٧٩، جـ٣، صـ١٠٧.

(٣)قاضي المالكية محمد بن أحمد بن علي تقي الدين الحسني القاسي المكي قاضي المالكية ولد سنة ٧٧٥هـ بمكة وتعلم ورحل في طلب العلم إلى عدد من بلاد العالم الإسلامي تولى قضاء المالكية بمكة سنة ٨٠٧هـ وفي عام ٨١٤ هـ درس للمالكية بالمدرسة السلطانية الغياثية البنجالية توفي سنة ٨٣٢هـ بمكة.

المصدر السابق، جـ٢، صـ٤٢. والشوكاني، البدر الساطع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ٢، صـ١١٤.

(٤)القاضي الحنبلي: عبد اللطيف بن محمد بن أحمد الحسني الفاسي الحنبلي، ولد سنة ٧٧٩هـ بمكة تعلم بمكة من عدد من العلماء ودخل بلاد العجم غير مرة ولي قضاء مكة المشرفة سنة ٨٠٩هـ ثم جمع له بين قضاء الحرمين الشريفين مات سنة ٨٥٣هـ بمكة. ابن فهد، الدرر الكمين، جـ٢، صـ٨٩٧. العليمي، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، جـ٥، صـ٢٣٦.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٨٥.

(٦)الركاني: منطقة بوادي مر ((مر الظهران))، تقع شمال حدا.

عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـ٢٤٦.

(٧)وجاب جمع وجبة وهي نصيب مقرر في ماء العين بقدر باثنتي عشرة ساعة.

ابن فهد، غايةالمرام، جـ٤، صـ٢٨٤.

على طلبة المدرسة الذين عددهم ٦٠ نفراً وقد بلغت تكلفة شراء هذا الوقف ومقر المدرسة ١٢ ألف مثقال[1] ذهب[2].

ثم اشترى داراً مقابلة للمدرسة بمكة بـ ٥٠٠ مثقال ذهب وعمرها وأوقفها على مصالح المدرسة[3]، وقد استمرت المدرسة تؤدي رسالتها في التدريس على النحو التالي:

المذهب	الأيام	الفترة
الشافعي	السبت، الاثنين	الصباحية
الحنفي	الأحد، الأربعاء، الخميس	الصباحية
الحنبلي	الأربعاء، الخميس	بين الظهر والعصر
المالكي	السبت، الأحد، الاثنين	بين الظهر والعصر[4]

واستمرت المدرسة على هذا النحو حتى عام ٨٩٤هـ حيث استأجرها الشريف محمد بن بركات وهدمها ثم عمرها مدرسة[5]، ولعل ذلك يعود لخراب المدرسة وانقطاع مواردها من الأوقاف.

المدرسة الكلبرجية:

أنشأ المدرسة الكلبرجية السلطان شهاب الدين أبو المغازي أحمد[6] شاه سلطان كلبرجة من أقاليم الهند، حيث بعث عام ٨٣٠هـ جماعة من خاصته لعمارة مدرسة له

---

(١)المثقال اسم لما له ثقل سواءً كبر أو صغر، وصار في عرف الناس اسماً للدينار، وقد تحدد وزنه في العصر الأموي على يد الخليفة عبد الملك بن مروان بعد إصلاحه للسكة الإسلامية إذ جعل المثقال أي الدينار يساوي ٤,٢٥جم. الموسوعة العربية الميسرة، جـ٢، صـ١٦٤٦. د.صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، صـ٤٢٧.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٠١. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٨٥. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٤١٠.

(٣)الفاسي ،شفاء الغرام جـ٣، صـ٢٠١. ابن فهد ، إتحاف الورى جـ٣، صـ٤٨٥.

(٤)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٠٥. والفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٠١. وناجي معروف، المدارس الشرابية، صـ٣٥٨.

(٥)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٥٥٨.

(٦)أحمد شاه بن أحمد شاه بن حسن شاه شهاب الدين أبو المغازي صاحب كلبرجة وما والاها من بلاد الهند دام في المملكة نحو ١٤سنة، له مأثر بمكة مات سنة ٨٣٨هـ. السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ٢١٠. وابن حجر، انباء الغمر، جـ٣، صـ٣٥٨.

بمكة المكرمة وجعل لكل واحد منهم مهمة خاصة في عمارة المدرسة من أشهرهم ملك إسحاق وجعله قابضاً للمال ((أميناً للصندوق))، وملك محمود متولياً لعملية شراء المقر والعمارة، ومباشراً وضابطاً للمصروف ملك ضياء الدين، وجعل ثلاثة نظار على هذا المشروع وهم ملك محمود وملك حسن والخواجا محمد القالي[1]، فقدموا إلى مكة معهم الهدايا الثمينة من بلاد الهند لشريف مكة وأعيانها[2] لتسير مهمة الوفد، وقد وقع اختيارهم على دار للشريف بركات تقع عند الصفا فاشتروها منه بمبلغ ٩ آلاف مثقال وبعد الانتهاء من عملية الشراء احتفل بهذا الإنجاز احتفالاً بهيجاً يعتبر وضع حجر الأساس للمدرسة بحضور العلماء والقضاة بالحرم الشريف في اليوم التالي للشراء أمام باب الصفا بجوار مكان إقامة المدرسة فأوقدت الشموع وأطلق البخور وقُرئت الربعات[3] ، ودعي للسلطان، ثم بُدئ في بناء المدرسة، واستمر بناؤها عامًا كاملاً، وبعد الانتهاء من التشييد أُقفت المدرسة على يد القاضي جمال الدين الشيبي[4] بشهادة من أرسلهم السلطان لإقامتها، وعُين الشيخ علاء الدين البخاري ناظــراً[5] على المــــدرسة، ولمشيختها عين الشيخ عبد الواحد

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٣، صــــ٦٤٣.

(٢)ابن إياس، بدائع الزهور، جـــ٢، صـــ١١٧. والمقريزي، السلوك، جـــ٧، صـــ١٥٩.

(٣)الربعات جمع مفردها ربعة: وهي القرآن الكريم مقسم إلى ثلاثين جزءاً بحيث يأخذ كل قارئ جزءًا فيتم قراءة القرآن في وقت واحد.

السباعي، تاريخ مكة، صـــ٢٩٧.

(٤)القاضي جمال الدين الشيبي محمد بن علي بن محمد بن أبي بكر القرشي الشيبي، ولد سنة ٧٧٩هـــ بمكة وحفظ عدداً من كتب العلم ودرس على كثير من المشايخ، دخل القاهرة سنة ٨٣٠هـــ فولاه الأشرف برسباي قضاء مكة، وأضيف إليه نظر المسجد الحرام مات سنة ٨٣٧هـــ.

ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـــ٧، صـــ٢٢٧. ابن قاضي شهبة طبقات الشافعية، جـــ٤، صـــ١٠٥.

(٥)ناظر المدرسة من وظائف النظار في المدرسة المملوكية، كانت مهمته حسن النظر في مصالح المدرسة التي يفوض إليه النظر عليها والإشراف على أوقافها وصيانتها والعمل على زيادة ريعها وتغيير مالها وتنفيذ شروط الواقف بخصوصها ومراقبة أرباب الوظائف بها.

د.حسن الباشا، الشئون والوظائف، جـــ٣، صـــ١٢١٤.

المرشدي[١] وفُوض الشيخ عبد الواحد في تقرير أربعين طالباً للمدرسة، و لم تقتصر المدرسة على تدريس أبناء مذهب معين ولا علم مخصص بل تُرك للمدرسة تدريس أي علم من العلوم النافعة وعُمل احتفالاً لافتتاح المدرسة ودعا ناظر المدرسة الشيخ علاء الدين البخاري القضاة والفقهاء وطلبة العلم لحضور تعيين الشيخ عبد الواحد مدرساً بالمدرسة وذلك عام ٨٣١هـ وقد وقُف على هذه المدرسة بيتًا[٢] بقعيقان[٣] يكون لمصالح المدرسة وقد كانت المدرسة تستخدم لسكن أمراء الحج في المواسم حيث سكنها عام ٩١٥هـ أمير الحج المصري الأمير مغلباي الزردكاشي الأشرفي[٤]. ولعل الدافع لذلك الرغبة من الأمراء في السكن بجوار المسجد الحرام والتصميم الجيد للمدارس مع الرغبة في التزود بالعلوم والمعارف من أساتذها.

المدرسة الزمامية:

بنيت هذه المدرسة بالجانب الشامي من المسجد الحرام في سنة ٨٣٥هـ وبانيها هو الزمام[٥] خشقدم الظاهري[٦] برقوق الخصي حيث كان محباً للصدقة وتعتبر هذه

---

(١)الشيخ عبد الواحد بن إبراهيم المرشدي المكي الحنفي العلامة جلال الدين ولد سنة ٧٨٠هـ بمكة تعلم العلوم بمكة ورحل في طلبها، واشتغل بالفقه والمعاني والأصول والبيان والنحو، ولي قضاء الحنفية بمكة المشرفة عن القاضي شهاب الدين أحمد بن الضياء فلم يقبل ذلك،كان إماماً من أئمة العربية،انتهت إليه رئاسة النحو مات سنة ٨٣٨هـ. ابن فهد، الدرر الكمين، جـ٢، صـ٩٥١. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٩٣.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٤.

(٣)قعيقعان: جبل يشرف على المسجد الحرام من جهة الشمال والشمال الغربي يمتد شملاً إلى الحجون، وغرباً إلى بئر طوى، وجنوباً إلى حارة الباب والشبيكة ومن أقسامة جبل هندي، وجبل العبادي، وجبل السليمانية، وجبل الفلق، وغيرها. عائق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـ١٢.

(٤)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٧٧٧.

(٥)الزمام: اسم لوظيفة في عصر المماليك يقصد بها المشرف على أمور الحريم بالقصر السلطاني وكان يتولاها طواشي لأنه مهمته هذه الوظيفة كانت الإشراف على الحريم. د. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٣١٢.

(٦)خشقدم الظاهري برقوق الخصي تنقل حتى صار خازندارًا في الأيام الأشرفية ثم صرف عنها واستقر زمامًا حتى مات، كان شهماً يحب الصدقة، حج أمير الركب الأول سنة ٨٣٤هـ.
ابن فهد، الدرر الكمين، جـ٢، صـ١٨.

المدرسة خاصة بالتصوف[١]، حيث قرر بها بانيها شيخًا وعدداً من الصوفية يقومون بقراءة القرآن الكريم بعد صلاة العصر، ويهدون ثواب قراءهم لباني المدرسة، وقد كانت المدرسة ملاصقة للمسجد الحرام حيث كان ما يترل من ماء سطح المسجد الحرام يصيب في صهريج[٢] معد لذلك بالمدرسة، وتحتوي المدرسة على سكن لأصحاب التصوف سُمي بالخلاوي[٣] ولكي تستمر هذه المدرسة تؤدي رسالتها أوقف الزمام عليها وقفاً جليلاً وهو عبارة عن ربع[٤] بالمسعى يعرف بربع الخـــواجا أبو بكر النوريزي[٥] شاه بندر جدة وذلك لتوليه عمارته، وجعل لها ناظراً على المدرسة والربع وهو الشيخ شمس الدين الشامي وأولاده، وقد تولى الشيخ شمس الدين عمارة المدرسة ويذكر أن هذه المدرسة كانت للشريف جار الله بن حمزة بناها سنة ٧٨٩هـــ ثم سلمها للدولة سنة ٧٩٤هـــ[٦] فقيض الله الزمام الذي أعاد المدرسة من جديد.

---

(١)التصوف حركة دينية ظهرت في العالم الإسلامي نتيجة ازدياد الرخاء الاقتصادي فظهرت كفعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري مما حمل بعضهم على الزهد الذي تطور بهم حتى صار لهم طريقة مميزة عُرفت باسم الصوفية إذ كانوا يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة وجنحوا حتى تداخلت طريقتهم مع فلسفات هندية وفارسية ويونانية مختلفة.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، صـــ٣٤١.

(٢)الصهريج: خزان للمياه يبني بالآجرو الخافقي في باطن الأرض لحفظ المياه ومغطي عادة وتغطى فوهة الصهريج بخرزة من الرخام أو الحجر.

محمد أمين وآخرون، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، صـــ٧٣.

(٣)الخلاوي: جمع مفردها خلوة وهو المكان الذي يختلي فيه الإنسان بنفسه للعبادة بعيد عن الناس.

التلقشندي، صبح الأعشى، جـــ٥، صـــ٤٧٤.

(٤)الربع عبارة عن بناء كبير مستقل يتكون من أربعة أو خمسة أدوار ذات مدخل واحد يشتمل على حوانيت ومخازن تعلوها طباق سكنية ذات مداخل مستقلة يتكون كل منها من مسكن صغير بمرافقة تؤجر.

د. عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الغسلامية، صـــ١١٧.

(٥)أبو بكر بن محمد بن محمد التبريزي، ويعرف بالنوريزي الشهير بابن بعلبد الخواجا فخر الدين ولد بغيلان من بلاد العجم ثم قدم القاهرة ومكة، وسكنها قريب العشرين سنة ثم اشترى بها داراً وولي بجدة شاه بندر ثم سكن القاهرة مات سنة ٨٥٩هـــ.

ابن فهد، الدرر الكمين، جـــ٢، صـــ١٢٩٨.

(٦)ابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٤، صـــ٦٤. ابن فهد، الدر الكمين، جـــ٢، صـــ٧١٩.

المدرسة الباسطية:

أنشأ المدرسة الباسطية القاضي عبد الباسط[1] بن خليل وذلك أن هذا الرجل أمر مبعوثة ركن الدين عمر الشامي بأن يقيم له مدرسة بمكة المكرمة فوقع اختياره على دار تتبع أبناء الشريف راجح[2] بن أبي نمي بالقرب من باب العجلة[3] من المسجد الحرام وذلك عام ٨٣٥هـ وبدأت العمارة بهدم الدار ثم إعادة بنائها من جديد وشملت العمارة الجديدة المدرسة وخلاوي للفقراء يسكنون بها مثل أغلب المدارس في ذلك العصر وانتهت في نهاية العام نفسه، وبدأت الدراسة بها في ٢٠من ذي الحجة سنة ٨٣٥هـ على يد القاضي جلال الدين أبو السعادات[4] بن ظهيرة وذلك قبل أن يتولى القضاء لأن موقف المدرسة قد شرط أن لا يكون مدرسها قاضياً[5]، وتبين أن هذه المدرسة لم يكن بها سوى

---

(١)عبد الباسط بن خليل ولاه المؤيد شيخ نظر الخزانة والكتابة له ترقى في الدولة وصار من أصحاب الثراء ومحباً للعلم بنى العديد من المدارس وقد كان كريماً واسع العطاء . توفي سنة ٨٥٤هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٢٤.

(٢)راجح بن أبي نمي بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي أمير مكة، استولى على مكة شهراً ثم انتزعت منه وفد على الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٣هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٨٣. وابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، جـ١، صـ٣٠٣.

(٣)باب العجلة أحد أبواب المسجد الحرام بالجهة الشمالية وعُرف بباب العجلة لكونه عند دار العجلة.

الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٥٢.

(٤)القاضي جلال الدين أبو السعادات هو محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي قاضي القضاة ولد سنة ٧٩٥هـ بمكة ونشأ بها وحفظ القرآن درس أفتي، وتصدى للإفادة والتدريس ولي تدريس الباسطية أول ما أُنشئت مات سنة ٨٦١هـ بمكة.

ابن فهد، الدرر الكمين، جـ١، صـ٣٣٥. الهيلة، التاريخ والمؤرخون، صـ١٣٦.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٥٨. وابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٣٤٠. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٠٦.

مدرس واحد، واستمرت المدرسة تؤدي رسالتها حتى ضعفت مواردها حيث أصبحت مسكناً لكبار رجال الدولة إذا قدموا للحج[1].

المدرسة العطيفية:

بُنيت هذه المدرسة بأمر زوجة السلطان الملك الأشرف[2] أينال وتدعى زينب[3] بنت العلاء علي بن أحمد بن خاصبك وذلك عام ٨٦١هـ[4] والأرجح أن هذه المدرسة أقيمت بالقرب من رباط العطيفية الواقع في الجانب الشمالي من المسجد الحرام[5] وأخذت نفس الاسم وكانت تحتوي على قاعة كبيرة تطل بشبابيك على المسجد الحرام وعدة مرافق، ورواق كبير وحاصل[6] تحت القاعة[7]، ولم يرد عن التدريس بهذه المدرسة وأوقافها شيء.

---

(١)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٧٧٨. ود.عدنان الحارثي، عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن التاسع الهجري، صـ١٩٨.

(٢)أينال العلائي الظاهري ثم الناصري الأشرف سيف الدين أبو النصر اشتراه الطاهر برقوق وتدرج في مناصب الدولة، ولاه الأشرف نيابة غزة، استخدمه الظاهر وقدمه ثم عمله ذو إدارة سنة ٨٤٦هـ غزا الفرنج، غير مرة، استقر في ملك مصر بعد المنصور عثمان سنة ٨٥٧هـ توفي سنة ٨٦٥هـ وقد قارب الثمانين بمصر.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٣٢٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٦، صـ٥٧.

(٣)هي زينب ابنة العلاء علي تعرف بابنة خاص بك تزوجها إينال بعد أخت لها ماتت ولم ينفك عنها ولا بعد تملكه حتى مات ولم يتزوج عليها وكل أولاده منها، كان لها مزيد من النفوذ ووفرة الحرمة وطواعية السلطان جداً لأوامرها، حتى كان لا اختيار له معها، حجت في أيام عزها فكان أمراً زائداً على الحد.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٢، صـ٤٤.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٣٧٢.

(٥)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ١٢٢.

(٦)الحاصل: جمعه حواصل، وهو مخزن ومن حاصل عين الماء وهو بيت يجتمع فية ماؤها الجاري.

المنجد في اللغة والإعلام، صـ١٣٨.

(٧)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٣٧٢.

المدرسة الكنباتية ((مدرسة التصوف)):

تنسب هذه المدرسة لصاحب كنباية[1] السلطان غياث الدين محمد شاه، حيث أمر هذا السلطان بإنشاء مدرسة بمكة المكرمة عام ٨٦٦هـــ فاستؤجر لهذه المدرسة متزل بمكة يعرف بأبي شامة ويقع بين البيمارستان[2] وباب الدريبة[3] ملاصقاً للمسجد الحرام في الجهة الشمالية، فأزيل المتزل وعمرت المدرسة مكانه وكانت على النحو التالي:

١ـــ قاعة أعدت للتصوف وكان موعد هذا الحضور بعد العصر. ((الدور الأول)).

٢ـــ خلاوي سفلية ((دور أرضي)).

٣ـــ خلاوي علوية ((دور ثاني)).

٤ـــ طبقة ثالثة لسكن الفقراء.

٥ـــ ملحق عبارة عن مسكنين علويين أحدهما لشيخ التصوف والآخر للناظر علي المدرسة.

---

(١)كنباية نسبه إلى قاعدة ولاية من ولايات كجرات، تعرف بهذا الاسم وهي أكبر بنادر الهند.

النهروالي، البرق اليماني، صـــ١٢.

(٢)هو البيارستان: المستنصري العباسي يقع بالجانب الشمالي من المسجد الحرام وتاريخ وقفه سنة ٦٢٨هـــ وهو نسبة للمستنصر العباسي، والبيمارستان محل معد لإقامة المرضى يطلق عليه المستشفى وهي في الأصل كلمة فارسية ذات مقطعين أولهما بيمار بمعنى مريض أو ضعيف أو عليل وثانيهما ستان بمعنى بيت أو دار وبذلك يكون المعنى لهذه الكلمة هو بيت المرضى أو دار المرضى.

د. محمد عاصم رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، صـــ٤١.

(٣)باب الدربية يقع في ركن المسجد الحرام بالقرب من باب السلام ويعد من أبوب المسجد الشمالية، وهو منخفض عن رواق المسجد الحرام بدرجة واحدة في الشمال الشرقي، وله منفذ واحد إلى شارع سويقة.

باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، صـــ١٨٥.

وبُني بالمدرسة صهريج يجتمع به الماء من سطح المسجد الحرام، مشابه لصهريج المدرسة الزمامية، وقد كمل بناء المدرسة عام ٨٦٧هـ[١] وقد أشرف على عمارة المدرسة الخواجا السراجي عمر بن الطاهر[٢].

مدرسة السلطان قايتباي:

يعتبر السلطان قايتباي من أشهر سلاطين المماليك الذين كانت لهم أعمال بر وإحسان شملت جوانب عديدة من صدقات ومدارس وأربطة، ومن أشهرها مدرسته التي أنشأها بمكة المكرمة وذلك أنه عام ٨٨٢هـ عندما قرر بناء مدرسته أمر وكيله التاجر شمس الدين[٣] محمد الشهير بابن الزمن وشاد[٤] العمائر السلطانية الأمير سنقر[٥] الجمالي، بأن يختارا له موضعًا قريباً من المسجد الحرام ليبني فيه مدرسة، يُدرس فيها العلوم الشرعية

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٤٣٢. وناجي معروف، المدارس الشرابية، صـ٣٦٤.عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٧٨١.

(٢)الخواجا سراج الدين بن بدر الدين الشهير بالطاهر، عمل بالتجارة واشتهر بارئاسة والحشمة وكان قد بلغ في معرفة التجارة وسافر إلى بلاد الهند توفي سنة ٨٦٨هـ بجدة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١١٠٨.

(٣)ابن الزمن هو: محمد بن عمر بن محمد الخواجا شمس الدين بن السراج القرشي الدمشقي يُعرف بابن الزمن ولد سنة ٨٢٤هـ بدمشق اشتغل بالتجارة اختص بالأشرف قايتباي وهو أمير فلما تسلطن عينه لمشارفة عمائر مكة له مآثر كالرباط والد شيشه بمكة. توفى سنة ٨٩٧هـ. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٨، صـ٢٦٠.

(٤)شاد العمائر لقب يطلق في عصر المماليك على موظف يقوم بعدة أعمال منها التعمير والاستثمار وهي إحدى الوظائف التي كان يشغلها عسكريون، ويكون هذا الموظف مشرفاً على العمائر التي يأمر بها السلطان.

د.حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ٢، صـ٦٠٤، صـ٦١٦.

(٥)سنقر الجمالي: هو يوسف بن كاتب حكم الزيني ابو السعادات، ولي الإشراف على عمائر مكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٧٣.

على المذاهب الأربعة، ويقيما بجانب المدرسة[1] رباطاً لسكن الفقراء، وأرسل إلى الشريف بمكة وباش الترك وقاضي مكة يوصيهم بمساعدة مندوبيه فيما يقومان به[2].

وللمحافظة على بقاء هذه المدرسة تؤدي رسالتها في حياته وبعد مماته طلب من وكيليه أن يعملان له مباني تؤجر فيحصل منها دخل مالي يصرف لاحتياجات المدرسة وقام وكيلاه بتنفيذ ما أمُرا به حيث وقع اختيارهما على رباطين ودار مجاورة[3] لهما فأُزيلت وبنيت المدرسة مكانها بين باب السلام وباب النبي[4] من الناحية الشرقية للمسجد الحرام، وبنيا اثنين وسبعين خلوة ومجمعاً كبيراً مشرفًا على المسجد الحرام وعلى المسعى واهتما بتزيين المدرسة بالرخام الملون والسقف المذهب وكملت عمارة المدرسة المذكورة عام ٨٨٤هـ ثم تقرر أمر المدرسة بحيث قرر فيها أربعة مدرسين على المذاهب الأربعة وأربعين طالبًا، وقرر أن يعقد بالمدرسة قراءة ربعة كل يوم بعد العصر يقرأها القراء يحضرها الفقهاء والمتصوفون ويأخذون مقابل ذلك من دخل المدرسة، ولكي تؤدي المدرسة دورها العلمي كاملاً[5].

أرسل السلطان خزانة كتب وجعلها وقفاً على الطلبة وجعل مقراها بالمدرسة، وجعل لها خازنًا وسمح فيها بالإعارة وذلك مما أفقدها عدداً من الكتب[6].

وأضاف للمدرسة تعليم أربعين صبياً من الأيتام على يد معلم خاص بهم يعلمهم دينهم وشؤونهم.

---

(١)العصامي، سمط النجوم العوالي، جـ٤، صـ٤٤. والنهروالي، الإعلام، صـ٢٤٣.

(٢)الشريف في ذلك الوقت السيد محمد بن بركات وباش الترك يدعى قاني باي والقاضي الشافعي بركات الدين بن ظهيرة.

ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٦١٩.

(٣)رباط السدرة، ورباط المراغي، ودار الشريفة الشمسية، المصدر السابق، جـ٤، صـ٦١٩.

(٤)د. عدنان الحارثي، عمارة المدرسة في مصر والحجاز، جـ١، صـ٢٦٣.

(٥)العصامي، سمط النجوم العوالي، جـ٤، صـ٤٤. والنهروالي، الإعلام، صـ٢٤٣.

(٦)تولى الشيخ قطب الدين النهروالي أمر المكتبة المذكورة خلال القرن العاشر وحاول صيانة المكتبة واسترجاع ما فقدته من كتب حيث لم يبق منها سوى ٣٠٠مجلد فحافظ على ما تبقى منها وأعاد ما استطاع من كتبها إلى المقر. النهراولي، الإعلام، صـ٢٤٣.

ورتب لكل واحد من الأيتام والفقراء سكان الخلاوي ما يكفيهم من القمح كل سنة ورتب للمدرسين وقراء الربعة وأهل الخدمة بالمدرسة مبالغ من الذهب تصرف لهم كل سنة. وبنى عدة ربوع يبلغ دخلها السنوي نحو ألفي دينار[١]. تصرف على احتياجات المدرسة، وزيادة في المحافظة على أن تؤدي المدرسة رسالتها، وقف عليها بمصر قرى وضياعاً كثيرة يحمل إنتاجها من الحبوب إلى مكة المكرمة وتصرف لمدرسته، وجعل للمدرسة باباً نافذاً من المسجد الحرام إلى شارع المسعى[٢].

وقد وقف السلطان المدرسة والأربطة وكتب بذلك كتاباً وأشهد على نفسه[٣] وبعد وفاة السلطان قايتباي ضعفت موارد المدرسة وذلك يعود لعدم إخلاص نظار الأوقاف حتى صارت سكناً لأمراء الحج أيام المواسم وغيرهم من رجال الدولة إذا قدموا إلى مكة[٤] وتلاشت أوقافها مما أدى إلى عدم قيامها بالتعليم.

مدرسة الشريف محمد بن بركات:

أقام الشريف محمد بن بركات مدرسته في مكان المدرسة البنجالية وذلك بعد أن استأجرمكان المدرسة المذكورة من القاضي الشافعي[٥] أو صرفت له بمرسوم بن الشريف والواضح أن القاضي الشافعي كان على رضى بعمل الشريف محمد حيث قبض منه مبالغاً من الذهب فرق منه جزءاً على القضاة والأعيان، فكان ما خص كل واحد خمسين ديناراً

---

(١)النهروالي، الإعلام، صـ٢٤٣. السنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٩٣.العصامي، سمط النجوم العوالي، جـ٤، صـ٤٤.

(٢)باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، صـ٩٠. وك سنوك، صفحات من تاريخ مكة، جـ١، صـ٢٠٢.

(٣)النهروالي، الإعلام، صـ٢٥٢. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٩٣. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٧٥.

(٤)النهروالي، الإعلام ،صـ٢٤٣، وابن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٧٨١. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٧٥. والعصامي، سمط العوالي، جـ٤، صـ٤٤. ود.عدنان الحارثي، عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن ٩هـ، جـ١، صـ٢٦١.

(٥) كان القاضي في ذلك الوقت جمال الدين أبو السعود بن ظهيرة. ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٥٦٨.

ولعل تفريق الذهب على القضاة ذلك لإرضائهم حيث كانوا مقررين في التدريس بالمدرسة البنجالية منذ تأسيسها وشمل تفريق المال أيضاً عدداً من الطلبة، وقد هدم الشريف محمد المدرسة وبناها من جديد وجعلت قاعة بإيوان، وتحتها حاصل بباب يدخل له من المسجد، وعلوها طبقة بخرجة على باب المسجد المعروف بباب أم هانئ، وبهذا تكون العمارة الجديدة ثلاثة أدوار، وجعل للقاعة وهي التي تكون للدرس بابين باب من الحرم بدرجة، وباب آخر من عند باب المسجد[1]، ولم يرد عن كيفية الدراسة بها أو عدد طلابها شيئاً من المصادر.

المدرسة الشرابية[2]:

المدرسة الشرابية[3] من المدارس التي أنشئت قبل العهـــد المملوكي ولكن جددت هذه المدرسة عام ٨٥٦هـ على يد الأمير بردبك التاجي الذي كان متوليًا نظارة الحرم الشريف، فقد قام بعمارة هذه المدرسة من جديد[4]، ولم تذكر المصادر طريقة التعليم بها ونظام وقفها.

---

(١)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٥٥٨. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٣١٣.

(٢)لم يرد اسم المدرسة الشرابية عند الشيخ تقي الدين الفاسي عند ذكر المدارس في كتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جـ١، صـ٦٠٣، وإنما ورد عن الشرابي أنه أقام رباطاً في موقع المدرسة التي ذكرتها المصادر المتأخرة، وقد ذكر ابن فهد في كتابه إتحاف الورى، جـ٤، صـ٣١٨، هذه المدرسة عند عمارتها الأخيرة على يد الأمير بردبك ولم يذكرها في التأسيس وإنما ذكر إنشاء الرباط في حوادث سنة ٦٤١هـ، جـ٣، صـ٦٠.

ومن هذا تبين أن المدرسة كانت ضمن الرباط وأنها مدرسة للتصوف فقط حيث ذكر الفاسي في كتابه العقد الثمين جـ٣، صـ٢٠٤، عند ترجمة إقبال الشرابي وتشييده لرباطه أنه قرر به صوفية وتكون المدرسة ملاصقة للرباط بحيث أنها للتصوف اقتصرت على الفقراء المريدين لهذا لم يذكرها الفاسي كمدرسة مستقلة وقد عاش الفاسي ذلك العصر. وقد تكون هذه المدرسة فصلت عن الرباط في عمارة الأمير بردبك وأصبحت تعلم العلوم مثل المدارس الأخرى بعد وفاة الإمام الفاسي لذا ذكرها ابن فهد في إتحاف الورى جـ١، صـ٣٤٨، وذكرها الشيخ علي الطبري في كتابه الإرج المسكي، صـ٨٠. أنها موجودة وتقع بجوار الرباط المعروف برباط الشرابي.

(٣)الشرابية نسبة للأمير إقبال ابن عبد الله المعروف بالشرابي المستنصري العباسي الأمير شرف الدين، توفي سنة ٦٥٣هـ ببغداد. الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٠٤.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٣١٨. ود. عبد الرحمن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، صـ٦٠.

مدرسة دار العجلة:

تقع دار العجلة في الجهة الشمالية للمسجد الحرام وهي من الدور القديمة بمكة فقد ذُكرت في عهد أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي قريباً من دار الندوة(١) وقد تعاقب على هذه الدار عدة مدارس.

١ـــ مدرسة الأمير أرغون(٢) الناصري:

أقام الأمير أرغون بن عبد الله الناصري نائب السلطنة(٣) بمصر بدار العجلة مدرسة خاصة بالحنفية وعين لها مدرساً حنفياً هو يوسف بن الحسن الحنفي المكي(٤)، ولكي تستمر المدرسة في أداء رسالتها أوقف عليها وقفاً وكان إنشاء هذه المدرسة في أوائل العقد الثالث من القرن الثامن الهجري ٧٣٠هـــ(٥).

والظاهر أنها لم تكن مدرسة بل درساً للحنيفية حيث اقتصرت على معلم واحد.

---

(١)الأزرقي، أخبار مكة، جـــ٢، صـــ٧٢. باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، صـــ١٨٣.

(٢)الأمير أرغون بن عبد الله الناصري، الأمير سيف الدين المعروف بالنائب لأنه كان نائب السلطنة بمصر عن ابن مولاه الناصر محمد بن قلاوون، تردد إلى مكة للحج مرات، كان محباً لأهل العلم محسناً إليهم، انشأ بمكة مدرسة للحنفية بدار العجلة توفي سنة ٧٣١. الصفدي، الوافي بالوفيات، جـــ٨، صـــ٢٢٨.

(٣)النائب هو الكافل الذي يحكم في ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير وله السلطة في استخدام الخبر من غير مشورة السلطان ويتولى تعيين أرباب الوظائف وكتابة السر.
القلقشندي، صبح الأعشى، جـــ٤، صـــ١٩٠.

(٤)يوسف بن الحسن بن علي بن يوسف السجزي المكي الحنفي يلقب بالجمال بن بدر، حدث ودرس، وأفتى وله تأليف في العروض وشعر ولي تدريس مدرسة الأمير أرغون النائب للحنفية في دار العجلة بمكة بولاية من الواقف ناب عن عمه الشهاب الحنفي بمقام الحنفية، توفي في صفر سنة ٧٦١هـــ بمكة.
ابن تغري بردي، الدليل الشافي، جـــ٢، صـــ٨٠٠.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـــ١، صـــ٦٠٣. الفاسي، العقد الثمين، جـــ١، صـــ٢٨٠. ود. عبد الرحمن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، صـــ٦٠. وناجي معروف، المدارس الشرابية، صـــ٣٥٣.

٢ــ مدرسة الشريف جار الله[1] بن حمزة بن راجح الحسني:

أقيمت هذه المدرسة بدار العجلة وذلك في عام ٧٨٩هـــ وقد أقامها الشريف جار الله بن حمزة بن راجح الحسني، وقد أحدث الشريف جار الله في بناء المدرسة بعض التغيرات، وهي أنه قام بفتح باب لها في جدار المسجد الحرام وستة شبابيك[2].

المدرسة الخُلجية:

تقع هذه المدرسة بالقرب من المسجد الحرام بالقرب من باب أم هانئ بالجهة الجنوبية من المسجد الحرام وهي تنتسب للسلطان محمود[3] بن مغيث الخلجي، وقد بناها الشيخ عبد الله الشيبي[4]، و لم يعرف تاريخ بناء هذه المدرسة والأرجح أنها بنيت بعد عام ٨٧٠هـــ حيث توفي السلطان بعد هذا التاريخ ببضع سنوات، وقد درس بها إمام الحنفية بالمسجد الحرام الشمس البخاري[5]. وقد استخدمت كغيرها من المدارس لسكن كبار الضيوف في موسم الحج حيث سكنها عام ٩٢٠هـــ كاتب السر القاضي محمود بن محمد بن آجا[6] وهذا يدل على استمرار المدرسة إلى هذا التاريخ.

---

(١)جار الله بن حمزة بن راجح بن أبي نمي الحسني الفاسي، يكنى أبا منيف كان شجاعًا عاقلاً، له مكارم ومحاسن معظماً عند الناس لما ولي عنان بن مغامس إمرة مكة لجأ إليه فعضده، قُتل في معركة بني عمه بالمكان المعروف بالزبارة سنة ٧٩٨هـــ.

الفاسي، العقد الثمين، جـــ٣، صـــ٢٦٤. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـــ١، صـــ٥٣٢.

(٢)الفاسي ،العقد الثمين جـــ٣، صـــ٢٦٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٣، صـــ٣٦٨. ود.عبد الرحمن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، صـــ٦٨.

(٣)هو محمود بن مغيث الخلجي صاحب مندوة من الهند والمدرسة التي أنشأها بمكة، مات سنة بضع وسبعين وثمانمائه، وحكم بعده ابنه غياث الدين وقد كان السلطان محمود صاحب صدقات وبر كثير، كانت له دشيشة كبيرة بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـــ١٠، صـــ١٤٨.

(٤)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـــ٢، صـــ٧٨٢.

(٥)السخاوي، الضوء اللامع، جـــ١٠، صـــ١٤٨.

(٦)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـــ٢، صـــ٧٨٢، ٧٨٣.

المكـــتبات:

تزدهر المكتبات مع وجود طلاب العلم الذين يدرسون في المدارس ومع انتشار المدارس في العصر المملوكي في مكة المكرمة، فقد كثرت أعداد الكتب التي يتداولها طلاب العلم، ولكن الملاحظ في هذا العصر من خلال القراءة في المصادر يتضح أن أغلب الأربطة كانت تضم بداخلها مكتبات يرتادها نزلاء الرباط وطلاب العلم وقد يكون سبب وضع المكتبات بداخل الأربطة إمكانية الاستفادة منها طوال الوقت بخلاف المدرسة التي قد تُغلق في بعض الأوقات من اليوم، وقد كانت هذه الكتب مثل الأربطة موقوفة في سبيل الله لطلاب العلم، وبلغ اهتمام رجال العلم بالكتب وكثرتهم أنه كانت تقام بمكة مزادات علنية لبيع الكتب وخصوصاً الكتب التي يتوفى عنها أصحابها، وكان أهل العلم يحرصون على اقتناء الكتب الثمينة ويزيدون في أسعارها[1] وقد اشتهر بعض الرجال بمهنة دلال[2] الكتب مما يدل على رواج بيعها وكثرة الإقبال عليها بمكة مثل سعيد بن محمد بن[3] أبي بكر الكوراني الشهير بالكردي ومن كان يتكسب ببيع الكتب وجعلها مهنة ومورد رزق كريم ومنهم أحمد الشهاب بن الشريفة القدسي المكي[4]، وأحمد بن محمد بن المولى المقدسي المتوفى سنة ٨٧٣هـ[5] ومن المهن التي تتعلق بالكتب في العصر المملوكي مهنة الناسخ الذي يقوم بنسخ الكتب لمن يريد من طلاب العلم وعادة يكون خطه جميلاً مثل الشيخ إبراهيم بن محمد بن حسين القاهري المالكي، فقد كان يتكسب بنسخ الكتب[6].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٦٢.

(٢)الدلال: الذي يجمع بين البيعين، والاسم الدلالة، وهو من ينادي على السلعة لتباع بالممارسة. د.إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، جـ١، صـ٢٩٤.

(٣)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٥٦.

(٤)المصدر السابق، جـ٢، صـ٢٥٤.

(٥)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥٥٣.

(٦)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ١٣٧.

مكتبة رباط السلطان شاه شجاع:

ومن المكتبات التي كانت ضمن الأربطة في العصر المملوكي ما قام به السلطان شاه شجاع بن محمد المظفر اليزدي سلطان بلاد فارس وقد أوقف هذا السلطان كتباً برباطه الذي شيده بالقرب من باب الصفا وكان ذلك عام ٧٧١هـ[١].

مكتبة رباط الخوزي:

ومن الأربطة التي كانت تحتوي على مكتبات رباط الخوزي فقد ورد أن لهذا الرباط مكتبة موقوفة في سبيل الله لطلاب العلم وكان بعض أهل الخير يوقفون الكتب بهذه المكتبة، مثل الشيخ أحمد[٢] بن سلمان بن أحمد شهاب الدين المعروف بالتروجي المصري المالكي، فقد أوقف هذا الشيخ عدة كتب وجعل مقرها برباط الخوزي وقد كان يسكن هذا الشيخ بنفس الرباط وذلك قبل عام ٨١٢هـ[٣] حيث توفي هذا الرجل. وكذلك الشيخ محمود بن جمال الدين أبي طاهر الهروي فقد أوقف كتباً في الحديث والفقه بنفس الرباط مما يدل أن رباط الخوزي كان يضم مكتبة كبيرة جداً[٤].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٢٥٦.

(٢)أحمد بن سليمان بن أحمد الشهاب المصري ثم السكندري المالكي، يُعرف بالتروجي نسبة لتروجة من نواحي الأسكندرية طاف بعدد من البلاد واستقر به الحال بالحجاز وأقام بالحرمين، كان له نباهة في العلم، سكن برباط الخوزي. السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ٣٠٧.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٦. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ٣٠٧.

(٤)الفاسي ، العقد الثمين جـ٦، صـ ٣٦.

مكتبة رباط الشرابي:

تقع هذه المكتبة في رباط الشرابي، وقد أوقفها الشيخ إقبال بن عبد الله المعروف بالشرابي مؤسس الرباط والمدرسة، وقد اختار هذا الرجل كتباً في عدد من فنون العلم أوقفها برباطه، وذلك عام ٦٤١هـ، وقد استفاد منها طلاب العلم خلال العصر المملوكي[١].

مكتبة رباط ربيع:

مكتبة رباط ربيع أُسست مع بناء الرباط، حيث أوقف باني الرباط الملك الأفضل[٢] الأيوبي برباطه كتباً ثمينة، والملاحظ أن هذه الكتب لم تكن مقصورة على العلوم الدينية فقط بل شملت العلوم اللغوية فقد احتوت المكتبة منذ تأسيسها على عدد من الكتب منها المجمل في اللغة لابن فارس وكتاب الاستيعاب لابن عبد البر[٣]، ثم أخذت المكتبة تستقبل كتب المتبرعين من أهل الخير مثل عبد الله بن أبي بكر المعروف بالكردي، الذي عُرِف بحبة للعلم فقد أوقف كتباً كثيرة بهذا الرباط لإفادة طلاب العلم. وكان ذلك قبل عام ٧٨٥هـ حيث توفى موقف الكتب[٤].

ومن الذين أثروا مكتبة رباط ربيع بالكتب النفيسة الشيخ علي الكيلاني المتوفى سنة ٩١٦هـ[٥].

---

(١)المصدر السابق، جـ٣، صـ٢٠٤.

(٢)هو علي بن يوسف بن أيوب بن شادي، الملك الأفضل الأيوبي ولد عام ٥٧٥ هـ بالقاهرة، وتوفي فجأة سنة ٦٢٢هـ، تولى السلطة بعد وفاة والده، فعارضه أخوه العزيز وعمه العاول، فانتزعوا منه دمشق ومصر، ودارت حروب بنيه وبين أفراد الأسرة الأيوبية طوال حياته حتى توفي و لم ينعم بالملك، كان صحيح العقيدة عالماً أديباً يقرب العلماء ويحبهم. الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ٢٢، صـ٢١٣.

(٣)الفاسي العقد الثمين، جـ٥، صـ٣٢٠.

(٤)عبد الله بن أبي بكر المعروف بالكردي نزيل مكة، كان رجلاً صالحاً كثير العبادة منعزلاً عن الناس، وقف كتباً كثيرة وجعل مقرها رباط ربيع، توفي سنة ٧٨٥هـ بمكة.

(٥)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤٣٨.

مكتبة مدرسة السلطان قايتباي:

عندما بنى السلطان قايتباي مدرسته بمكة المكرمة سنة ٨٨٤هـ، حرص أن يتوفر بها من الكتب ما يفي باحتياجات طلاب العلم بالمدرسة، فقد أرسل خزانة[١] كتب وجعلها وقفاً على الطلبة، وقرر موقعها بمدرسته خلاف للمكتبات الأخرى التي كانت بالأربطة مع أن السلطان كان له رباط بجوار المدرسة، وكانت تحتوي على كتب هامة ونفيسة من ذلك ربعة[٢] مكتوبة بالذهب الخالص من أولها إلى آخرها[٣].

وحفاظاً على هذه الكتب من الضياع عين لها خازناً وحدد له مرتباً معلوماً لقاء قيامه بإدارة مكتبة المدرسة، وقد كان من نظام هذه المدرسة أنها كانت تعير الكتب لمن يريد الاستفادة، الأمر الذي أفقدها عدداً كبيراً من الكتب، مما يدل على كثرة طلاب العلم ولم يبق من كتب المكتبة سوى ٣٠٠ مجلد وقد تولى الشيخ محمد بن أحمد[٤] النهروالي استرجاع بعض الكتب التي قدر عليها من مستعيريها، وقام بصيانتها عندما أصبح ناظراً عليها[٥].

---

(١)خزانة من المخزن وهو ما يحفظ به الشيء وهو عبارة عن صندوق يحفظ به الكتب.

ابن منظور، لسان العرب، جـ٤، صـ٨٧.

(٢)هي تجزئة المصحف إلى ثلاثين جزء يطبع كل جزء على حده في كتاب لوحده وتجمع فتسمى ربعة.

أحمد السباعي، تاريخ مكة، صـ٢٩٧.

(٣)السنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٨١.

(٤)هو محمد بن أحمد بن محمد النهروالي المكي الحنفي قطب الدين، ولد سنة ٩١٧هـ له عدد من المؤلفات منها: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، والبرق اليماني في الفتح العثماني وغيرها، اختلف في وفاته فقيل سنة ٩٩٠هـ وقيل سنة ٩٨٨هـ.

الزركلي، الأعلام، جـ٦، صـ٦.

(٥)النهروالي، الإعلام، صـ٢٤٣. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٨١. والطبري، اتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٧٥. والعصامي، سمط النجوم العوالي، جـ٤، صـ٤٤.

مكتبة ابن فهد الخاصة:

أسس الشيخ محمد بن فهد المكي الشافعي[1] بداره بمكة المكرمة مكتبة كبيرة ضمت عدداً كبيراً من الكتب العلمية وكانت من أكبر مكتبات العلماء في ذلك العصر وقد سمح الشيخ بن فهد لطلاب العلم بالاطلاع عليها والاستفادة منها سواءً لأهل مكة أو من يقدم إلى مكة من طلاب العلم،ورغبة في استمرار انتفاع الناس بها بعد وفاته خوفاً من أن يبيعها الورثة أوقفها لله تعالى على طلاب العلم وقد توفى رحمه الله سنة ٨٧١هـ[2].

مكتبة المسجد الحرام:

كان بالمسجد الحرام في العصر المملوكي مكتبة تضم عدداً من المصاحف وكتب الحرم الشريف[3]، وقد كانت هذه المكتبة تضم مصحفاً أثرياً يعود إلى العهد الراشدي، حيث كتب بخط الصحابي زيد[4] بن ثابت سنة ٢٨هـ وتقع هذه المكتبة بالقرب من قبة زمزم بالحرم الشريف[5].

---

(١)محمد بن محمد بن فهد التقي أبو الفضل المكي الشافعي ولد سنة ٧٨٧هـ باصفون من صعيد مصر الأعلى، انقتل به أبوه سنة ٧٩٥هـ إلى مكة ونشأ بها اشتغل في الفقه على عدد من العلماء كتب بخطة الكثير من الكتب اجتمع له من الكتب مالم يكن في وقته عند غيره من أهل بلده، توفي سنة ٨٧١هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ٢٨١. والحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون، صـ١٣٧.

(٢)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٣٨٥. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ٢٨١.

(٣)ابن بطوطة، الرحلة، صـ١٥٩. خالد البلوي، تاج المفرق، جـ١، صـ٣٠٦. وباسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، صـ٢٣١.

(٤)زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي، عندما قدم النبي ﷺ المدينة كان عمر زيد ١١سنة، كان زيد يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره، كان أعلم الصحابة بالفرائض توفي سنة ٤٥هـ.

ابن الأثير، أُسد الغابة، جـ٢، صـ٢٣٥.

(٥)ابن بطوطة، الرحلة، صـ١٥٩. وخالد البلوي، تاج المفرق، جـ١، صـ٣٠٦. وباسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، صـ٢٣١.

الأربـــــطة:

الرباط في اللغة مصدر رابط أي لازم، والأربطة جمع مفردها رباط[1]، وقد كانت في البداية مساكن على حدود العدو يسكنها المجاهدون ويرابطون بها على الجهاد، ثم انتشرت في أنحاء العالم الإسلامي وهي عبارة عن مبانٍ كان غالب سكانها من الفقراء والزهاد الذين ربطوا أنفسهم على العبادة والذكر[2] وذلك من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [3].

وحيث أن هؤلاء العباد والزهاد لا يملكون من حطام الدنيا شيئاً فقد أقام هذه الأربطة عدد من الموسرين والأمراء والسلاطين الذين يريدون بإقامتها وجه الله تعالى.

ولقد أنشئت خلال العهد المملوكي عدد من الأربطة في مكة المكرمة في أوقات مختلفة، وقد حرص أصحابها أن تقام بجوار المسجد الحرام وذلك يعود لكثرة المحتاجين والوافدين الذي يفدون إلى مكة المكرمة وليس لهم دور تأويهم، وقد ينقطع ببعضهم السبل فلا يقدرون على السفر والعودة إلى بلادهم فيبقون بمكة، أو يكونوا من الذين فضلوا البقاء بمكة رغبة في الحياة بجوار البيت الشريف في عبادة خالصة لوجه الله في أقدس بقعة على وجه الأرض، وقد سُمي هؤلاء بالمجاورين[4]، وقد يكون واقفها قد قصد بها

---

(١)ابن منظور، لسان العرب، جـ٥، صـ١١٢.

(٢)حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٤٦٦. ، المدخل إلى الآثار الإسلامية، صـ١٦٩.

(٣)آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٤)المجاورون: هم من يستقر بمكة للعبادة بقرب ا لبيت الحرام أي أنهم مجاورون للبيت. والمجاورون كانوا من الحجاج الذي وفدوا من مختلف بقاع العالم الإسلامي على مر العصور واستقروا في مكة المكرمة، وهم من عدة طبقات منهم أمراء مبعدون ومنه طلبة العلم والعلماء ومنه التجار ومنهم الزهاد وقد اختلطوا بالمجتمع بمكة وببعضهم عن طريق المصاهرة وأصبحوا جزءاً منه.

طرفة العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، صـ٢٤٣.

إيواء الضعفاء والفقراء من أهل البلد ومن غيرهم. وقد كان بمكة عدد كبير من الأربطة خلال العهد المملوكي، بعضها بُني قبل العهد المملوكي والبعض الآخر بُني في عهد المماليك وسوف تقتصر دراستنا على الأربطة التي بنيت ووقفت خلال العهد المملوكي، وكذلك بعض الأربطة التي سبق إنشاؤها العهد المملوكي وذلك لتعرضها لأعمال التجديد خلال العهد المملوكي.

رباط السيدة زينب البعلبكية:

من الأربطة التي بنيت في العهد المملوكي، رباط أوقفته السيدة الزاهدة الفاضلة زينب[1] ابنة عمر بن كندي بن سعيد الدمشقي المحتد وهي تنتسب إلى مدينة بعلبك[2]، فقد حجت هذه السيدة وأوقفت رباطاً بمكة وذلك قبل سنة ٦٩٩هـ حيث توفيت [3]، ولم يرد عن هذا الرباط شيء من حيث كيفية السكن به، والأوقاف التي تتبعه، ومكان إقامته بمكة[4].

---

(١)زينب ابنة عمر بن كندي بن سعيد الدمشقي المحتد، البعلبكية الدار. المعمرة الزاهدة روت الكثير بالإجازة عن المؤيد الطوسي وابن روح، وزينب الأشعرية روى عنها الحافظ الذهبي، ماتت سنة ٦٩٩هـ.
ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٤٤٧.

(٢)بعلبك: مدينة قديمة بينها وبين دمشق ٣ أيام، صالح أهلها أبا عبيدة بن الجراح بعد فتح دمشق سنة ١٤هـ.
ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، صـ٣٥٨.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٤٤٧.

(٤)أورد ابن فهد في كتابة الدر الكمين، جـ٢، صـ١٤٤٧، أن هذا الرباط لعله الرباط المسمى برباط الدمشقية بأسفل مكة، وهذا خطأ لأن الفاسي أورد في كتابه شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٤، ذكر رباط الدمشقية وقد وقف سنة ٥٢٩هـ، وأيضاً أورد ابن فهد في كتابه إتحاف الورى، جـ٢، صـ٥٦٤ أن رباط الدمشقية وقف سنة ٥٢٩هـ وهذا لا يتوافق مع رباط السيدة زينب التي عاشت في القرن السابع وماتت في آخره سنة ٦٩٩هـ عن ٧٠سنة، فتكون ولادتها سنة ٦٢٩هـ وبين هذا التاريخ وتاريخ وقف الرباط والدمشقية مائة عام وهذا غير ممكن.

رباط الأصبهاني:

ينسب هذا الرباط إلى واقفه الشيخ إبراهيم [(١)] بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني حيث أوقف هذا الرباط عام ٧٤٩هـ.

وموقعه بزقاق[(٢)] الحجر بمكة المكرمة، ووقفه لسكن الفقراء والمساكين والمجاورين واشترط في من يسكنه أن يكون من أهل الخير والديانة وسمح بالسكن به لجميع الفقراء حيث لم يخصص جنس معين من البشر واشترط في وقفه أن يكون ناظراً عليه طيلة حياته ثم لأبنائه من بعده بالتوارث، فإذا انقرض عقبه يكون النظر في أمر الرباط للحاكم بمكة[(٣)] المشرفة وأضاف للرباط وقفاً عبارة عن حجرتين أحدهما بأعلى الرباط والأخرى بأسفله بحيث تؤجر هاتان الحجرتان، ويُصرف كراؤها على ما يحتاجه الرباط[(٤)].

وفي عام ٨١٠هـ قيض الله لهذا الرباط أحد المحسنين وهو عيسى[(٥)] بن أحمد بن عيسى المعروف بعصارة النخلي المكي الذي زاد في وقف الرباط وقفاً جديداً وهو جزءاً

---

(١)إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد يلقب بالعز ويعرف بالأصبهاني، أجاز له جماعة من شيوخ مكة، كانت له ملاءة عظيمة. توفي سنة ٧٤٩هـ بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١٥١.

(٢)الزقاق السكة، الجمع أزقة، وقيل الطريق الضيق دون السكة. والزقاق طريق نافذ وغير نافذ.

ابن منظور، لسان العرب، جـ٦، صـ٦٠. والمنجد في اللغة والأعلام، صـ٣٠١.

(٣)المقصود من يتولى الحكومة في الفصل بين الناس وهو القاضي كما ورد في إيقاف بعض الأربطة.

(٤)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٣. والفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١٥١. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٣٨.

(٥)عيسى بن أحمد بن عيسى بن عمران المعروف بعصارة النخلي المكي كان خيراً ديناً تقرب عند موته بقربات. توفي سنة ٨١٠هـ بمكة. الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٤٣٢.

من مزرعتين بالتنضب من وادي نخلة[1] الشامية يبلغ ثلث دخل المزرعتين وتسمى المزرعتين بالعصيفيرية[2].

وفي عام ٨٤٣هـ تعرض الوقف للتجديد بالكامل من حيث العمارة، ومن حيث شروط الوقف، فقد استأجر هذا الرباط الخواجا حسن[3] بن محمد بن قاسم الصعدي اليمني الشهير بالطاهر مدة ٩٥سنة و١٠ أشهر و٢٠ يوماً من بداية شهر رجب سنة ٨٤٣هـ وقام بتعمير الرباط وإيقاف منافعه على الفقراء[4] ثم أوقف على مصالح الرباط العزلة[5] الكائنة على يمين الداخل إلى الرباط والدكان والمخزن اللذين تحت العزلة، وهذا من العمارة الجديدة، حيث أن العمارة الأولى ليس بها دكان أسفل الرباط، وجعل النظر على هذا الرباط لولده عمر ثم من بعده للأرشد من الذكور من أبنائه الذكور والإناث من أبناء الظهور[6] فقط، فإذا انقرض نسله يكون النظر للأكثر علماً من علماء الحرم وصلاحاً وأُثبت هذا الوقف بشروطه عند القاضي المالكي بمكة، وهو محي الدين[7] عبد القادر بن

---

(١)نخلة الشامية وادي يأخذ من السيول الشرقية لجبال هدأة الطائف فيسمى رأسها وادي الغديرين ثم المحرم ثم يسمى قرناً يسمى بعجاً ثم يسمى حراضاً ثم وادي الليمون أو المضيق ثم يعطف الوادي إلى الغرب.
عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـ٢٩٦.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٤٣٢.

(٣)حسن بن محمد بن قاسم الصعدي اليمني نزيل مكة، يعرف بالطاهر ولد سنة ٧٩٠هـ بصعده باليمن وقدم مكة، سافر في تجارة إلى عدن ثم إلى الديار المصرية وبلاد الهند وغيرها ثم استقر بمكة عمل أعمال بر كثيرة وولي نظر المسجد الحرام عوضاً عن القاضي أبو اليمن مات سنة ٨٧١هـ بمكة.
السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ١٢٧.

(٤)الفاسي ، العقد الثمين، جـ٥، صـ٤٣٢.

(٥)العزلة: هي الدار الكبيرة كما هو معروف عند أهل مكة.
ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ١٥٢.

(٦)أي أبناء الأبناء الذكور دون أبناء الإناث.

(٧)عبد القادر بن أبي القاسم بن أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد المعطي الأنصاري المالكي ولد سنة ٨١٤هـ بمكة ونشأ بها وتعلم بها على عدد من العلماء، درّس بالبنجالية نيابة عن أبيه وولي قضاء المالكية عقب موت أبي عبد الله النويري مباشرة فباشر بعفة ونزاهة مات سنة ٨٨٠هـ بمكة. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٢٨٣.
وابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٨٦١.

أبي القاسم الأنصاري في تسع خلون من شهر رجب عام ٨٤٣هـ[١].

رباط السلطان شاه[٢] شجاع ((رباط العجم)):

أوقف السلطان شاه شجاع بن محمد اليزدي حاكم بلاد فارس[٣] رباطاً بمكة المكرمة عام ٧٧١هـ واختار له موقعاً مقابلاً لباب الصفا، وحدد عدد سكان الرباط بعشرة أشخاص من الفقراء من العجم[٤] وخصص أن يكونوا من أهل بلاد فارس، حيث منع أن يشاركهم السكن الهنود[٥].ولعل السبب أن الهنود سنة وأغلب الفرس من الشيعة.

ولكي يستمر الرباط في أداء رسالته أوقف عليه دوراً بمكة وبمنى حيث يكون دخلها لمصلحة الرباط، وقد قام بأمر عمارة الرباط وأوقافه الشيخ غياث الدين[٦] محمد بن إسحاق الأبرقوهي[٧].

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ١٥١. وابن فهد، الدرر الكمين، جـ١، صـ٦٩٤.

(٢)شاه شجاع بن محمد بن المظفر اليزدي سلطان بلاد فارس، كان حاكم شيراز وكرمان في حياة أبيه، وانتزع هو وأخوه الحكم من والدهما ثم تنازعا على الحكم بعد موت أخيه تولى الحكم ومات سنة ٧٨٧هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٢٥٦. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ١٨٧.

(٣)فارس ولاية واسعة أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران فتحت في خلافة عمر بن الخطاب.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، صـ٤٠٧.

(٤)العجم خلاف العرب، الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه والعجمي الذي من جنس العجم ولو تكلم وأفصح العربية.

ابن منظور، لسان العرب، جـ٩، صـ٦٧. والفيروز أبادي، القاموس المحيط، صـ١٠٢٤.

(٥)أي القادمون من بلاد الهند.

(٦)هو محمد بن إسحاق بن أحمد الشيرازي الشيخ غياث الدين الأبرقوهي نزيل مكة، يُعرف بالكتبي ولد سنة ٧٢٥هـ، كان من جماعة السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس، جرت على يده صدقات بمكة ومآثر وله معرفة بالطب، وله فيه تأليف حسن وانتفع به الناس بمكة، توفي سنة ٨٠٥هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٠٨. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٧، صـ١٣٢.

(٧)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١١. الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٠٨، جـ٤، صـ٢٥٦. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣١١.

رباط أم سليمان ((زاوية أم سليمان)):

سمي هذا الرباط بزاوية[1] أم سليمان حيث كانت تسكن به وقد أقامته أم سليمان وهي امرأة زاهدة لها أعمال كثيرة، وتاريخ وقفها لهذا الرباط سنة ٧٧٢هـ ويقع هذا الرباط بسوق الليل[2] من مكة المكرمة[3]. ولم يرد عن هذا الرباط ذكر عن شروط السكن به وأوقافه والنظر بمصالحه.

رباط أم الحسين الطبرية:

من النساء العابدات اللاتي أقمن الأربطة بمكة السيدة أم الحسين[4] بنت القاضي شهاب الدين أحمد[5] الطبري المكية، حيث أقامت رباطاً بزقاق الحجر بمكة المكرمة ولكي يستمر الرباط فترة طويلة أوقفت لهذا الرباط وقفاً يكفيه بمكة وكان ذلك في شهر شعبان سنة ٧٨٤هـ[6].

---

(١)الزاوية هي عبارة عن مسجد صغير لا مئذنة له ولا منبر فيه ميضأة وضريح للمنشئ أو أحد الأولياء أو الصالحين تقام فيه الصلوات الخمس اليومية ما عدا صلاة الجمعة والعيدين، وكانت مركزاً لأصحاب الطرق الصوفية وهي تتكون من ثلاثة أقسام أولها القبلة التي يجتمع فيها أهل الطريقة التي تنتمي الزواية إليها وثانيها رواق الزوار الذي كان يخصص لزوار الزاوية، والثالث بيوت المسكن التي يقيم فيها شيخ الزاوية والمتصوفون.
د. عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، صـ١٨٢.

(٢)سوق الليل يقع شرق المسجد الحرام وهو سوق يباع فيه الأثاث وتجارة الجملة من الفواكه والخضروات.
أد.ضيف الله الزهراني، وعادل غباش، تاريخ مكة المكرمة التجاري، صـ٥١.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٣. والفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ٤٥٦. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣١٣.

(٤)أم الحسين، بنت قاضي مكة شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الطبري، زوج القاضي أبي الفضل النويري لها مآثر بمكة منها سبيل بالمسعى، ورباط بزقاق الحجر، وكتاب أيتام توفيت بمكة سنة ٧٨٦هـ ودفنت بالمعلاة.
الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ٤٥٠.

(٥)القاضي شهاب الدين أحمد الطبري، بن محمد بن محمد بن أحمد أبو الفضل الطبري المكي الشافعي ولد سنة ٧٠٣هـ وسمع من عدد من العلماء، وحدث سمع منه جماعة، درس بالمنصورية والمجاهدية، ولي قضاء مكة بعد أبيه بولاية محمد الشريف عطيفة، ثم بتفويض من المجاهد صاحب اليمن وكان مدة ولايته لقضاء مكة ثلاثين سنة وستة أشهر، توفي سنة ٧٦٠هـ بمكة. ابن حجر الدرر الكامنة، جـ١، صـ٢٩٧.

(٦)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٣. والفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ٤٥٠. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٤٠.

رباط بعلجد:

من الأربطة التي أنشئت في العصر المملوكي رباط بقرب باب الحزورة[١] يدعى برباط بعلجد، وقد أوقفه الجمال محمد بن فرج[٢] بن بعلجد المكي سنة ٧٨٧هـــ، واشترط في وقفه أنه خاص لسكن الفقراء المنقطين بمكة أما بالنسبة للنظر في مصالح الرباط فقد حصرها بيده مدة حياته، وتنحصر في أبنائه الذكور بعد وفاته، فإذا انقرضوا يكون النظر في مصالح الوقف لقاضي مكة وخصصه القاضي الشافعي، وقد سجل تاريخ الوقف وشرط النظر فيه على حجر واثبت بالرباط[٣]، وهذا يعتبر أمراً إعلامياً بأمر الرباط للمحافظة عليه طوال قيامه.

رباط الحمامي:

من الذين أنشأوا الأربطة بمكة رجل يدعى إبراهيم[٤] بن عطية بنل المكي وهو أحد خدام الشريف أحمد بن عجلان، ويعرف بالحمامي، فقد أقام هذا الرجل رباطاً وخصصه لسكن الفقراء، وموقعه بحي المسفلة بسوق العلافة[٥] وكان ذلك قبل سنة ٧٩١هـــ وهو

---

(١)باب الحزورة: الحزورة الراية الصغيرة وهي اسم سوق كانت بجانب هذا الباب، ويطلق عليه باب الوداع لأن الناس يخرجون منه عند سفرهم، ويقع بالجانب الغربي للمسجد الحرام والغالب عليه في عهد الفاسي باب الخزامية لأنه يلي الخزامية. الأزرقي، أخبار مكة، جـــ٢، صـــ٩١.

(٢)بن بعلجد: هو محمد بن فرج المكي يلقب بالجمال، ويعرف بابن بعلجد كان يتردد إلى اليمن كثيراً لتوليه لأمر المال الذي ينفذه صاحب اليمن كل سنة إلى مكة، وحصل دنيا وتقرب منها بقربات توفي سنة ٧٩٠هـــ بمكة. الفاسي، العقد الثمين، جـــ٢، صـــ٣٣٦.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جـــ١، صـــ٦١٠. والفاسي، العقد الثمين، جـــ٢، صـــ٣٣٦. وابن فهد، اتحاف الورى، جـــ٣، صـــ٣٤٩.

(٤)هو إبراهيم بن عطية بنل المكي، كان من خدام الشريف أحمد بن عجلان صاحب مكة ووزر له ثم وزر من بعده لابنه محمد بن أحمد بن عجلان ثم لعنان بن مغامس مات بمكة سنة ٧٩١هـــ ودفن بالمعلاة كان حسن الشكل ملك عقاراً طائلاً بوادي نخلة.

الفاسي، العقد الثمين، جـــ٣، صـــ١٤٧.

(٥)سوق العلافة يقع أمام باب أجياد.

الطاهر الكردي، التاريخ القويم، جـــ٦، صـــ١٠٩.

تاريخ وفاة مرقف[1] الرباط حيث لم يرد تاريخ وقف الرباط، ولم يرد عن هذا الرباط طريقة الإسكان به وشروط وقفه وما يتبعه من أوقاف.

رباط الطويل:

شيد هذا الرباط هو الشيخ مقبل[2] بن عبد الله الرومي شيخ خدام الحـــرم النبوي الشريف ويعرف بالشهابي، فقد بنى هذا الرجل هذا الرباط بمكة جهة الشبيكة وكان ذلك حوالي سنة ٧٧٠هـــ، وكان بناؤه لهذا الرباط أثناء مجاورته بمكة المكرمة[3].

رباط العطار:

العطار رجل من أثرياء مكة المكرمة، ويدعى علي[4] بن أبي بكر بن عمران المكي العطار، وكان هذا الرجل يسكن داراً قريبة من المسعى، وقد أوصى في حياته بأن تعمل داره التي يسكن بها رباطاً بعد موته يسكنه الفقراء، وأشهد على نفسه، وبعد وفاته شهد عليه بوقف الـــدار فعملت رباطـــاً، وسكنها الفقراء حسب وصية العطار وذلك سنة ٨٠١هـــ[5].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـــ٣، صـــ١٤٧.

(٢)مقبل بن عبد الله الرومي المعروف بالشهابي شيخ الخدام بالحرم النبوي الشريف كان مملوكاً للسطان الملك الصالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، انتقل إلى مكة وجاور بها على طريقة حسنة، تصدى لإصلاح مادثر من آثار عرفة ولي مشيخة الحرم النبوي مات سنة ٧٩٥هـــ بالمدينة المنورة.
ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، جـــ١، صـــ٢٠١.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جـــ١، صـــ٦١٤. الفاسي، العقد الثمين، جـــ٦، صـــ١١٧.

(٤)علي بن أبي بكر بن عمران المكي العطار، كان ذا ملاءة وتسبب فيها واستفاد أملاكاً بمكة وبوادي نخلة، توفي سنة ٨٠١هـــ بمكة وخلف بنتاً واحدة فماتت البنت وجعل داراً له بأعلى مكة رباطاً للفقراء.
الفاسي، العقد الثمين، جـــ٥، صـــ٢٤٥.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـــ١، صـــ٦١٢. والفاسي، العقد الثمين، جـــ٥، صـــ٢٤٥.

رباط الشريف حسن بن عجلان:

من أشهر حكام مكة المكرمة الذين بنوا الأربطة الشريف حسن بن عجلان فقد قام ببناء رباطين أحدهما كان في عام ٨٠٣هـ بجوار مدرسته بقرب المسجد الحرام، ولكي يستمر الرباط مدة طويلة أوقف عليه أوقافاً كثيرة منها بمكة، وبمنى وبوادي مر[١]، وأوقف أيضاً عدة وجاب بمناطق زراعية عديدة حول مكة المكرمة على رباطه وعلى أربطة أخرى أيضاً تصدقاً واحتساباً وكان ذلك سنة ٨٠٩هـ[٢].

وقد كان لرباطه شيخاً يتولى أمر الرباط ومن أشهر من تولى مشيخة الرباط الشيخ محمد بن محمد بن عبد السلام التبريزي المتوفى سنة ٨٤٣هـ[٣] ثم شرع الشريف حسن في عام ٨١٦هـ في بناء رباطه الثاني، وجعله بجوار داره بأجياد، واستمر العمل به عامًا كاملاً ولم ينته جميعه وأُكمل في عام ٨٢٢هـ[٤] مما يدل على كبر الرباط، كما ضم الرباط بئراً تدعى بئر عفراء[٥] ولعل ذلك لتوفير مياه الشرب للرباط.

---

(١)مر الظهران أكبر أودية بمكة المكرمة أعلاه النخلتان نخلة الشامية المعروفة اليوم بوادي المضيق، ونخلة اليمانية: المعروفة اليوم باليمانية.

عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـ٢٥.

(٢)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٠. والفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٣٥٤. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٥٣.

(٣)محمد بن محمد بن عبد السلام بن عيسى ولي الدين التبريزي نزيل مكة وشيخ رباط السيد حسن بن عجلان مات سنة ٨٤٣هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ١٠٦.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٠٨.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٤.

رباط الجهة[1] فرحات:

من النساء اللاتي أقمن أربطة بمكة المكرمة تقربًا إلى الله سبحانه وتعالى زوجة الملك الأشرف إسماعيل سلطان اليمن فقد أقامت هذه السيدة وتدعى الجهة فرحات رباطاً للفقراء وقد أشتهر باسم رباط البعداني وذلك نسبة للشيخ علي بن محمد البعداني[2] اليمني، وذلك لأن هذا الشيخ قد تولى أمر بناء هذا الرباط، وكان هذا الرباط خاص بالرجال العزاب الذين هم في حاجة للسكن، و لم يرد عن هذا الرباط تعريف بموقعه، وقد كان تاريخ إقامته عام ٨٠٦هـ[3].

رباط المسكينة[4]:

أوقفت هذا الرباط السيدة فاطمة بنت ناصر الدين محمد بن شهاب الدين أحمد عام ٨١١هـ ويقع بأجياد الكبير[5].

---

(١)الجهة اسم للناحية، وكان يكنى باللفظ عن المرأة الجليلة واستعمل مع أداة التعريف كلقب أصل المؤنث حقيقي.
د.حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٢٤٨.

(٢)الشيخ علي بن محمد بن يحيى البعداني اليمني المكي، كان شيخاً صالحاً، أجمع أهل الطوائف على محبته، كثير العبادة من الصيام والقيام، توفي سنة ٨٣١هـ بمكة.
ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٠٩١.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١١. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٣٨.

(٤)المسكينة: فاطمة وتدعى ستيتة بنت ناصر الدين محمد بن شهاب الدين أحمد المعروفة بالمسكينة، أوقفت في رابع المحرم سنة ٨١١هـ بأجياد الكبير من مكة رباطاً.
ابن فهد، الدر الكمين، جـ٣، صـ ١٥١٣. السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٢، صـ١٠٢.

(٥)شعب بمكة يمتد من المسجد الحرام إلى ما يسمى اليوم بئر بليلة وتعود التسمية إلى الصراع الذي حدث بين جرهم وقطورا في مكة، حيث خرج زعيم قطورا ومعه الرجال والجياد لذلك سميت منطقتهم جياداً.
السباعي، تاريخ مكة، جـ١، صـ٢١، ٣٣. وعاتق بن غيث، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـ١٤.

وتعرف هذه السيدة بالمسكينة، وقد جعلته خاصاً للنساء الفقيرات اللاتي ليس معهن رجال اللاتي قدمن إلى مكة بهدف الإقامة بها، على أن يكون السكن به وفق الشروط التالية:

١ــ يسكن بالرباط أكثر النساء حاجة للسكن أولاً بأول.

٢ــ يكون عدد الساكنات بكل حجرة على حسب رأي ناظر الرباط، حسب المصلحة.

٣ــ إذا استغنت إحدى الساكنات عن الإقامة بالرباط يسكن الناظر غيرها بعد إخراجها.

٤ــ إذا انقطعت إحدى الساكنات عن الرباط أكثر من عشرة أيام من غير عذر يحق للناظر إخراجها وتسكين غيرها.

٥ــ إذا خلا الرباط من النساء الساكنات يحق للناظر أن يسكن الرجال على نفس الصفة السابقة للنساء((عزاب، فقراء ، قادمين إلى مكة)).

٦ــ يقدم النساء على الرجال في السكن بالرباط.

٧ــ إذا تعذر وجود النساء يكون الرباط للفقراء والمساكين من أي جهة كانوا .

وقد جعلت هذه السيدة لنفسها النظر في مصالح الرباط مدة حياتها ثم يكون النظر لمن توصي به ، وللوصي لمن يوصى به أيضاً فإذا انقطع الإيصاء على الرباط يعود النظر في مصالح الرباط للقاضي الشافعي بمكة المكرمة[١].

رباط بن أبي شاكر:

أوقف هذا الرباط بمكة الوزير تقي الدين بن أبي شاكر[٢]، وزير مصر، فقد أوقف

---

(١)ابن فهد، الدر الكمين، جـــ٣، صـــ١٥١٣.

(٢)ابن أبي شاكر: هو عبد الوهاب بن عبد الله بن موسى القبطي المصري، الوزير بالديار المصرية ولي للناصرين الظاهر الديوان المفرد ثم نظر الخاص، توفي سنة ٨١٩هـــ، كان حسن الإسلام وكان يتمذهب لأبي حنيفة. الفاسي، العقد الثمين، جـــ٥، صـــ١٤٤. والسخاوي، الضوء اللامع، جـــ٥، صـــ١٠٢.

بباب أجياد برأس زقاق أجياد الصغير[1] مقابل المسجد الحرام، ويفصله عن المسجد الحرام مسيل الوادي، وقد اشترى محل الرباط حيث لم يكن به بناء، وبــدأ في عمارته عام ٨١٥هـــ، وبعد أن عمل منه جانباً كبيراً توقف العمل به حيث ترك المتولي العمارة العمل ولم يلبث أن توفى الوزير تقي الدين في عام ٨١٩هـــ فصار الرباط للأمير فخر الدين عبد الغني[2] بن أبي الفرج الذي أكمل عمارة الرباط حيث أمر أمير مكة الشريف حسن بن عجلان بتكملة البناء الذي أوكل بدوره لبعض غلمانه تولي هذه المهمة، وقد سكن به عدد من الفقراء قبل تمامه وربما يعود ذلك لكثرة الفقراء بمكة[3] وعدم بقاء بناء يؤثر على الساكنين به.

رباط السيدة عائشة المغربية:

أنشأت السيدة عائشة ابنة علي بن عبد الله الرفاعي المغربي رباطاً بأسفل مكة ويتوقع بناء هذا الرباط قبل عام ٨٣٧هـــ حيث أن هذه السيدة قد ماتت سنة ٨٣٧هـــ بمكة وقد أوقفت على هذا الرباط داراً بالقرب من المسجد الحرام عند باب الصفا وقد كان يؤجر لمصالح الرباط حيث قد استأجرها إبراهيم بن الزمن وعمرها داراً وقد كانت هذه السيدة تقيم برباطها وتعقد بهذا الرباط حلقات الذكر للنساء كل سبت وتعمل للنساء المجتمعات عندها طعاماً[4]. والظاهر أن هذه السيدة كانت من النساء المتصوفات

---

(١)جياد الصغير هو الشعب الذي يكون على مسار الخارج من باب أجياد من المسجد الحرام ويسمى اليوم السد، وكانوا يسمونه أجياد الصغير. السباعي، تاريخ مكة، جـــ١، صـــ٣٣.

(٢)عبد الغني بن أبي الفرج القبطي، الأمير فخر الدين الاستدار الملكي المؤيدي كان استداراً كبيراً للملك المؤيد صاحب مصر توفي سنة ٨٢١هـــ بالقاهرة.

الفاسي، العقد الثمين، جـــ٥، صـــ١٠١. والسخاوي، الضوء اللامع، جـــ٤، صـــ٢٤٨.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جـــ١، صـــ٦١٠. والفاسي، العقد الثمين، جـــ٥، صـــ١٠١، ١٤٤. والفاسي، الزهور المقتطفة، صـــ١٥١. وابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٣، صـــ٥٠٠.

(٤)ابن فهد، الدر الكمين، جـــ٣، صـــ١٤٨٨. وابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٤، صـــ٧٤. السخاوي، الضوء اللامع، جـــ١٢، صـــ٧٧.

بمكة، و لم يرد عن كيفية السكن بهذا الرباط وشروطه شيء ولا تاريخ إنشائه، وقد توفيت هذه السيدة برباطها المذكور.

رباط القائد شُكر الحسيني[١]:

بني هذا الرباط بعد وفاة صاحبه بسبع سنوات حيث أوصى القائد شكر بأن يبنى له رباطاً، وأن يوقف عليه بيتاً يكون مقابلاً له، وقد نفذت وصيته في عام ٨٥٢هـ على يد ابنه بديد[٢] فأقام الرباط في موقع دارين لوالده وأوقف داراً مقابلة للرباط على مصالحه، وقد جعل للرباط درجاً إلى عين بازان[٣] وهذا يدل على قرب الرباط من الصفا حيث تنتهي عين بازان[٤]. وعمل هذا الدرج لكي يسهل على سكان الرباط التزود بالماء.

---

(١)شكر بن عبد الله الحسيني مولى السيد حسن بن عجلان وعتيقه وزيره ووزير ابنه السيد بركات مات سنة ٨٤٥ هـ بمكة. ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٧٧٠. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٣٠٦.

(٢)بديد بن شُكر الحسيني: اسمه أحمد ولد سنة ٨٠٧هـ بمكة خدم السيد بركات بن حسن من صغره، فيه مروءة وتواضع خدم السيد محمد بن بركات وقام بأعباء ولايته ثم حصلت بيهما جفوة، مات بمكة سنة ٨٦٩هـ بوادي الآبار بمكة.

المصدر السابق، جـ١، صـ٦٤٠. المصدر السابق، جـ٣، صـ٤.

(٣)بازان هو رسول جوبان حاكم بلاد أبي سعيد بن خربندا بالعراق. سميت العين باسمه لقيامه بإصلاحها سنة ٧٢٦هـ وقد كانت تسمى قديماً عين حنين.

المقريزي، السلوك، جـ٣، صـ٩٠. القاضي حنيف الدين، رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، تحقيق د.ناصر الحارثي، صـ٣٠.

(٤)ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٤، صـ١٢٣.وابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٧٧٠. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٧٧.

رباط ابن مزهر[1]:

ينسب هذا الرباط إلى القاضي كاتب السر أبوبكر بن مزهرحيث قـــدم مع حجاج الرجبية إلى مكة المكـــرمة وأوقف رباطه الذي أنشأه بالقرب من الصفا وكان ذلك سنة ٨٧١هـــ[2] ولم يرد ذكر عن شـــروط وقف هذا الرباط ولا ما يتبعه من أوقاف تدر عليه وتحافظ على مصالحه.

رباط السلطان غياث الدين:

يقع هذا الرباط بجـــوار مدرسة السلطان غياث الدين بالجانب اليماني من الحـــرم الشريف وذلك أن مبعوث السلطان ياقوت الغياثي قد اشترى دارين متلاصقتين بجوار باب أم هانئ جعل إحداهما مدرسة والأخرى رباطاً سنة ٨١٣هـــ وبهذا يكون الرباط والمدرسة من القرب كأنهما مبنى واحد، وقد أرسل السلطان غياث الدين لشريف مكة في ذلك الحين حسن بن عجلان ولأعيان مكة من قضاة وعلماء هدايا قيمة لمساعدة مبعوثه في تنفيذ مقصده من عمارة المدرسة والرباط، وقد فُرغ من العمارة في نهاية ٨١٣هـــ، واشترى ياقوت الغياثي أيضاً داراً مقابلة[3] لمدرسة السلطان بمبلغ ٥٠٠ مثقال ذهب وجعلها وقفاً على مصالح الرباط بالإضافة إلى الأوقاف الأخرى التي ذكرت أنها للمدرسة

---

(١)أبو بكر بن محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري زين الدين الدمشقي القاهري الشافعي يعرف بابن مزهر ولد سنة ٨٣١هـــ بالقاهرة وولي كتابة السر سنة ٨٦٦هـــ. توفي سنة ٨٩٣هـــ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـــ١١، صـــ٨٨.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٤، صـــ٤٧٤.

(٣)هي الدار التي في بناء مدرسة السلطان. انظر موضوع المدارس صـــ٥٢.

ابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٣، صـــ٤٨٥.

فقط ولكن بحكم أن الرباط مجاور للمدرسة وبنيت في وقت واحد فيشترك الرباط والمدرسة في جميع الأوقاف التي أوقفت لهذا من مناطق زراعية ودور[١].

وربما يكون ذلك أن هذا الرباط مبنى لمصلحة المدرسة حيث يتم السكن به لطلاب المدرسة ومريديها من علماء وزوار.

رباط العباس[٢]:

يُنسب رباط العباس للعباس[٣] رضي الله عنه عم النبي ﷺ وقد كان هذا الرباط مطهره[٤]، فعندما تولي السلطان الناصر محمد بن قلاوون حولها إلى رباط[٥]، ولم يرد عن هذا الرباط شروط وقفه وسكنه وتاريخ إقامته ولكن يكون إقامة هذا الرباط على الأرجح في مدة حكم السلطان الناصر الثالثة وذلك لأن الأمور استتبت للناصر فكانت مدة حكمه

---

(١)النهراولي، الإعلام، صـــ٢٢٢، الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـــ١، صـــ١٨٧. والسنجاري، منائح الكرم، جـــ٢، صـــ٤١٠. وناجي معروف، المدارس الشرابية، صـــ٣٥٧.

(٢)ينسب هذا الرباط للعباس رضي الله عنه لأنه أقيم في المكان الذي يقال أنه كان دار العباس رضي الله عنه بين الصفا والمروة، وهي عند العلم الذي يسعى منه من جاء من المروة يريد الصفا.

الأزرقي، أخبار مكة، جـــ٢، صـــ٢٣٣. الفاكهي، أخبار مكة، جـــ٣، صـــ٢٧٠.

(٣) والعباس بن عبد المطلب بن هاشم يكنى أبا الفضل، كان أسن من رسول الله بسنتين وقيل بثلاث سنين وكان العباس في الجاهلية رئيساً في قريش وإليه عمارة المسجد الحرام والسقاية، شهد مع النبي بيعة ا لعقبة وكان حينئذ مشركاً أسر يوم بدر وأسلم عقيب ذلك ثم هاجر إلى النبي وشهد معه فتح مكة توفي بالمدينة سنة ٣٢هـــ ودفن بالبقيع.

ابن الأثير، أسد الغابة، جـــ٢، صـــ٥٤٣.

(٤)الطُهر بالضم نقيض النجاسة كالطهارة، والمطهرة بيت يتطهر به.

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، صـــ٣٨٩.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـــ١، صـــ٦١١. الفاسي، العقد الثمين، جـــ٦، صـــ٢١٤.

الثالثة طويلة حيث بدأت من سنة ٧٠٩ـــ ٧٤١هـــ[1]، وقد حج خلالها ثلاث حجات، فيكون الأرجح أنه بُنى خلال هذه المدة ويقع هذا الرباط بين الصفا والمروة مكان المطهرة السابقة.

رباط المطيبيز[2] :

من الأربطة التي أوقفت بمكة المكرمة رباط يقع بمنطقة سوق الليل خصص للنساء، وواقف هذا الرباط رجل يُدعى عطية بن خليفة المعروف بالمطيبيز، وهو أحد تجار مكة، ولم يرد تاريخ بناء هذا الرباط،ولكن الأرجح أنه بُني بعد عام ٨٠٠هـــ ذلك أن الموقف توفي عام ٨٢٧هـــ.

وقد لا يكن لهذا الرباط وقف يدر عليه لذا نجد الواقف يسمح للساكنات بالرباط أن يكرين مساكنهن لقضاء ما يحتجنه[3].

رباط السلطان قايتباي:

تزامن بناء رباط السلطان قايتباي مع بناء مدرسته بمكة وذلك على يد وكيله الخواجا شمس الدين بن الزمن وشاد العمائر الأمير سنقر الجمالي[4]، وقد بنى الرباط بجوار

(١)المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـــ٣، صـــ٣٠١.

(٢)المطيبيز: هو عطية بن خليفة بن عطية الزين المكي كبير تجار مكة المكرمة يعرف بالمطيبيز، ولد قبل ٧٦٠هـــ، ووقف وقفاً على رباط الموفق توفى سنة ٨٢٧هـــ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـــ٥، صـــ١٤٨.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جـــ١، صـــ٦١٣. والفاسي، العقد الثمين، جـــ٥، صـــ٢١٩.

(٤)سنقر الجمالي ناظر الخاص يوسف بن كاتب جكم الزين أبو السعادات ترقى حتى عمل الشادية على عمائر بمكة والمدينة بل وأضيفت له الحسبة بمكة وغيرها.

السنجاري، الضوء اللامع، جـــ٣، صـــ٢٧٣.

المدرسة مشرفا على المسجد الحرام سنة ٨٨٢هـ في جزء من مكان رباط السدرة(١) وكان هذا الرباط يضم ٧٢خلوة، واهتم السلطان بسكان الرباط حيث جعل لهم ما يكفيهم من القمح مما تغله أوقاف الرباط والمدرسة(٢).وعندما حج السلطان عام ٨٨٤هـ افتتح المجمع الخيري الذي شيده بمكة في احتفال بهيج ومما رتب للرباط أن عين له ناظرًا يقوم على شؤونه وهو الشيخ أبو بكر بن محمد ظهيرة(٣)، وشيخاً للرباط وهو الشيخ شمس الدين المسيري(٤).

رباط الشريفة أم الكامل(٥):

أنشأت زوجة الشريف بركات بن محمد رباطاً بمكة المكرمة بمنطقة أجياد الصغير في عام ٩١٩هـ وخصصته لسكنى النساء فقط بشرط أن يتوفر فيهن الشروط التالية:

١ـ أن يكن منقطعات بمكة المكرمة.

---

(١)رباط السدرة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل إلى المسجد الحرام من باب بني شيبة، لا يُعرف واقفه وتاريخ وقفه كان موقوفاً في سنة ٤٠٠هـ.

الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٠٧.

(٢)السنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٨١. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٧٥. والعصامي، سمط النجوم العوالي، جـ٤، صـ٤٤.

(٣)الشيخ أبو بكر بن محمد بن محمد بن ظهيرة القرشي الشافعي المكي ولد سنة ٨٥١هـ بمكة حفظ القرآن وتعلم العلوم على عدد من المشايخ وأجاز له عدد من العلماء توفي سنة ٨٨٥هـ.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٢٩٥. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـ٩١.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٦٤٧.

(٥)الشريفة أم الكامل بنت الشريف عجل بن رميح بن جازم بن عبد الكريم بن أبي نمي الحسيني ا لمكي.

ابن فهد، غاية المرام، جـ ٣، صـ٢٩٢.

٢ــ ليس لهن قرابة بمكة المكرمة.

٣ــ الأرامل المتطوعات[١].

و لم يرد عن هذا الرباط أوقافاً تدر عليه وتحافظ على مصالحه.

رباط الشريف محمد بن بركات:

اقتفى الشريف محمد أثر والده في أعمال البر بمكة المكرمة، فقد بنى الشريف رباطاً كبيراً بأجياد[٢] مقابلاً رباط والده الشريف بركات[٣]، وسكّن به الفقراء، وكان ذلك على الأرجح ما بين عامي ٨٥٩ــ ٩٠٣هــ وهي المدة التي تولى فيها الشريف محمد الحكم بمكة[٤]، و لم يرد عن أوقاف هذه الرباط وطريقة السكنى به شيء.

رباط الوتش:

من الأربطة التي أقيمت بأعلى مكة رباط الوتش ويقع بالقرب من رباط الخلاطي[٥]، وقد وقف هذا الرباط في أواخر القرن الثامن[٦]. و لم يعرف باني هذا الرباط ولا سبب تمسيته بهذا الاسم.

---

(١)ابن فهد، غاية المرام، جــ٣، صــ٢٩٢.

(٢)أجياد: يطلق على شعبين كبيرين من شعاب مكة، يأتي أحدهما من الجنوب والآخر من الشرق، وقد أصبحا اليوم مأهولين بأحياء عديدة من أحياء مكة.

عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، صــ١٤.

(٣)ابن فهد، غاية المرام، جــ٢، صــ٥٩٩.

(٤)المصدر السابق، جــ٢، صــ٥٠٦.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جــ١،صــ٦١٣.

(٦)الفاسي، الزهرو المقتطفة صــ١٥١.

تجديد الأربطة التي بنيت قبل مدة الدراسة:

وُجد بمكة المكرمة كثير من الأربطة خلال العهد المملوكي وكان بناؤها قبل ذلك العهد، وسوف تُذكر في هذا البحث وذلك لما تعرضت له هذه الأربطة من التجديد خلال العهد المملوكي ومنها:

رباط ابن مندة[1]:

أنشئ هذا الرباط عام ٣٩٥هـ، ويقع بجوار دار النـدوة[2] وقد قام بتجديد هذا الرباط الخواجا بدر الدين حسين بن محمد بن الطاهر سنة ٨٤٣هـ بعد أن استأجره وأوقف منافعه على الفقراء المستحقين ولم يرد عن شروط وقف الرباط هل غيرها الواقف الجديد أم لا، حيث أن واقفه الأول شرط أن يكون الرباط للقادمين من أصبهان أربعين يوماً ولسائر الناس باقي السنة[3].

رباط الخوزي[4]:

يقع هذا الرباط بالقرب من باب إبراهيم وقد أُنشئ عام ٦١٧هـ[5]، وقد تعرض هذا الرباط للحريق الذي حدث بالمسجد الحرام سنة ٨٠٢هـ، فقامت الخوند[6] شيرين أم

---

(١)هو الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة ولد سنة ٣١٠هـ وعمر رباطاً بمكة توفي سنة ٣٩٥هـ.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٨١.

(٢)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٠٨.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٨٢.

(٤)رباط الخوزي: ينسب هذا الرباط للخوزي نسبة لأبي جعفر عمر بن مكي الخوزي حيث كان يقيم به وواقفه هو قرامز بن محمود بن قرامز الآقدري الفارسي الأمير زين الدين.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٣٧٤.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٠٩.

(٦)الخوند لفظ فارسي عرفته كذلك اللغة التركية وأصله ((خدا وند)) ومعناه السيد أو الأمير ويخاطب به الذكور والإناث.

د. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٢٨٠.

الملك الناصر فرج بعمارة ما انهدم من الرباط وترميمه، وأوقفت عليه أوقافاً[1] رغبة في استمرار الرباط في أداء دوره.

وقد كان لهذا الرباط شيخ يدير أموره وممن تولى مشيخته الشيخ مهنا بن أبي بكر بن إبراهيم[2] البغدادي الذي استمر ما يقارب ٣٠سنة شيخاً للرباط[3].

رباط رامشت:

من أشهر الأربطة التي أُنشئت بمكة المكرمة رباط رامشت[4] الذي شيد في العقد الثالث من القرن السادس الهجري عند باب الحزورة أحد أ بواب المسجد الحرام في الجهة الغربية[5]، وقد تعرض الرباط للحريق عام ٨٠٢هـ حيث كان هذا الرباط مصدر الشرارة الأولى التي أشعلت النار وعمت باقي الربط والجهة الغربية من المسجد الحرام[6]، وبهذا يكون الرباط قد احترق بالكامل وأصبح ركاماً وبعد الانتهاء من عمارة المسجد الحرام، انبرى عدد من أهل الخير لعمارة الرباط وكان للشريف حسن بن عجلان نصيب الأسد في عمارة الرباط وإعادته كما كان حيث صرف لوحده مائتي مثقال ذهباً وذلك عام ٨١٨هـ[7].

---

(١)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١١٧٧.

(٢)مهنا بن أبي بكر بن إبراهيم البغدادي ثم الدنيسري نزيل مكة وشيخ رباط الخوزي بها ولد سنة ٧٨٣هـ وقدم مكة، جاور بمكة نحو ٤٠ سنة توفي سنة ٨٢٠هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ١٣٤. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠، صـ١٧٣.

(٣)الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٦، صـ١٣٤.

(٤)رامشت بن الحسين بن شيروية الفارسي، كان من أعيان تجار العجم وخيارهم له بمكة المشرفة آثار تحمد، منها أنه عمل للكعبة المعظمة ميزاباً، وكسى الكعبة المعظمة سنة ٥٣٢هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٨٧.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٠٩. والفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٨٧.

(٦)الفاسي ، شفاء الغرام ، جـ١، صـ٤٣١. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٢٠. وأحمد بن مكي، أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، صـ١٨٦.

(٧)الفاسي ، شفاء الغرام ، جـ١، صـ٦٠٩. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ١٨٤. باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، صـ٨٨.

وفي عام ٨٥٥هـ تعرض الرباط للترميم الكامل وذلك على يد ناظر الحرم الشريف بردبك التاجري[1] تنفيذاً لأمر ناظر الخاص[2] الذي استأجر الرباط وجعله يحتوي على مدرسة أيضاً وسمى رباط ناظر الخاص، وعدل في البناء بفتح عدد من الشبابيك في الجدار الشرقي والشامي، وشيد به سبيلاً لسكانه حيث جعل مدخله من داخل الرباط[3]، وكان لهذا الرباط شيخ يتولى النظر في مصالحه، ومن الذين تولوا مشيخة الرباط الشيخ حيدر بن الحسين الفاسي[4].

رباط بنت التاج:

يعتبر هذا الرباط من الأربطة التي خصصت لسكن النساء المتصوفات المجاورات بمكة، ولم يرد تاريخ وقف هذا الرباط، وهو يقع بمنطقة أجياد[5] وقد تعرض هذا الرباط للتجديد على يد الشريف بركات حاكم مكة عام ٨٥٩هـ وقام بإيقاف منافعه على الفقراء[6]. وبهذا يكون الشريف بركات قد غير نظام الرباط فلم يصبح خاصاً للنساء المتصوفات بل للفقراء جميعاً.

---

(١)بردبك التاجي الأشرفي برسباي ناظر المسجد الحرام وباش الأتراك المقيمين بمكة، أُرسل للمدينة الشريفة معماراً سنة ٨٥٣هـ، وعمر بعض سقوف الروضة وجاء منها لمكة في شعبان سنة ٨٥٣هـ، ثم عاد لبلاده ثم رجع إلى مكة سنة ٨٥٤هـ في شعبان ناظر و محتسباً توفي سنة ٨٨٥هـ.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٦٤٥. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٦.

(٢)ناظر الخاص: هو الذين ينظر في الأموال الخاصة بالسلطان.

القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، صـ٤٦٥.

(٣)ابن فهد، اتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٩٩.السخاوي، التبر المسبوك، صـ٣٥٤.الطبري،تاريخ مكة اتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٤٢.

(٤)حيدر بن الحسين بن حيدر الفارسي، شيخ رباط رامشت بمكة جالس العلماء وسمع على عدد من علماء مكة، كان من الصالحين العباد، انقطع بمكة ٤٠سنة توفي سنة ٧٥٩هـ .

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٤٥٩.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٤.

(٦)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٤٥٣. السنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٦٠.

وخلال العصر المملوكي كان بمكة عدد من الأربطة لم يُعرف تاريخ إنشائها وبحكم أن العصر المملوكي قد استمر مدة ٢٧٥عامًا فيكون الأرجح أنها أوقفت خلاله ولذلك ذكرناها في البحث وهي:

الرباط	موقعه
١ــ رباط صالحة	عند باب الزيادة المنفرد ((زيادة دار الندوة))
٢ــ رباط القزويني	بالجانب الشمالي عند باب السدة[١].
٣ــ رباط سعيد الهندي	بالقرب من الصفا.
٤ــ رباط الزيت	أجياد.
٥ــ رباط للنساء	أجياد.
٦ــ رباط بنت الحرابي	أجياد.
٧ــ رباط الوراق	بقرب باب إبراهيم[٢].

المواضي أو المطهرات:

من أعمال البر التي أقامها بعض الناس بمكة المكرمة المواضي والمطهرات وهي الأماكن التي يتطهر بها المسلم من النجاسة بالاغتسال والوضوء للصلاة، وقد حرص المقيمون لهذه المنشآت أن تكون قريبة من المسجد الحرام وذلك لكثرة الحجاج والمعتمرين على مدار السنة ومن هذه المواضي والمطهرات ما يلي:

الميضاة الصرغتمشية:

عمر هذه الميضاة الأمير صر غتمش[٣] بن عبد الله الناصري، وتقع بين رباط أم الخليفة[٤] والبيمارستان المستنصري بالجانب الشمالي من المسجد الـــحرام وذلك عام

(١)يقع بالجانب الشمالي وكان يسمى باب عمرو بن العاص.
الفاسي، شفاء الغرام، جــ١، صــ٤٥١، صــ٤٥٢.

(٢)الفاسي، شفاء الغرام، جــ١، صــ٦٠٩ــ ٦١٥.

(٣)صر غتمش بن عبد الله الناصري، كان كبير الأمراء في دولة الملك الناصر حسن تغير عليه السلطان حسن فقبض عليه سنة ٧٥٩هــ وانتهى أمره.
الفاسي، العقد الثمين، جــ٤، صــ٢٧٩. وابن حجر ، الدرر الكامنة، جــ٢، صــ٢٠٦.

(٤)رباط أم الخليفة الناصر العباسي ويُعرف بالعطيفية لأن الشريف عطيفة صاحب مكة كان يسكنه وتاريخ وقفه سنة ٥٧٩هــ ويقع بالجانب الشرقي من المسجد الحرام.
الفاسي، شفاء الغرام، جــ١، صــ٦٠٨.

٧٥٩هـ[١]، وبعد ٥٢ عامًا قيض الله سبحانه من يعيد عمارة هذه الميضأة ويرممها وذلك أن التاجر حسين[٢] بن أحمد السراوي العجمي قد أوصى بعمارة هذه الميضأة، بعد موته ورصد لها مبلغاً قدره ٥ آلاف درهماً فنفذت وصيته بعد موته عام ٨١١هـ[٣].

مطهرة الأمير سيف الدين آل ملك:

عمر الأمير سيف الدين[٤] الحاج آل ملك مطهرة بالقرب من باب الحزورة في عهد الناصر السلطان محمد بن قلاوون، وجعل على هذه المطهرة ربع فوقها، وهذا قد يكون سكناً للقائمين عليها أو وقفاً لصالح المطهرة وهو الأرجح، والأرجح أن تاريخ عمارتها ما بين سنة ٧٠٩هـ وسنة ٧٤٣هـ وهي الفترة التي كان له شأن في الدولة بمصر[٥].

مطهرة الأشرف شبعان:

هذه المهطرة عمرها الأمير أبو بكر سنقر الجمالي بأمر السلطان الأشرف شعبان وتقع بالمسعى بالقرب من باب علي وبنى عليها مساكن وجعل لها أوقافاً عبارة عن دكاكين ووقف بضواحي القاهرة، والأرجح أنه منطقة زراعية بحكم موقعها في ضواحي القاهرة والهدف من هذا الوقف إيجاد مورد للمطهرة يساعد في إصلاحها وتوفير ما

---

(١)المصدر السابق، جـ١، صـ٦٣٧. والفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٢٧٩. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٧٣.

(٢)حسين بن أحمد السراوي العجمي كان من تجار العجم، جاور بمكة مدة وأوصى بقرب كعمارة عين مكة توفي في جماد الآخرة سنة ٨١١هـ بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٤١٦هـ، السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ١٣٨.

(٣)المصدر السابق،جـ٣،صـ٤١٦. وابن فهد، إتحاف الورى،جـ٣،صـ٤٦٦.والنهروالي، الإعلام،صـ٢٢٢.

(٤)آل ملك نائب السلطنة بمصر الأمير سيف الدين كان من أعيان الأمراء بالقاهرة في دولة الناصر محمد بن قلاوون، نقل إلى نيابة صفد ثم تغير عليه السلطان الكامل وسجنه بالأسكندرية ومات مقتولاً سنة ٧٤٦هـ له مآثر كثيرة بمكة. الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٠٨. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ٤١١.

(٥)الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٣، صـ٢٠٨. ومحمد المكي، تاريخ مكة المشرفة، صـ١٠٣.

تحتاجه من لوازم لكي تستمر في أداء دورها. وكان ذلك عام ٧٧٦هـ[1] وقد كان السلطان الأشرف شبعان قد خصص للمطهرة من الأوقاف التي وضعها مبلغ ٥٨٠٠ درهم موزعة على عدد من العاملين كل سنة تصرف وفق تنظيم خصص لذلك الغرض.

مطهرة الأمير بركة العثماني:

من الأوامر التي طلب الأمير بركة بن عبد الله العثماني من الأمير سودون باشا تنفيذها في مكة المكرمة عام ٧٨١هـ عندما أرسله لعمارة أجزاء من الكعبة المعظمة بناء مطهرة له، فقام الأمير سودون بعمارة مطهرة بسوق العطارين بقرب باب بني شيبة ((باب السلام)) وبنى عليها مساكن ودكاكين[2]. وذلك لتوفير مورد ثابت لمصالح المطهرة، وقد كان لهذه المطهرة ناظر يتفقد مصالحها ويهتم بشؤونها ومن الذين تولوا الإشراف على هذه المطهرة علي الأصغر بن محمد بن أحمد القسطلاني المكي[3] في عام ٨٤٣هـ بعد القاضي بهاء الدين أبي البقاء[4] بن الضياء، وقد استمرت هذه الميضأة تؤدي دورها حيث ذُكر أنه في عام ٩١٥هـ. طلب القاضي عز الدين فايز بن ظهيرة من

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٢٢. الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٣٨.

(٢)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٣٨. والفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٣١. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٣٤. والمقريزي، السلوك، جـ٥، صـ٦٦.

(٣)علي الأصغر بن محمد بن أحمد بن حسن القيسي القسطلاني المكي الحنفي ولد سنة ٧٩٨هـ بمكة ونشأ بها، سمع على عدد من الشيوخ، وأجاز له عدد منهم وولي بمكة نظر رباط السدرة، ورباط كلالة والميضأة المنسوبة لبركة في أواخر سنة ٨٤٣هـ ثم عزل عنها بالأمير بردبك التاجي ثم أعيد. مات سنة ٨٦٦هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٠٥٢. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٢٨١.

(٤)هو محمد بن أحمد بن الضياء القرشي العمري الحنفي العلامة قاضي القضاة بها الدين أبو البقاء ولد سنة ٧٨٩هـ بمكة المشرفة وتعلم بها وسمع من عدد من العلماء وسافر في طلب العلم، ناب في القضاء بمكة عن والده واستقل بالوظيفة ثم جمع له سنة ٨٢٧هـ القضاء ونظر الحرم والحسبة، وولي النظر عن مطهرة بركة سنة ٨٤٣ هـ، توفي سنة ٨٥٤هـ بمكة.

المصدر السابق، جـ١، صـ٥٤. المصدر السابق، جـ٧، صـ٨٤.

باش[1] الأتراك أن يهتم بأمر هذه الميضأة ويعلمه بأن وقفها كثير وليس بها ماء، وألح القاضي في متابعة طلبه حتى تحقق[2].

ميضأة الناصر محمد بن قلاوون:

تقع الميضأة عند باب بني شيبة ((باب السلام)) حيث شيدها الأمير علي بن هلال الدولة سنة ٧٢٨هـ على أرض ترجع ملكيتها للشريفين عطيفة ورمثية ابني أبي نمي أميري مكة المكرمة اشتراها منهما بمبلغ وقدره خمسة وعشرين ألف درهم وجلعها وقفاً لسيده الملك الناصر محمد بن قلاوون. وصارت تعرف بالناصرية[3].

ميضأة ابن الزمن:

شيد الميضأة الخواجا شمس الدين بن الزمن بقرب باب علي[4] وجعل لها بابين وربما يكون بناؤها عام ٨٨٢هـ[5] وهي الفترة التي شيد فيها ابن الزمن عمائر السلطان قايتباي بمكة.

---

(١) باش الأتراك. رئيس الأتراك بمكة.

(٢) ابن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٣٨٧.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٣٧. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٨٧. ابن الوردي، تاريخ ابن الورى، جـ٢، صـ٤٠٥. ابن بطوطة، الرحلة، ٢٥٧.

(٤) يقع بالجهة الشرقية للمسجد الحرام ويسمى باب بني هاشم. الأزرقي، أخبار مكة، صـ٨٨. الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٥٠.

(٥) الطبري، الأرج المسكي، صـ٩٥.

ميضأة السلطان قايتباي:

من المواضي التي أُنشئت خلال العصر المملوكي ميضأة السلطان قايتباي وهذه تقع بالقرب من مدرسته ورباطه بالمسعى برأس زقاق الحجر وكانت العمارة على يد الأمير سنقر الجمالي والخواجا شمس الدين بن الزمن عام ٨٨٢هـ[١].

مطهرة الأمير الطنبغا الطويل:

شيد هذه المطهرة أحد أمراء مصر ويعرف بالأمير الطنبغا[٢] الطويل وذلك في بداية عام ٧٧٠هـ وتقع بالقرب من موضع يعرف بخرابة[٣] قريش بأسفل مكة تجاه باب العمرة الآن[٤].

مطهرة الواسطي:

تقع هذه المطهرة بالجهة الغربية من المسجد الحرام بالقرب من باب الحزورة و لم يستدل على موقفها وتاريخ وقفها[٥].

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٦١٩. والطبري، الأرجح المسكي، صـ٩٥.

(٢)طيبغا الطويل بن عبد الله، كان شريكاً للأمير يلبغا الخاصكي في تدبير المملكة بالديار المصرية ثم وقع بينهما خلاف فتحاربا فاعتقل طيبغا بالأسكندرية ثم أُطلق وولي نيابة حلب وحماة ومات سنة ٧٦٨هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٣٠٣. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ٢٣١.

(٣)خرب ضد العمران والجمع أخربه، والخربة موضع الخراب.

ابن منظور، لسان العرب، جـ٤، صـ٤٨. والفيروز آبادي، القاموس المحيط، صـ٧٤.

الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٣٨.

(٤)محمد المكي، تاريخ مكة المشرفة، صـ١٠٣.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٣٩. محمد المكي، تاريخ مكة المشرفة، صـ١٠٣.

مطهرتا زوجة[1] الملك الأشرف أينال:

تقع هاتان المطهرتان بالقرب من الصفا وقد شيدهما زوجة الملك الأشرف عام ٨٦٥هـ[2].

مطهرة السلطان لاجين[3]:

عُمرت هذه المطهرة بالمسعى محل الدار التي تنسب إلى العباس رضي الله عنه فقد أقامها السلطان لاجين وذلك في الفترة من ٦٩٦هـ ـ ٦٩٨هـ وهي فترة حكمه ، و لم تلبث هذه المطهرة أن أزيلت في عهد خلفه السلطان الملك المنصور محمد بن قلاوون حيث بدلت رباطاً[4].

مطهرة أم سليمان:

تقع هذه المطهرة خلف مطهرة الأشرف شعبان بالمسعى تجاه باب علي وقد عمرها المرأة العابدة الزاهدة التي عمرت الرباط الذي سمي بزاوية أم سليمان المتصوفة وقد كانت هذه المطهرة خاصة للنساء وتاريخ عمارتها سنة ٧٩٦هـ[5].

---

(١)تدعى زينب بنت العلاء علي بن أحمد بن خاصبك، انظر صـ٥٩ من البحث.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٣٢٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٦، صـ٥٧.

(٢)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٣٦.

(٣)هو السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري سلطان الديار المصرية تسلطن بعد خلع الملك العادل كتبغا المنصوري في شهر صفر سنة ٦٩٦هـ وقد كان مملوك للملك المنصور قلاوون أعتقه وجعله من جملة مماليكه، وعينه نائباً بقلعة دمشق وعندما تسلطن كتبغا جعله نائب السلطنة ثم استولى على السلطنة واستمر حتى توفي مقتولاً سنة ٦٩٨هـ.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٨، صـ٨٥.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ٢١٤.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٣٨. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٩١. ومحمد المكي، تاريخ مكة المشرفة، صـ١٠٣.

ميضأة السلطان قانصوه الغوري:

أنشأ السلطان قانصوه الغوري ميضأة عام ٩١٦هـ بالقرب من المسجد الحرام على يمين الخارج من باب إبراهيم[١]، وقد تُرك استخدامها لما حصل منها من ضرر على المصلين بالمسجد الحرام حيث تصل رائحتها المسجد وذلك عام ٩٢٠هـ[٢].

الأسبلة:

من وجوه البر التي كانت بمكة المكرمة خلال العصر المملوكي ما يعرف بالأسبلة التي حرص موقفوها أن تكون صدقة جارية في حياتهم وبعد مماتهم مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ حيث قال: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له))[٣] وبهذا تكون الأسبلة من الصدقة الجارية.

وكان لهذه الأسبلة أهمية كبيرة بمكة المكرمة وذلك لندرة الماء بمكة المكرمة مع كثرة الناس بها وخصوصاً في موسم الحج فقد كانت هذه الأسبلة تؤدي دوراً كبيراً في تزويد الناس بمياه الشرب وقد عملت أحواضاً أيضاً بجانب الأسبلة لسقي الحيوانات التي كانت وسيلة المواصلات في ذلك الوقت.

وقد شملت الأسبلة أيضاً بعض الأراضي الزراعية وذلك لتواجد الماء بها مثل سبيل الشريف بركات وهي أرض زراعية تعرف بالنعيرية[٤].

---

(١)يقع هذا الباب بالجهة الغربية للحرم الشريف وهو عبارة عن طاق واحد كبير وينسب إلى خياط يدعى إبراهيم كان عند هذا الباب.

الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٥١.

(٢)الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٣٢٨. والنهروالي، الإعلام، صـ٢٥٩. والطبري، الأرج المسكي، صـ٩٥. والعصامي، سمط النجوم العوالي، جـ٤، صـ٥٢.

(٣)رواه أبو هريرة، صحيح مسلم، كتاب الوصية، رقم ٣٠٨٤.

(٤)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٤٥٣.

ويتكون السبيل عادة من بناء بثلاث طوابق بحيث يكون الدور الأرضي الأول عبارة عن خزان يملأ بالماء للسبيل والثاني على وجه الأرض وهو عبارة عن غرفة السبيل وبداخلها أحواض للماء تملأ من الخزان، ويكون الدور الثالث إما سكن للقائمين على عمل السبيل أو حجرة لتعليم الأيتام[1] أو وقفاً للسبيل وقد انتشرت الأسبلة بمكة المكرمة منها من شيده السلاطين ومنها من شيده العلماء والصالحون والتجار وقد ساهم بعض النساء بعمل بعض الأسبلة والقصد من هذا جميعه الأجر والمثوبة، وقد كانت هذه الأسبلة تقام في مناطق تجمع الناس بالحرم الشريف مثل سبيل المؤيد شيخ بقرب زمزم[2]، وبجوار الحرم الشريف، أوفى الطريق إلى المشاعر المقدسة أو في المقابر مثل المعلاة بحكم[3] حاجة من يقوم بدفن الموتى للماء سواءً للشرب أو الاغتسال. وقد قام أغلب من شيد الأسبلة بمكة بإيقاف أوقافاً تدر على السبيل ما يحتاجه من مال لإصلاح ما يحتاج إليه السبيل، وأجرة من يقومون بالعمل به. ومن هذه الأسبلة في العصر المملوكي مايلي:

سبيل الملك الناصر حسن:

شيد في سنة ٧٦٠هـ الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بالجهة الجنوبية الشرقية من الحرم الشريف سبيلاً وهو عبارة عن جدار يحيط بمترل فيه شبابيك[4] وذلك لخدمة المسلمين بجوار الحرم الشريف بتوفير الماء العذب لهم.

---

(١)محمد محمد أمين، ليلى علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، صـ٦٢.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٢١.

(٣)المعلاة هي المنطقة التي بعد ربع الحجون باتجاه الشرق إلى المنحنى عند بئر الشيبي يطلق عليها المعلاة.
عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـ٤١.

(٤)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٣١.

سبيل الست:

من الأسبلة التي عُملت على طريق الحجاج إلى المشاعر المقدسة سبيل عُرف بسبيل الست وقد شيدته السيدة زهراء بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون على طريق منى وكان ذلك عام ٧٦١هـ ثم عرف بسبيل ابن مزنة[١].

سبيل طيبغا الطويل:

قرر الأمير طيبغا الطويل سبيلاً بالحرم الشريف ولم يعرف موقعه بالنسبة للحرم الشريف والأرجح أن يكون بقرب زمزم، وقد أوقف الأمير طيبغا أوقافاً لهذا السبيل ولأعمال بر أخرى عملها بمكة. وقد كان عمله هذا عام ٧٦٣هـ[٢] عندما قدم إلى مكة.

سبيل الشريف عجلان:

بنى الشريف عجلان بن رميثة سبيلاً بالمروة في جزء من دار العلقمية[٣] وذلك للحجاج والمعتمرين حيث يتزودون بالماء العذب بعد أداء السعي ويكون إنشاء هذا السبيل في المدة ما بين ٧٤٤هـ ـ ٧٧٧هـ وهي المدة التي كان الشريف عجلان فيها له شأن بمكة إما حاكماً منفرداً أو شريكاً لأخيه ثقبة. واستمر[٤] هذا السبيل حتى جدده

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٨٦.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ٣٠٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٩٦.

(٣)العلقمية: دار كانت لبني عجلان الأشراف قرب المروة كانوا بنوها سجنًا . البلادي، معجم معالم الحجاز، جـ١٠، صـ١٠٠.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ١٩٨. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ١٦٧. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٣٧٧.

الأمير تنم[1] عام ٨٤٧هـ أوقف عليه بيتاً يُكون بجانبه[2] ويعود كراؤه على مصالح السبيل. وهذا يدل على أهمية السبيل للوافدين لمكة من حجاج ومعتمرين.

سبيل أم الحسين الطبرية:

يقع هذا السبيل بالمسعى عند موضع الجزارين[3] والخرازين، وقد شيدته أم الحسين بنت القاضي شهاب الدين الطبري[4]، وقد كان إنشاؤها هذا السبيل متزامناً مع رباطها بمكة عام ٧٨٤هـ وقد استمر هذا السبيل مائة عام حيث تعرض للإزالة عام ٨٨٤هـ بأمر السلطان قايتباي وذلك بإشارة من وكيله الخواجا ابن الزمن[5].الذي كان قائماً بأعمال السلطان العمرانية في مكة المكرمة .

سبيل أم سليمان:

من أعمال البر التي قامت بها السيدة أم سليمان المتصوفة بعد رباطها أن شيدت سبيلاً بالمعلاة وبجواره عملت حوضاً والظاهر أن لحوض أُعد للبهائم، وقد توفيت هذه السيدة سنة ٨٠٢هـ[6] فيكون إنشاء السبيل قبيل وفاتها.

---

(١)تنم الأبو بكري المؤيدي ويقال له الفقيه ويلقب بصلاح الدين، كان أحد رؤوس النوب مات شهيداً بالإسهال وهو راجع من الحج سنة ٨٨٢هـ وكان خيراً صالحاً.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٤٥.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٢١.

(٣)الجزارين من الجزارة وهي التحرد التقطيع للماشية وبيعها.

ابن منظور، لسان العرب، جـ٢، صـ٢٧٢.

الخرازين من الخرازة وهي حرفة خرز الخرز والخرز خياطة الأدم وكل كُتبة من الأدم خرزة.

المصدر السابق، جـ٤، صـ٥٨.

(٤)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٨. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٤٠.

(٥)لمصدر السابق ، جـ٤، صـ٦٤٧. الجزيري، درر الفرائد المنظمة، جـ٣، صت١٧٢٢.

(٦)الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ٤٥٦.

سبيل بعلجد:

شيد محمد بن فرج المكي ((ابن بعلجد)) سبيلاً عند عين بازان[١] بالمسعى وجعل على هذا السبيل وقفاً[٢] لكي يصرف على مصالح السبيل، والأرجح أن يكون هو الناظر على وقف السبيل مثل إشتراطه النظر على وقف رباطه مدة حياته ولأبنائه الذكور من بعده. وقد يكون تاريخ إنشاء هذا السبيل عـــلى الأرجح متزامناً مع إنشاء رباطه عام ٧٨٧هـ[٣].

سبيل المطيبيز:

من أعمال البر التي عملها الشيخ عطية بن خليفة المكي المعروف المطيبيز بمكة المكرمة تشييده هذه سُبل منها: في عام ٨١٦هـ شيد سبيلاً بالمعلاة[٤] بالقرب من بئر تسمى بئر الطواشي[٥]، وذلك لحاجة المسلمين للماء بالمعلاة وفي عام ٨١٧هـ شيد سبيلاً آخر بقرب المروة وجعل علوه مباني جعلها وقفاً تدر على السبيل[٦]. كما شيد سبيلاً آخر بمنى[٧].

---

(١)كانت تسمى هذه العين عين عرفة وعين حنين وعندما قدم بازان رسول جوبان حاكم بلاد أبي سعيد وأجرى العين إلى المكرمة سنة ٧٢٦هـ سميت العين باسم عين بازان.

المقريزي، السلوك، جـ٣، صـ٩٠. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، جـ٢، صـ٣٩٩. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٣٤٣.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٣٦.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٠. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٤٩.

(٤)المصدر السابق، جـ١، صـ٦١٨. المصدر السابق، جـ٣، صـ٥١١.

(٥)تقع عند طرف المقبرة من أعلاها. ((مقبرة المعلاة)).

الفاسي ، شفاء الغرام ، جـ١، صـ٦٢٦.

(٦)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٢٢٠.

(٧)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٩.

سبيل المؤيد بالحرم الشريف:

في عام ٨٠٧هـ عُمرت بركة مقبوة بجوار زمزم، وجُعل بها صنابير في الجدار المواجه للصفا لكي يتوضأ الناس منها، وقد استخدمت استخداماً سيئاً حيث أن بعض الجهلة مما لا يعرف قدسيه المسجد الحرام كان يستنجي في هذا الموضع(١)، وعندما عُلم بهذا الأمر قام الأمير تغري(٢) برمش بهدم هذه البركة وأنشأ مكانها سبيلاً للسلطان المؤيد شيخ وذلك عام ٨١٨هـ(٣).

أسبلة القاضي عبد الباسط:

كان القاضي عبد الباسط بن خليل ممن لهم مآثر بمكة متعددة، وقد بنى ثلاثة أسبلة بمكة منها سبيلين بالمعلاة وآخر بجوار مدرسته بمكة الأول كان بناؤه عام ٨١٩هـ على يد الأمير الحجازي الذي شيده عند ما شيد سبيله بالمعلاة(٤)، والثاني شُيد عام ٨٢٦هـ بالمعلاة(٥) أيضاً، والثالث شُيد بجوار مدرسته بقرب باب العجلة عام ٨٣٥هـ، وقام أيضاً بأعمال بر في طريق العمرة(٦) حيث حفر بئراً وشيد سبيلاً آخر(٧).

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ٢٥٨، وجـ٣، صـ٢٥٤. وابن فهد، اتحاف الورى،جـ٣، صت٥٢١.

(٢)تغري برمش بن يوسف التركياني الحنفي، يلقب زين الدين قدم القاهرة وهو شاب عنى بالعلم ، جاور بالحرمين، جرت على يده صدقات بالحرمين، توفي سنة ٨٢٣هـ بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٥١.

(٣)المصدر السابق، جـ١، صـ٢٥٨.وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٢١.

(٤) المصدر السابق ، جـ٣، صـ٥٣٧.

(٥)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٨.

(٦)العمرة يقصد به التنعيم وهو وادٍ ينحدر شمالاً بين جبال بشم شرقاً وجبل الشهيد جنوباً وهي ميقات لمن أراد العمرة من المكيين.

عاتق بن غيث البلادي ، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـ٥٠.

(٧)الطبري، تاريخ مكة، جـ١، صـ٢٠٦. النهراولي، الإعلام، صـ٢٣٢.

ناجي معروف، المدارس الشرابية، صـ٣٦٠..

سبيل جبروه:

أنشأ سعيد جبروه[(١)] سبيلاً بالأبطح[(٢)] بالقرب من بئر آدم وشيد بجانبه حديقة منتزهاً له وكان ذلك قبل عام ٨٣٩هـ حيث توفي الرجل[(٣)].

وفي عام ٨٤١هـ اشترى الحديقة الخواجا شهاب الدين أحمد بن علي الكواز البصري وأقام بها سبيلاً وذلك عن أخيه حسين بن علي الكواز[(٤)].

سبيل العمري:

شيد هذا السبيل السيد أحمد بن علي العمري[(٥)] بدار له بطريق المعلاة، وجعل الدار وقفاً لهذا السبيل تدر على مصالحه وكان ذلك قبل سنة ٨٤٠هـ وهي السنة التي قتل فيها السيد أحمد وذلك لعدم ورود تاريخ إنشاء هذا السبيل[(٦)].

---

(١)سعيد جبروه، سعد الدين مولى السيد عجلان بن رميثة، ولي نيابة مكة عن ابن سيده حسن بن عجلان سنين كثيرة وولي قبض المواريث، كان مرسول الشريف للملوك والسلاطين توفي سنة ٨٣٩هـ.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٧٥٣. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٥٦.

(٢)الأبطح هو المنطقة الواقعة بعد ريع الحجون شرقاً إلى المنحنى عند بئر الشيبي.

عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـ٤١.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٧٥٣.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ١١٩.

(٥)أحمد بن علي بن سنان بن راجح العمري، شهاب الدين، كان من أعيان القواد العمرة، كان ذا مروءة وثروة من نقد وعقار ومسالفة، أنشأ سبيلاً بداره بالمعلاة، قتل في صفر سنة ٨٤٦هـ في وقعة الحدبة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٤٧٩. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٢٠.

(٦)المصدر السابق، جـ١، صـ٤٧٩. المصدر السابق، جـ٢، صـ٢٠.

سبيل أحمد المغربي[1]:

من الرجال الذين كان لهم مآثر بمكة رجل يدعى أحمد المغربي فقد قام هذا الرجل بتجديد سبيل عند مسجد الراية [2]يدعى سبيل قاسم[3] بعد أن تعطل وخرب و سبيلاً آخر يدعى سبيل سمرة وذلك بعد ٨٤٠هـ كما شُيد لهذا الرجل سبيل أمام بيته الواقع بخط الردم[4] على بدايته بوصيه منه وذلك بعد موته الذي كان سنة ٨٦٥هـ[5].

سبيل الخواجا عز الدين:

ينسب هذا السبيل لمشيده عبد العزيز بن يوسف[6] السلطاني فقد شيد هذا السبيل بدار اشتراها في سويقة[7] حارة الشيبين[8]. وجعل لهذا السبيل وقفين الأول الطابق الثاني

---

(١)أحمد بن أحمد بن محمد البوني المغربي الأصل المكي شهاب الدين، كان مقلاً في بداية أمره ثم دخل الدولة وتخدم لهم فتأثل وحصل دوراً وكثرت أمواله، كانت له مزارع كثيرة في المعابدة، والعابدية، والمعلاة، وأوقف بعضها ومات سنة ٨٦٥هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٤٣٤.

(٢)مسجد الراية، مسجد بأعلى مكة عند السد ، عند بئر جبير بن مطعم، وهو لا يزال معروفاً بالمعلاة معموراً بالمصلين.

الأزرقي، تاريخ مكة، جـ٢، صـ٢٠٠. عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـ٢٧٢.

(٣)يدعى سبيل قاسم الزنكي.

الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٨.

(٤)الردم، يسمى ردم بني جمح، ويسمى ردم بني قراد، قالوا في سبب تسميته إن بني جمح وبني محارب وكلاهما من قريش قد اقتتلوا بمكة فردمت بنو جمح على قتلاهم فسمي بذلك. وموضعه أول شارع الجودرية مما يلي المعلاة.

عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـ١١٥.

(٥)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٤٣٤.

(٦)هو عبد العزيز بن يوسف بن عبد العزيز السلطاني نزيل مكة الخواجا عز الدين سكن مكة كان مباركاً مات سنة ٨٤٤هـ بمكة ودفن بالمعلاة. ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٨٥٦.

(٧)سويقة تصغير سوق وهو سوق يقع بالقرب من طرف المروة، موازي للجانب الشرقي من المسجد الحرام.

الفاكهي، أخبار مكة، جـ٢، صـ١٩٧، صـ٢٠٥. ومحمد طاهر الكردي، التاريخ القويم، جـ٢، صـ١٢.

(٨)الشيبين، نسبة لبني شيبة سدنة الكعبة المشرفة.

من الدار، والثاني داراً تجاور السبيل وكان هذا قبل عام ٨٤٤هـ حيث توفي عبد العزيز السلطاني(١).

سبيل ابن فهد:

بنى السيد محمد بن محمد بن فهد المكي سبيلاً بالسويقة، وأوقف لهذا السبيل داراً ودكاناً بحيث يستفيد السبيل من ريعها في ما يحتاجه السبيل من إصلاح ونفقات وكان ذلك عام ٨٤٧هـ(٢) ونلاحظ هنا التركيز على إنشاء الأسبلة في مناطق تجمع الناس مثل الأسواق.

سبيل بيرم خجا:

شيد ناظر(٣) الحرم الشريف السيد بيرم خجا سبيلاً بالمعلاة وجعل بعلوه قاعة كبيرة وحوضاً لسقي البهائم، وبجوار سبيله هذا أنشأ بستاناً وكان هذا العمل عام ٨٥٤هـ(٤).

سبيل رامشت:

أُقيم هذا السبيل في رباط رامشت بعد أن أُعيد بناؤه بعد الحريق الذي أصابه عام ٨٠٢هـ على يد الأمير بردبك التاجي وذلك عام ٨٥٥هـ وقد شيد السبيل بآخر الرباط وجعل له باباً من داخل الرباط وبهذا يكون أكثر المستفيدين منه من سكان الرباط المذكور، لوجود سبيل الأشرفي بقربه بزيادة باب إبراهيم(٥) بحيث يتجه إليه أغلب الناس من خارج الرباط.

---

(١)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٨٥٦. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٢٣٧.

(٢)المصدر السابق، جـ١، صـ٣٨٥. المصدر السابق، جـ٩، صـ٢٨١.

(٣)ناظر الحرم هو المتولى أمر النظر في مصالح المسجد الحرام. د. عبد الكريم الباز، مجلة جامعة أم القرى، عدد ٥، السنة الثالثة، عام ١٤١١هـ. ناظر الحرم في العصر المملوكي، صـ١٤٦.

(٤)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٦٥٨. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٢. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٩٨.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٩٨، ٢٩٩.

سبيل الشريف بركات:

من أعمال البر التي قام بها الشريف بركات حاكم مكة تسبيلة ما يعرف بالنعيرية، وهي مدرة[١] تقع خارج أسفل[٢] مكة وهذا يدل على أن هذه الأرض الزراعية تحتوي على ماء ولهذا جعلها الشريف بركات سبيلاً. وعندما توفي الشريف بركات بُني بجانب قبره بالمعلاة سبيلاً وذلك عام ٨٥٩هـ[٣].

سبيل شميلة:

شيد أحمد[٤] بن محمد الحفيصي سبيلاً خارج باب الشبيكة[٥] وقد تعطل هذا السبيل بعد موت موقفه لعدم من يوفر له الماء وذلك يعود لعدم وجود وقف يدر على السبيل ويُنفق منه على توفير الماء للسبيل وكذلك لعدم إنشاء السبيل على بئر ماء، وكان تشييد هذا السبيل قبيل عام ٨٦١هـ[٦] حيث توفي موقف السبيل في هذا التاريخ.

---

(١)المدرة: هي القرية المبنية من الطين واللبن، والمدر قطع الطين اليابس ومدرتك، بلدتك أو قريتك: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، صـ٤٢٧.

(٢)أسفل مكة يدعى المسفلة وهي من الشق الأيمن: من الصفا إلى أجياد فما أسفل منه فذلك كله من المسفلة، وحد المسفلة من الشق الأيسر: من زقاق البقر منحدراً إلى دار عمرو بن العاص ودار زبيدة فذلك كله من المسفلة. الفاكهي، أخبار مكة، جـ٤، صـ١٣٠.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٦٤٧. وابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٤٥٤.

(٤)هو أحمد بن محمد بن سالم بن محمد بن قاسم الحفيصي ويدعى شميلة باشر بجدة لصاحب مكة فنال أموالاً ودوراً وأصائل، وكان فيه خير وله بعض مآثر مات سنة ٨٦١هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٧٧١.

والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٥٦.

(٥)الشبيكة حي من أحياء مكة يمتد من المسجد الحرام غرباً إلى ريع الحفائر، وشمالاً إلى حارة الباب.

البلادي، معجم معالم الحجاز، جـ٥، صـ١٨.

وذكر ياقوت الحموي، في كتابه معجم البلدان، جـ٥، صـ١٢٦،أن الشبيكة بين مكة والزاهر على طريق التنعيم.

(٦)ابن فهد ، الدر الكمين، جـ٢، صـ٧٧١. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٥٦.

سبيل محمد بن علي حاجي:

من الأسبلة التي أنشئت بالمعلاة سبيل شيده محمد[1] بن علي بن أذاذا حاجي وقد شيده بجانب مسجد له ومقبرة وذلك عام ٨٦٩هـ[2].

نلاحظ أن عدد المتبرعين بإنشاء الأسبلة بالمعلاة يشيدونها بقرب مقبرة أعدوها لهم بعد وفاتهم مثل السيدة أم سليمان، والشريف بركات وغيره وقد يكون هذا رغبة في استمرار دعاء الناس لهم بالأجر بالقرب من قبورهم.

سبيلا بن مزهر:

شيد كاتب السر[3] أبوبكر الأنصاري المعروف بابن مزهر سبيلين بمكة، ولكن لم يرد أين يقع هذان السبيلان، ولا متى أُنشئا ولكن الأقرب أنهما أنشئا بعد عام ٨٦٦هـ وهي السنة التي تولى فيها كتابة السر[4].

سبيل ابن الزمن:

في عام ٨٣٦هـ شيد ابن الزمن سبيلاً بالمسعى عند الميلين[5]، وقد لقي معارضة

---

(١)هو محمد بن علي بن أذاذا حاجي اللاهجي القبلاني الخواجا صاحب المسجد التربة والسبيل بالمعلاة، مات سنة ٨٧٣هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٢١١.

(٢)المصدر السابق، جـ١، صـ٢١١.

(٣)كاتب السر هو أحد الألقاب التي عرف بها صاحبَ ديوان الإنشاء، والعامة تطلق عليه كاتم السر لأنه يكتم سر الملك، وهذا يختص بقراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها.

القلقشندي، صبح الأعشى، جـ١١، صـ٩٢. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، صـ١٢٧.

(٤)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـ٨٨.

(٥)موضع الهرولة بالمسعى.

الكردي، التاريخ القويم، جـ٥، صـ١٣٩، ١٤٠.

شديدة من قاضي مكة في ذلك الوقت القاضي برهان[1] الدين بن ظهيرة لأن بناء السبيل يأخذ من المسعى جزءاً يسيراً وقد أنكر عليه القاضي ومنع العمارة واستنفر عليه القضاة والعلماء ووصل الأمر إلى السلطة الرئيسة بالقاهرة، وقد استطاع ابن الزمن أن يشيد سبيله بعد إقناع السلطة وتكون موافقة السلطة لأن عمل السبيل فيه خير للمسلمين [2].

أسبلة الشريف محمد بن بركات:

شيد الشريف محمد بن بركات أمير مكة المكرمة عدداً من الأسبلة بمكة وخارجها وهي على النحو التالي: سبيل بالمعلاة ، سبيل وصهريج ببئر شميس ، سبيل عند النوارية سبيل بحدا[3].

وكان إنشاء هذه الأسبلة في مدة حكم الشريف محمد من سنة ٨٥٩هـ إلى سنة ٩٠٣هـ[4].

سبيل ابن مقلاع:

شيد السيد محمد[5] بن مسلم بن مقلاع المصري سبيلاً بالمعلاة وذلك قبل عام ٨٦٤هـ حيث توفي الرجل بمكة ولكي يستمر السبيل وقتاً طويلاً يؤدي دوره، اشترى دوراً بمكة جعلها وقفاً لهذا السبيل[6] بحيث يعود ريعها لمصالح السبيل.

---

(١)هو إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي، ولد سنة ٨٢٥هـ بمكة وتعلم العلوم ورحل في طلبها وأجازه كثير من العلماء درّس بالمسجد الحرام، وولي خطابة المسجد الحرام، وولي نظر المسجد الحرام، ثم ولي قضاء مكة سنة ٨٦٢هـ واستمر حتى مات سنة ٨٩١هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٦٠٦. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ٨٨.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٥٢٧.

(٣)حداء وادٍ فية حصن ونخل بين مكة وجدة يسمونه اليوم حدة.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٣، صـ١٢٣. وابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٥٩٩.

(٤)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٥٣٢.

(٥)هو محمد بن مسلم بن مقلاع المصري الشهير بابن مقلاع شمس الدين جاور بمكة وعمل بها سبيلاً مات ثاني عشر رمضان سنة ٨٦٤هـ بمكة.ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٣٦٤.

(٦)المصدر السابق، جـ٢، صـ١٣٦٤.

أسبلة السلطان قايتباي:

من أشهر السلاطين الذي قدموا خدمات وأعمال برٍ عظيمة في مكة المكرمة السلطان قايتباي فقد شيد هذا السلطان ثلاثة أسبلة في مكة المكرمة وهي:

١ـــ الأول بناه برباطه الذي شيده له ابن الزمن بالقرب من الحرم الشريف.

٢ـــ الثاني بربعه الذي بناه بالقرب من سوق الحناطين(١).

٣ـــ الثالث ويقع بجوار عقد المروة.

وقد عين بسبيله الذي بالرباط مسبلاً عند ما قدم للحج سنة ٨٨٤هـــ(٢).

سبيل المكين:

من الذين كان لهم مآثر حسنة في بناء الأسبلة وتعمير ما ينهدم منها وحفر الآبار على الطرق التي يمر بها الحاج. الشهاب بركوت(٣) بن عبد الله المكين فقد بنى هذا الرجل سبيلاً بالتنعيم(٤) وذلك عام ٨٠٨هـــ وشيد بجانبه حوضاً لسقي البهائم التي كانت في ذلك الوقت الوسيلة الوحيدة للمواصلات، وهذا العمل خدمة للمعتمرين، وأنشأ لهم

---

(١)سوق الحناطين يقع بالقرب من سوق الحزورة والتسمية مأخوذة من بيع الحنطة ويقع في شق مكة الشامي.

الأزرقي، أخبار مكة، جـــ٢، صـــ٢٩٤. الكردي، التاريخ القويم، جـــ٢، صـــ١٣.

(٢)الطبري، الأرج المسكي، صـــ٨٢. الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، جـــ٣، صـــ١٧٢١.

(٣)بركوت بن عبد الله الحبشي الشهير بالمكين، كان حبشياً صافي اللون، حسن الخلق محباً للعلم وأهله، لقي حظاً عظيماً من الدنيا، كان بعدن ثم تحول إلى مكة فسكنها وبنى بها داراً عظيمة سنة ٨١٢هـــ له بمكة ومنى وعرفات والتنعيم آثار حسنة مات سنة ٨٣٠هـــ بعدن.

ابن فهد، الدر الكمين، جـــ١، صـــ٦٥٥. السخاوي، الضوء اللامع، جـــ٣، صـــ١٥.

(٤)التنعيم وادٍ ينحدر شمالاً بين جبال بشم شرقاً وجبل الشهيد جنوباً فيصب في وادي ياج، وهو ميقات لمن أراد العمرة من المكيين.

عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـــ٥٠.

صهاريجاً[١] للماء ووضع لهم الأباريق للوضوء. وقام أيضاً بعمارة بركة الصارم[٢] وملأها من عين بازان وذلك عام ٨١٣هـ[٣].

سبيل الباش بكباي:

في عام ٩١٠هـ عثر بعض الناس على بئر قديمة بالمنحنى[٤] وتقع بالجهة اليمنى للطريق في الخروج من مكة، فعلم الأمير الباشى بكباي، فأنشأ سبيلين بجوار البئر، ربما واحد للرجال والآخر للنساء وكافأ الرجل مكتشف البئر بأن جعله خادماً بالسبيلين، وبحكم أنهما على طريق الحاج إلى منى بنى بجوارهما حوضاً لسقي البهائم وبستاناً[٥].

---

(١)الصهريج عبارة عن خزان للماء يُبنى بالآجر في تخوم الأرض تحفظ الماء ويغطى عادة بقباب ضاحلة غير عميقة ، وتغطى فؤهة الصهريج بخرزة من الرخام أو الحجر. محمد أمين وآخرون، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، صـ٧٣.

(٢)تقع ملاصقة لسور المعلاة ببستان يدعى بستان الصارم. وهي بركتان.

الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٢١. والطبري، الأرج المسكي، صـ٩٣.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦١٩، ٦٢٠.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٦٥٥. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٤٩.

(٤)المنحنى هي دكة ناشئة في سفح الجبل في منتهى المعابدة وأول طريق منى.

الأزرقي، تاريخ مكة، جـ٢، صـ٢٧٨.

(٥)ابن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٨٥.

المبحث الثالث

العمارة في منى وعرفة

شمل الاهتمام في العصر المملوكي المشاعر المقدسة في منى وعرفة مثل ما شمل الاهتمام مكة المكرمة فقد كان الاهتمام بالمشاعر في منى وعرفة منصباً على العمل على خدمة حجاج بيت الله الحرام وتوفير ما يحتاجونه لتيسير سبل أداء النسك فقد اهتموا بالمساجد في المشاعر المقدسة مثل مسجد الخيف والمشعر الحرام ومسجد نمرة حيث خضعت هذه المساجد لأعمال معمارية واسعة في العصر المملوكي كما بني في هذه المشاعر الأسبلة لسقي الحجيج وقد ساهم التجار بنصيب الأسد في بناء هذه الأسبلة رغبة في الأجر من الله وبجانب الأسبلة بلغ الاهتمام ببرك الماء التي تُملأ لري الحجاج ولسقي البهائم التي كانت في ذلك الوقت وسيلة المواصلات الوحيدة، كما شمل الاهتمام عمارة الأعلام التي هي حداً للحرم وذلك لتوضيح حدود الحرم لحجاج بيت الله بالإضافة إلى تعبيد الطرق بين مكة والمشاعر، وكان مما أنجز من الأعمال ما يلي:

عمارة مسجد الخيف[1]:

كانت أول عمارة لمسجد الخيف في العصر المملوكي قام بها الملك المظفر حاكم اليمن وذلك عام ٦٧٤هـ فقد قام هذا الملك بترميم المسجد بالكامل وعمارة منارته[2]. وبعد ٤٦ سنة من تاريخ هذه العمارة رُمم المسجد بتمويل من قبل الشهاب أحمد[3] بن عمر الهمداني بلغ حوالي ٥٠ ألف درهم وذلك سنة ٧٢٠هـ[4] واستمر المسجد يؤدي

---

(١)يقع مسجد الخيف في سفح جبل منى الجنوبي وكان هذا الجبل يسمى الصابح ثم غلب عليه اسم جبل منى. عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، صـ٩٩.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٠٤.

(٣)هو أحمد بن عمر بن أبي بكر الهمداني، الأصل: يلقب بالشهاب وبابن المرجاني الدمشقي جاور بمكة وبالمدينة توفي سنة ٧٢٨هـ بدمشق.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٧٢.

(٤)المصدر السابق، جـ٣، صـ٧٢.

دوره وبعد مضي قرن من الزمن على عمارة الشهاب أحمد الهمداني خضع المسجد للترميم من قبل الشيخ علي بن محمد البعداني الذي كان يقوم بأعمال بر بمكة والمشاعر لصالح الجهة فرحات[1] زوج الملك الأشرف حاكم اليمن وهذه العمارة كانت بتمويل من قبلها وذلك عام ٨٢٠هـ[2]، وفي عام ٨٥١هـ خضع المسجد للعمارة على يد برم خواجة ناظر[3] الحرمين.

عمارة السلطان قايتباي:

ومن الذين عمروا مسجد الخيف عمارة كاملة السلطان قايتباي عام ٨٧٤هـ وقد قيل أن المبلغ الذي صرف في عمارة مسجد الخيف كان من تركة مصطفى الرومي[4] حيث لم يكن له ورثة وأي كان مصدر المبلغ المدفوع في هذه العمارة فقد كان السلطان قايتباي من أهل البر والصدقات دلت عليه أعماله الكبيرة في مكة المكرمة من مدارس وأربطة وأسبلة، وفي هذه العمارة لمسجد الخيف أوكل السلطان الأشراف عليها للأمير سنقر الجمالي فأعاد عمارة المسجد من جديد حيث استخدم في عمارة جدرانه الحجر والنورة والجص، وبنى للمسجد محراباً تعلوه قبة جميلة كما بنيت بالمسجد قبة أخرى بوسطه بلغ قطر دائرها ٣٠متراً وارتفاعها ١٠ أمتار، وبنيت للمسجد منارة بثلاثة أدوار على البوابة التي كانت على شكل عقد ومهدت أرض المسجد والساحات المحيطة به، وقيل

---

(١)أنظر صـ٨٠ من البحث.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٠٤.

(٣)السنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٥١.

(٤)هو مصطفى ابن صاحب طرابلس الرومي يعرف بالذبيح، نزيل مكة الخواجا كان صاحب دنيا طائلة، ويتصدق، ولم يخلف وارثاً وترك مالاً كثيراً جدًا مات سنة ٨٧٥هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١١٩٧. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠، صـ١٦٠.

أن ما دُفع في هذه العمارة بالإضافة للسبيل المجاور لها ٨٢٢٩,٧ دينار أشرفي [١]واستمر العمل عامًا إلا أياماً معدودة[٢].

ولم يهتم أحد من سلاطين المماليك بمسجد الخيف مثل اهتمام السلطان الأشرف شعبان فقد خصص هذا السلطان من الأوقاف التي أعدها لأعمال البر المتنوعة بمكة (١٠٠٠) درهم لمسجد الخيف تقسم على نصفين النصف الأول (٥٠٠)درهم تصرف في احتياج المسجد لأعمال الترميم و(٥٠٠) درهم مرتب سنوي لبواب المسجد الذي شرط عليه الإقامة بالمسجد وتنظيفه وصيانته، والحفاظ عليه من دخول غير المصلين[٣] ومع أن السلطان خصص هذا المبلغ للمسجد ولكن لم تذكر المصادر أن عملاً من أعمال الترميم قد صرفت من هذا الوقف.

---

(١)الدينار الأشرفي أمر بضربه السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٢٩هـ في شهر صفر وأبطل التعامل بالدينار السابق الأفرنتي، وقد بلغ سعره عند ظهوره أربعة آلاف درهم مسعودي قديم ثم استقر سنة ٨٨٩هـ ٣٠٠درهم مسعودي.

المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٧، صـ١٣٠.

أ.د. ضيف الله الزهراني، د.عادل غياشي، تاريخ مكة التجاري، صـ١٠٣.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٥٠٩، النهروالي، الإعلام، صـ٢٤٠. الصيرفي، إنباء الهصر، صـ٢٤٦. السنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٧٠. ك.سنوك، صفحات من تاريخ مكة، جـ١، صـ٢٠٢.

(٣)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، صـ٢٤٤.

الأسلبة في منى:

اشتهرت منى بعمارة الأسبلة التي شيدها عدد من الموسرين، وخصوصاً من التجار الـــذين كـــان لهم أكبر نصيب في إقامتها وكان الهدف منها توفير الماء لحجاج بيت الله الكـــريم، وقـــد تميـــزت هذه الأسبلة عن غيرها بأن معظمها شيد في مترل موقفها وهذه الأسبلة على النحو التالي:

سبيل عطية المطيبيز:

يعتبر عطية المطيبيز من الذين اهتموا بموضوع توفير الماء وتسبيله للحجاج في مكة والمشاعر الأخرى فبالإضافة إلى سبيله الذي شيده بمكة شيد سبيلاً آخراً بمنى وبنى صهريجاً كبيراً ويعتبر هذا السبيل أقدم سبيل ذكرته المصادر بمشعر منى حيث شيد قبل سنة ٦٤٧ هـــ وهي السنة التي توفى فيها مشيد السبيل[(١)].

سبيل الشيخ مقبل السلطاني:

ومن الذين أوقفوا بمنى سبيلاً الشيخ مقبل السلطاني[(٢)] التاجر حيث أوقف سبيلاً بمنى، وجعل له داراً وقفاً لمصالحه وهذه الدار تعلو السبيل أي الدور الثاني وداراً أخرى بجانب السبيل وذلك سنة ٨١٣هـــ[(٣)].

سبيل فرج الشرابي المكي:

من التجار الذين أنشأوا الأسبلة بمنى التاجر فرج المكي[(٤)]، فقد شيد سبيلاً سنة ٨٤٧هـــ ولم يرد لهذا السبيل أوقافًا تدر عليه[(٥)].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـــ٥، صـــ٢٢٠.

(٢)مقبل السلطاني بن عبد الله بن عبد الرحمن عُرف بسلطان غلة الرومي البغدادي المكي كان تاجراً ثرياً ملك بمكة ومنى دوراً مات سنة ٨٢٧هـــ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـــ٢، صـــ١٢٠٨. والسخاوي، الضوء اللامع، جـــ١٠، صـــ١٦٧.

(٣)المصدران السابقان، جـــ٢، صـــ١٢٠٨، جـــ١٠، صـــ١٦٧.

(٤)هو فرج بن عبد الله الشرابي الحبشي المكي التاجر تملك بمكة دوراً وغيرها سمع على الزين المراغي صحيح البخاري، مات سنة ٨٥٣هـــ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـــ٢، صـــ١١٧٠. والسخاوي، الضوء اللامع، جـــ٦، صـــ١٦٩.

(٥)المصدران السابقان،جـــ٢، صـــ١١٧٠، جـــ٦، صـــ١٦٩. وابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٤، صـــ٢٢١.

سبيل الجدي:

أنشأ هذا السبيل بمنى التاجر عبد الكريم[1] بن محمد الجدي سنة ٨٤٧هـ.

سبيل بن كرسون والقليوبي:

اشترك عبد الغني[2] بن محمد القليوبي، ومحمد بن كرسون[3] في إنشاء سبيلاً بمنى بمنزلهما وذلك عام ٨٤٧هـ وهذا أول سبيل يكون شراكة بين اثنين وذلك لأنهما شريكان في التجارة والمنزل.

سبيل الشيخ أحمد المصري:

بنى السيد أحمد [4] بن علي المصري سبيلاً ببيته بمنى ويقع هذا البيت الذي شيد به السبيل بمنطقة سوق الإبل،وقد كان هذا السبيل فقط أيام موسم الحج، وبهذا يكون الهدف منه سقاية الحجاج بمنى في أيام الحج المباركة وكان تشييد هذا السبيل عام ٨٤٩هـ[5].

سبيل الطاهر:

أنشأ هذا السبيل التاجر حسن بن محمد[6]بن قاسم اليماني الملقب بالطاهر وقد شيد هذا السبيل بمنزله بمنى عام ٨٥٠هـ[7].

---

(١)هو عبد الكريم بن محمد بن عوض بن زبان الجدي كريم الدين زين الدين كان تاجراً ذا عقار مات سنة ٨٥٨ هـ بمكة. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٣١٩.

(٢)هو عبد الغني بن محمد بن محمد القليوبي المصري نزيل مكة المعروف بابن الطويل ولد بالقاهرة سنة ٨٠٣هـ حج سنة٨٢٠هـ وسافر إلى بلاد هرمز ثم عاد إلى مكة سنة٨٢٥هـ وتنقل بين مكة والقاهرة، بنى بمكة دوراً،كان خيراً ديناً،ساكناً حافظاً لكتاب الله توفي سنة ٨٦٩هـ بمكة. السخاوي،الضوء اللامع،جـ٤،صـ٢٥٧.

(٣)المصدر السابق، جـ٤، صـ٢٥٧.

(٤)هو أحمد بن علي بن محمد المصري نزيل مكة الشهير بالعاقل، الخواجا شهاب الدين سكن مكة واشترى بها دوراً، واتجر ورزق عدة أولاد، مات سنة ٨٦٤هـ بجدة. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٤٣.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٤٤.

(٦)هو حسن بن محمد بن قاسم التاجر الكبير بدر الدين الصفدي اليمني نزيل مكة يعرف بالطاهر، انقطع بمكة وعمر بها دوراً له أعمال بر كثيرة من أربطة وأسبله مات سنة ٨٧١هـ بمكة. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ١٢٧.

(٧)ابن فهد ، الدر الكمين ، جـ١، صـ٦٩٤ .

سبيل الشحري:

وفي عام ٨٥٠هـ أوقف التاجر أبو بكر الشحري سبيلاً بمنزله بمنى[١] .

سبيل السلطان قايتباي:

من أشهر الأسبلة بمنى سبيل السلطان قايتباي الذي شيده بالقرب من مسجد الخيف عندما أعاد عمارته، وقد زينه بالرخام المنحوت[٢] وكان تحت السبيل صهريجاً للماء، وجعل للسبيل أربعة شبابيك من جهاته الأربع وبنى للسبيل مخزناً للآلات المستخدمة في السبيل وجعل له بابين أحدهما يدخل له من المسجد والآخر على الطريق[٣]، وبهذا يكون سبيل السلطان هو أكبر الأسبلة بمنى وأكثرها استخداماً حيث يقع بجوار المسجد وعلى الطريق العام.

العمارة في المشعر الحرام:

المقصود بالعمارة في مسجد مزدلفة والذي يطلق عليه المشعر الحرام[٤] وقد ورد ذكر المشعر الحرام في القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا

---

(١)هو أبو بكر شهاب الدين الشحري، كان تاجراً يسافر إلى الهند وأتمنه التجار وصاروا يرسلون معه أموالهم العشر وهو مؤتمن مات سنة ٨٧٠هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٣٠٣. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـ١٠.

(٢)النحت هو قطع الأشكال والزخارف دون وصلها عن السطح المعمولة فيه ومنه النحت البارز والغائر والبسيط، ويقصد بالنحت تزويق الأشياء بالألوان المختلفة وحفر الفضة والفصوص الحجرية الثمينة وغيرها.

د. عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، صـ٣١٦.

(٣)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٢٠٦. والعصامي، سمط النجوم العوالي، جـ٢، صـ٤٣.

(٤)المشعر الحرام: هو جبل في آخر المزدلفة من جهة منى يقال له قزح، فقد ورد في صحيح مسلم: ((أن النبي ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً)).

وعند ابن عباس وسعيد بن جبير أن المشعر الحرام هو ما بين جبلي مزدلفة.

الطبري، القرى لقاصد أم القرى، صـ٤١٩. والكردي، التاريخ القويم، جـ٥، صـ٣١٥.

اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ [1] وهذا المسجد يصلي فيه الحجاج ليلة المبيت بمزدلفة وقد اهتم المسلمون في العصر المملوكي بعمارة هذا المسجد ومن ذلك في عام ٧٥٩هـ قام الأمير صرغتمش بتجديد المشعر الحرام[2]، أي ترميم المسجد بالكامل، وفي عام ٨٤٩هـ أي بعد ما يقارب من مائة عما تعرض المسجد لعمارة جزء منه تمثل في الجانب الشامي ونصف الجانب الغربي الملاصق للشامي، وبيضت هذه العمارة، وقام بهذه العمارة الأمير كزل[3] المعلم وذلك عام ٨٤٩هـ[4].

عمارة مسجد نمرة[5]:

اهتم سلاطين المماليك بعمارة مسجد نمرة وكانت أول عمارة ذكرتها المصادر للمسجد في العصر المملوكي عام ٧٩٩هـ وهي إعادة قبة المسجد التي سقطت في العام السابق وكانت هذه العمارة بأمر الظاهر برقوق سلطان المماليك الذي أرسل المال اللازم للعمارة[6]. ثم خضع المسجد للتجديد عام ٨٥٣هـ على يد الأمير بيرم خجا ناظر الحرم الشريف[7]. واستمرت هذه العمارة حتى عام ٨٧٤هـ في عهد السلطان قايتباي الذي أضاف بعمارة مسجد نمرة عملاً جليلاً لأعماله الكثيرة في مكة والمشاعر المقدسة، فقد قام السلطان بعمارة مسجد نمرة عمارة جديدة فجعل له رواقين في جهة القبلة وشيد على

---

(١)سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٢٧٩. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٧٣.

(٣)هو كزل السُودوني سودون نائب دمشق ويعرف بالمعلم تنقل بجدة حتى عمله المؤيد من جملة معلمي الرمح، وعرف بحسن اللعب، جعله الأشرف من رؤوس النوب وجهه الظاهر إلى مكة أميراً على الراكز بها فدام بها إلى أواخر سنة ٨٥١هـ، وعاد إلى القاهرة، مات سنة ٨٦٥هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٢٢٨.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٤٤.

(٥)نمرة هو الجبل الذي عليه أنصاب الحرم على يمينك إذا خرجت من مازمي عرفة تريد الموقف.

الأزرقي، أخبار مكة، جـ٢، صـ١٨٨. الحموي، معجم البلدان، جـ٨، صـ٤٠٢هـ.

(٦)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٠٦.

(٧)المصدر السابق، جـ٤، صـ٢٨٦.

محرابه قبة عالية، وبنى بوسط المسجد صهريجاً تحت الأرض طوله ١٠ أمتار في ٥ أذرع عرضاً وارتفاعه ٣ أمتار ويتم تزويده بالماء من طريق قناة[١] متصلة بخارج المسجد بحيث يجري بها مياه السيول فتصب في الصهريج، ودهن المسجد باللون الأبيض، ومهد أرضيته ورمم مئذنته وأصلح ما بها من تلف[٢].

وفي عام ٩٢٠هـ تعرض بعض أجزاء المسجد للعمارة والترميم حيث شملت الركن الغربي للمسجد وبعض الكباش[٣] بأحد جدران المسجد، وعقب العمارة نظف المسجد من المخلفات وتقاسم تجار مكة وبعض المتبرعين تكلفة التنظيف التي بلغت ٣٢٣ديناراً[٤]والأرجح أنها من الدنانير الأشرفية حيث كانت العملة الأكثر انتشاراً في مكة حتى نهاية العصر المملوكي[٥].

---

(١)القناة مجرى للماء ضيق أو واسع جمعه قنوات.

إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، جـ٢، صـ٧٦٤.

(٢)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٢٠٦. والصيرفي، أبناء الهصر، صـ٢٤٦. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٧٠.

(٣)الكبش يدل على بزور من حجر أو خشب أو آجر يبنى خارجاً عن سمت الواجهة ليكون بمثابة دعامة، والكبش يكون من عدة قطع حجرية يوضع بعضها فوق بعض وتعلوها كمرة خشبية تدخل في البناء من الخلف، وعادة ينتهي الكبش في أسفله بقطعة مقرنصة على هيئة رقبة معكوسة.

د.عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، صـ٢٤٨.

(٤)ابن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٦٤٢.

(٥)أ.د. ضيف الله الزهراني، أ.د. عادل غباشي، تاريخ مكة التجاري، صـ١٠٠.

عمارة أعلام[1] الحرم:

من الأعمال التي أُهتم بها في العهد المملوكي عمارة أعلام الحرم، وكان أول من اهتم بها في العصر المملوكي الملك المظفر حاكم اليمن حيث قام هذا الملك بعمارة العلمين اللذين هما الحد من جهة عرفة وذلك عام ٦٨٣هـ[2].

وفي عهد السلطان قايتباي جُددت أعلام الحرم، وهما عبارة عن علمين تبين حد الحرم من جهة عرفة[3].

---

(١)أعلام الحرم هي العلامات التي تبين حدود الحرم وذُكر أن إبراهيم عليه السلام أول من نصب أنصاب الحرم فكان إبراهيم يرضم الحجارة وينصب الأعلام ويحثي عليها التراب وأن جبريل عليه السلام دله على مواضعها، وذكر أن النبي ﷺ أمر يوم الفتح تميم بن أسد جد عبد الرحمن بن عبد المطلب بن تميم فجددها.

الأزرقي، أخبار مكة، جـ٢، صـ١٢٨.

(٢)الطبري، الإرج المسكي، صـ٥١.

(٣)النهراولي، الإعلام، صـ٢٤٢. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٧٠.

المبحث الرابع

كسوة الكعبة

اهتم حكام المماليك مثل من سبقهم من الحكام المسلمين بكسوة الكعبة المشرفة منذ بداية دولتهم حيث كان أول ملك من ملوك المماليك يكسو الكعبة هو الملك الظاهر بيبرس البندقداري عام ٦٦١هـ[١] وذلك بعد انقطاع الكسوة من قبل خلفاء بني العباس الذين سقطت دولتهم عام ٦٥٦هـ[٢] وصاحبه انقطاع الحجاج من العراق من عام ٦٥٥هـ إلى عام ٦٦٦هـ[٣] بحكم الوضع المضطرب للعراق بسبب الغزو المغولي للبلاد.

وقد كان ينافس حكام مصر في أمر الكسوة ملوك اليمن من بني رسول الذين حرصوا أن يكون لهم ظهور في موسم الحج بين حجاج العالم الإسلامي حيث كان الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول أول من كسى الكعبة بعد خلفاء بني العباس وذلك عام ٦٥٩هـ[٤]، وفي عام ٦٦٦هـ أرسل أيضاً كسوة للكعبة المشرفة[٥]. وقد كان يكسوها

---

(١)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٢٣٧. والفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ٢٢٧. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٨٧. والخزرجي، العقود اللؤلؤية، جـ١، صـ١٣٠.

(٢)ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٣، صـ٢٠٠.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ١٢٣.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ١٢٣. والفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٦٣٧. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٨٣. والجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، جـ٣، صـ١٦٩٣، والطبري، اتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ١٣٠. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٣١٨.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٩١.

لوحده في عدد من السنين[1] وذلك ربما لانشغال الدولة وقد حرص حكام المماليك على الانفراد بكسوة البيت دون غيرهم من الملوك بل وصل الأمر بهم إلى منع من يريد من الملوك أن يكسي البيت من تنفيذ غرضه، ومن ذلك منعهم للملك المجاهد علي بن داود بن رسول ملك اليمن من كسوة البيت عندما حج عام ٧٤٢هـ[2]، بل قد وصل الأمر في بعض الأحيان إلى الصدام المسلح واضطراب موسم الحج مثل ما حدث عام ٧٨٠هـ عندما أرسل الملك الأشرف إسماعيل بن العباس بن علي بن رسول بكسوة للبيت الشريف فمنع أمير الحاج المصري حجاج اليمن من دخول مكة، وكادت أن تقع الحرب لولا لطف الله تعالى بعباده، ثم تدخل السيد أحمد بن عجلان وإصلاحه للأمور[3].

وقد كان يسمح لبعض ولايات الدولة بكسوة البيت الشريف دون اعتراض مثل ما حدث عام ٧٤٢هـ عندما قدم الركب الشامي بكسوة فاخرة للبيت الشريف[4] و لم يمنع، ولكن لم يذكر أنها عُلقت على البيت أثناء الحج، ولعل هذه الكسوة كانت لداخل البيت الشريف.

وقد كانت الكسوة التي ترد من اليمن توضع على الكعبة بعد سفر الحاج المصري[5] وقد يكون هذا حلاً وسطاً لتفادي الاشتباك وإرضاء للطرفين.

وبلغ من حرص سلاطين المماليك على الاحتفاظ بكسوة البيت الشريف أن حلّف السلطان المنصور قلاوون[6] حاكم مكة أبا نمي بن حسن بن قتادة عام ٦٨١هـ قسماً

---

(١)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٢٣٧. والجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، جـ٣، صـ١٦٩٣.

(٢)ابن فهد، اتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٢١. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢٠٩. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، صـ٣٠.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٣١. والمقريزي، السلوك، جـ٥، صـ٥٦. وابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، صـ٢٣٨. وابن حجر، أنباء الغمر، جـ١، صـ٢٨٣.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٢١.

(٥)الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، جـ٣، صـ١٦٩٣.

(٦)السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي، كان من جنس القبجاق جُلب إلى مصر وهو صغير وتدرج في مناصب الدولة حتى صار أتابك العسكر في سلطنة الملك العادل سلامش بن الظاهر، ثم خلع الملك

على طاعة السلطان تضمن العمل على عدم تعليق كسوة على البيت غير كسوة سلطان مصر المملوكي[١].

وبلغ من حرصهم أيضاً بعدم مشاركة أحد لهم في كسوة البيت الشريف عدم تمكين حجاج العراق من تعليق كسوة للبيت قدموا بها عام ٧١٨هـ من قبل ملكهم القان أبي سعيد[٢] [٣]، ومن بعده رفضهم لطلب السلطان شاه رخ[٤]حاكم العراق عندما نذر أن يكسي البيت الشريف إذا انتصر على أحد خصومه فعندما تحقق له النصر وأراد أن يفي بنذره طلب من سلطان المماليك آنذاك الأشرف برسباي عام ٨٣٦هـ الذي رفض رفضاً قاطعاً ورد رداً عنيفاً على سلطان العراق تمثل في إهانة الرسل والتهديد بالحرب، فعاد السلطان شاه رخ عن طلبه حتى تولى حكم المماليك السلطان الظاهر جقمق[٥]، فتودد له

العادل واستولى على الحكم سنة ٦٧٨هـ، توفي سنة ٦٨٩هـ بعد حكم استمر ١١سنة وشهرين. وهو السابع من ملوك الترك بمصر.

المقريزي، السلوك، جـ٢، صـ١٢٢، ٢١٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، صـ٢٩٢.

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٥٣. والقلقشندي، صبح الأعشى، جـ١٣، صـ٣١٨. د.محمود ماهر حمادة، الوثائق السياسية الإدارية، صـ٢٤٤.

(٢)هو أبو سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا من هلاوو المغلي ملك التتار صاحب العراق والجزيرة وخراسان والروم، كان مسلماً حسن الإسلام جواداً عارفاً أقام في الملك ٢٠سنة توفي سنة ٧٣٧هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ٣٤.

(٣)المقريزي، السلوك، جـ٣، صـ١٢.

(٤)شاه رخ القان معين الدين سلطان بن تيمور ملك الشرق وسلطان ما وراء النهر وخراسان ملكها بعد ابن أخيه خليل وحمدت سيرته، وكان عادلاً ديناً خيراً فقيهاً متواضعاً محبباً في رعيته محباً لأهل العلم مكرماً لهم، هاجم بلاد الشام وعلى حدودها توفي سنة ٨٥١هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٩٧.

(٥)هو أبو سعيد الجركس العلائي نسبة للعلاء علي بن الأتابك اينال اليوسفي حيث اشتراه من جالبه إلى مصر الخواجا كزلك، ثم انتقل إلى الظاهر برقوق بواسطة أخيه وتنقل في المناصب أوصاه الأشرف على ولده العزيز بعد وفاته ثم خلع العزيز وتسلطن سنة ٨٤٢هـ وقد كان ملكاً عدلاً ديناً كثير الصلاة والصوم والعبادة عفيفاً عن المنكرات متواضعاً توفي سنة ٨٥٧هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٧١.

السلطان شاه رخ وقدم الهدايا الثمينة حتى أُجيب طلبه عام ٨٤٨هـ، وشرط أن تكون كسوة السلطان شاه رخ من داخل الكعبة(١).

ومع حرص حكام المماليك على إرسال كسوة الكعبة منذ بداية حكمهم إلا أنه قد يحدث في بعض السنوات عدم إرسال كسوة للبيت وذلك في بداية عهد الدولة لانشغال المماليك بقتال الأعداء من المغول والصليبين، وخروج السلطان بنفسه للحرب، وقد يعود أيضاً لاضطراب الأوضاع السياسية في الحجاز والخلافات التي تنشأ بين أفراد البيت الحاكم في مكة مما يجعل قدوم الحجاج خطراً عليهم مثل ما حدث عام ٦٧٠هـ عندما لم تصل إلى مكة كسوة من مصر(٢) وأرسل حكام بني رسول كسوة في العام التالي من اليمن(٣).

كسوة داخل الكعبة:

من المعروف أن المقصود بكسوة الكعبة هي الكسوة الخارجية التي تُسدل على البيت الشريف من الخارج، وقد ورد أنه كان للبيت الشريف كسوة أخرى تعلق على البيت من الداخل، وأول ورود لهذه الكسوة التي من الداخل في العصر المملوكي هي الكسوة التي أحضرها الملك المظفر ملك اليمن عام ٦٥٩هـ، حيث ذُكرت في عدد من المصادر أن هذه الكسوة كانت للكعبة الشريفة من داخلها(٤). ولعل السبب في كسوة البيت من داخله لقدوم كسوة أخرى من أحد الأقاليم في نفس العام وكان سلاطين

---

(١)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٤، صـ٣٦٨. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٩٣. وابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، صـ١٢٧.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٤٩، وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٠٠. والمقريزي، ا لسلوك، جـ٢، صـ٧٦. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٣٢١.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٠٢.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ١٢٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٨٣. والجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، جـ٣، صـ١٦٩٣. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٣١٨. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ١٣٠.

المماليك حريصين على الانفراد بكسوة البيت من ظاهره و لم يرد عن قدوم كسوة لداخل البيت إلا لعدد محدود من السلاطين وفي مدد متفاوتة جداً وليس كما ورد بأن هذه الكسوة كانت تأتي إلى مكة عند تولي كل سلطان جديد لحكم الدولة[1].

وبعد الملك المظفر كسيت الكعبة الشريفة من داخلها من قبل الملك الصالح إسماعيل وبعده من قبل أخيه الناصر حسن عام ٧٦١هـ وكانت من الحرير الأسود في سقفها فيها جامات[2] مزركشة بالذهب وفي جزء منها حرير أحمر وهو الجزء من السقف الذي يبين الأسطوانتين اللتين داخل البيت الشريف[3].

وفي عام ٨٢٦هـ كست الكعبة من داخلها من قبل السلطان الأشرف برسباي وكانت من الحرير الأحمر وكان المتولي لأمر هذه الكسوة الزيني عبد الباسط ناظر الجيوش بالدولة المملوكية[4]، وفي عام ٨٤٨هـ كست الكعبة من الداخل من قبل شاه رخ ملك

---

(١)ورد في كتاب النهروالي الأعلام بأعلام بيت الله الحرام صـ١٠٣ : ((أن سلاطين المماليك كانوا يرسلون عند تجدد كل سلطان كسوة لداخل البيت الشريف))، وكذلك ورد في كتاب إعلام العلماء الأعلام صـ٦١ لعبد الكريم القطبي ((أنها كسوة حمراء ترسل عند تجدد كل سلطان)).

وهذا خلاف الواقع فقد ورد أن كسوة الملك المظفر التي أرسلت عام ٦٥٩هـ لم تزل بالكعبة حتى عام ٧٦١هـ لتعليق كسوة الناصر حسن بن قلاوون.

الفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ١٢٣.

وكذلك كسوة الناصر حسن التي علقت عام ٧٦١هـ لم تزل بالكعبة مع كسوة شاه رخ حتى أزيلت بكسوة الأشرف برسباي عام ٨٢٦هـ وقد توالى على حكم الدولة عدد من السلاطين لم يذكر إرسالهم كسوة الداخل للبيت.

ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٩١.

(٢)الجامات: أجزاء في أصل النسيج برسوم زخرفية تتكون من أشكال متنوعة مختلفة كالأستدارة أو الاستطالة أو التربيع، يكتب في وسطها ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) أو بعض الآيات القرآنية، وتتكون من الحرير الأصفر أو الأبيض وقد تكون من الحرير الأسود.

ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ١٦٤.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٢٣٦. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٨٠.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ٢٢٧. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٩٦. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٤٢٨. والنهراولي، الإعلام، صـ٢٣٢.

العراق بعد التماس شديد للسلطان جقمق لتنفيذ نذره[1]، وقد علقت مع كسوة الأشرف برسباي وأزيلت الكسوتان عام ٨٥٦هـ حيث علقت كسوة جديدة أنفذها السلطان الظاهر جقمق[2] واستمرت هذه الكسوة حتى عام ٨٨٣هـ حيث علقت كسوة جديدة أرسلها السلطان قايتباي في احتفال حضره الشريف محمد بن بركات وأمير الحاج الأمير أمير جقماس الظاهري وعدد من الأعيان والأمراء[3].

ويتضح مما سبق أن الكسوة الداخلية للكعبة لم تكن سنوية، وإنما كانت خاضعة لظروف معينة أغلبها تنافس حكام العالم الإسلامي على تقديم كسوة للكعبة، وأيضاً رغبة بعض السلاطين في كسوة الكعبة وذلك بعد مرور أعوامٍ عديدة على الكسوة التي بها أو تلفها وإذا تقارب ورود الكسوة توضع على بعضها مثل كسوة السلطان الأشرف برسباي وكسوة السلطان شاه رخ اللتان أزيلتا معاً لتعليق كسوة السلطان الظاهر جقمق كما مر آنفاً.

أوقاف الكسوة:

كان مصدر تمويل كسوة الكعبة هو بيت المال حيث يأمر السلطان بعمل كسوة للكعبة المشرفة وعندما تولى السلطنة الملك الصالح[4] صالح بن الناصر محمد بن قلاوون جعل للكسوة مصدراً مالياً خاصاً وهو عبارة عن دخل وقف أرض زراعية بالقرب من

(١)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٩٧. والسخاوي، التبر المسبوك، صـ٩٦. وابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، صـ٢٤٤. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٤٣٠.

(٢)ابن فهد، اتحاف الورى، جـ٤، صـ٣١٧. والسخاوي، التبر المسبوك، صـ٣٩١. والنهراولي، الإعلام، صـ٢٣٨.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٦٣٨، ٦٣٩. وابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٥٣٢.

(٤)هو الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاوون، أقيم سلطاناً بعد خلع أخيه الناصر حسن في يوم الاثنين ١٨ /٧٥٢/٦هـ، واستمر في السلطنة حتى عام ٧٥٥هـ حيث خُلع وقد حكم ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. وهو العشرون من ملوك الترك بمصر.

المقريزي، السلوك، جـ٤، صـ١٣٩، ٢٠٧. ،ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٠، صـ٢٥٤.

القاهرة تسمى سردوس وذلك عام ٧٥٤هـ[١] وعندما ينقص ريع وقف الكسوة الشريفة ولا يكفي لاحتياجها يتدخل السلطان فيمول الكسوة بما يكفي لعملها مثل ما حدث من السلطان المؤيد شيخ حيث أضاف على دخل وقف الكسوة ألف دينار لكي يكتمل نقص تكلفتها وتعمل على أحسن شكل وذلك عام ٨١٧هـ[٢].

---

(١)المقريزي، السلوك، جـ٤، صـ١٨٣.

ورد عند الفاسي في كتابه العقد الثمين، جـ١، صـ٢٢٧، أن موقف هذا الوقف هو الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد، وقد ذهب هذا المذهب كثير من المؤرخين منهم السخاوي في كتاب الضوء اللامع، جـ٤، صـ٢٦، وابن ظهيرة في كتابه الجامع اللطيف، صـ١٠٨، وأحمد بن محمد المكي في كتابه أخبار الكرام، صـ١٦٠، وذهب النهروالي، في كتابه الإعلام صـ١٠٣، أن الملك الصالح أوقف قريتين: ((بيسوس، سندبيس)) على الكسوة للكعبة ووافقه عبد الكريم القطبي في كتابه أعلام العلماء الأعلام صـ٦٤.

ولكن لم يوضحا من هو الملك الصالح المقصود لأنه يوجد اثنان من السلاطين دعو بالملك الصالح من أبناء السلطان محمد بن قلاوون الصالح صالح، والصالح إسماعيل، ووافقهما محمد صالح الحجي في كتابه أعلام الأنام صـ٢٠٠، و لم يذكر الثلاثة تاريخ هذا الوقف، والأرجح في هذا أن الوقف الذي حدث عام ٧٤٣هـ في عهد السلطان الملك الصالح إسماعيل كان عبارة عن ثلث أرض سندبيس من منطقة القليوبية وقفت على القبر النبوي الشريف. والمقريزي، السلوك، جـ٣، صـ٣٨٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٠، صـ٨٥.

أما الوقف الذي على كسوة البيت الشريف فكان عام ٧٥٤هـ في عهد السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون بتوقيف ناحية تسمى سردوس تجاه القليوبية أيضاً، وقد التبس الأمر على الفاسي فعندما ذكر في كتابه شفاء الغرام جـ١، صـ٢٣٦، أن الواقف لهذا الوقف هو السلطان إسماعيل ذكر أن الكعبة كست عام ٨٢٥هـ فمن وقفها من قبل ٧٠سنة فإذا أنقصنا ٧٠سنة من هذا التاريخ يكون تاريخ الوقف سنة ٧٥٥هـ وهو أقرب تاريخ لوقف السلطان الصالح صالح.

وقد يكون بحكم تجاور الوقفين أن ضمت في وقف واحد وتحت ناظر واحد لاختصاصهما بالأماكن المقدسة وبها اعتقد الناس أن القريتين وقفاً على كسوة الكعبة الشريفة وكسوة الحجرة النبوية. والله أعلم.

المقريزي، السلوك، جـ٤، صـ٧٣.

(٢)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٢٦. والسخاوي، التبر المسبوك، صـ٣٣١. وابن حجر، ابناء الغمر، جـ٧، صـ١٧٩.

شكل الكسوة:

اهتم سلاطين المماليك بأمر نوعية الحرير الذي تكسى به الكعبة فقد حرصوا على أن يكون من أجود الأنواع بل وصل الأمر أن يأمر السلطان بنوعية معينة من الحرير لنسيج ثوب الكعبة به، ومن ذلك أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٩هـ[١] أن تكسى الكعبة بالحرير الأطلس، ولعله من أجود أنواع الحرير في ذلك الوقت، وكُسيت الكعبة عام ٧٦١هـ الحرير المذهب[٢] وكانت تعمل من الحرير الأسود ولها بطانة[٣] من الكتان[٤] ومطرزة[٥] من أعلاها باللون الأبيض وهو عبارة عن كتابة بعض الآيات من جهاتها الأربع[٦].

وقد كان صناع الكسوة في مصر يتفننون في تطريز ثوب الكعبة بالنقوش والتطريز تارة يكون بالحرير الأصفر، وتارة بالأبيض، وتارة بالقصب ويحمل هذا التطريز كتابة الآيات القرآنية، واسم السلطان الذي أمر بالكسوة، والجزء الذي فيه هذا التطريز في الربع الأعلى من الكسوة[٧].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ١٣١.

(٢)المصدر السابق، جـ١، صـ٢٢٧.

(٣)البطانة: ما يبطن من الثوب وهي بخلاف ظاهرة فلا يجوز أن تكون بطانته ظاهرة وبطانة الثوب خلاف ظهارته وبطن الثوب جعل له بطانة ولحاف مبطون. وتبطين الثوب جعل له ثوب آخر تحته.

ابن منظور، لسان العرب، جـ١، صـ٤٣٥.

(٤)الكتان نبات عشبي حولي، موطنه الأصلي حوض البحر المتوسط، كان المادة الرئيسية لصناعة الملابس بمصر منذ القدم يستخدم في صناعة المنسوجات والحبال شديدة المتانة، وبذوره غنية بالزيت.

الموسوعة العربية الميسرة، جـ٢، صـ١٤٤٢.

(٥)من طرز والطراز ما ينسج من الثياب والطراز علم الثوب وهو فارسي معرب وقد طرز الثوب فهو مطرز والطرز الشكل أي شكله. وطرزه تطريز أعلمه.

ابن منظور، لسان العرب، جـ٨، صـ١٤٣. والفيروز آبادي، القاموس المحيط، صـ٤٦٤.

(٦)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٨٥.

(٧)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٢٣٥. وابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٨٥. وخالد البلوي، تاج المفرق، جـ١، صـ٣٠١. وابن فهد، اتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٠٢. والمقريزي، السلوك، جـ٥، صـ١٥٤.

ويحدث في بعض السنوات في كسوة الكعبة نقوش بألوان غير اللون الأسود في أجزاء من الكسوة، ومن ذلك عام ٨١٠هـ أحدثت نقوش بالحرير الأبيض في جامات في الجانب الشرقي، واستمر بضع سنوات ثم يُترك ثم يعاد[١]، ويكتب بالحرير الأبيض ((لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم))[٢].

وفي عام ٨٥٤هـ كانت كسوة الكعبة خالية من الجامات البيض حيث كانت جاماتها جميعاً سوداء[٣]، وصار النساجون يتفنون في عمل الجامات فتارة تكون الكسوة في بعض الجامات بيضاء بجامات صفر أو بيضاء بجامات سود[٤] وتُزين بالذهب، وهذا يدل على المكانة الروحية للكعبة المشرفة لدى نساج الكسوة ومتابعة الناظر على إخراج الكسوة بشكل فائق من الحسن والبهاء. ويعمل التاج على نسيج الكسوة على شكل قطع يبلغ عددها ٣٤ قطعة تحمل وتوصل أثناء تلبيس الكعبة في الحرم الشريف[٥].

نظارة الكسوة:

من اهتمام سلاطين المماليك بأمر الكسوة الشريفة تعيين ناظر يهتم بشؤون الكسوة وريع وقفها وتوظيف النساج والرسامين لها وشراء ما تحتاجه من حرير وذهب[٦] وقد كانت نظارة الكسوة تضاف إلى متولي بيت المال في الغالب وكان ذلك منذ توقيف وقفها[٧]، ويُحرص على اختيار الرجال الأكفاء الأمناء ومن أشهر من تولوا نظارة الكسوة في العصر المملوكي:

---

(١)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٢٣٤. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٩٩، ٥٣٦.

(٢)المصدر السابق، جـ٣، صـ٤٥٩.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ١٧٤.

(٤)المصدر السابق، جـ٤، صـ٤١٠، ٤٢٠. وابن العماد، شذارت الذهب، جـ٧، صـ٣١٥. والنهراولي، الإعلام، صـ٢٣٩. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٥٧.

(٥)خالد البلوي، تاج المفرق، جـ١، صـ٣٠١.

(٦)د. حسن الباشا، الفنون الإسلامية، جـ٣، صـ١٢١٢.

(٧)المقريزي، السلوك، جـ٤، صـ١٨٣.

١ــ القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل، وقد تولى أمر الكسوة عام ٨١٨هــ بالإضافة إلى نظر الخزانة السلطانية[١].

٢ــ محمد بن محمد بن عبد الوهاب المناوي وقد تولى نظرة الكسوة والحسبة ووكالة بيت المال ونظر الأوقاف[٢].

٣ــ شرف الدين أبو الطيب[٣] محمد بن تاج الدين عبد الوهاب، وقد اشتهر بالعفة وحسن المباشرة لأمر الكسوة، وقد تولى نظارتها سنة ٨٢٤هــ مع نظر الخزانة[٤].

٤ــ الشيخ ولي الدين السفطي تولى نظارة الكسوة سنة ٨٤٣هــ بالإضافة إلى وكالة بيت المال[٥].

٥ــ محمد الصوفي، تولى نظارة الكسوة، ووكالة بيت المال توفي سنة ٨٦٤هــ[٦].

وقد كانت الدولة تحاسب ناظر الكسوة إذا أُخرجت الكسوة بأقل مما هو متوقع وربما يتعرض للمحاسبة والعزل عن منصبه ومن ذلك ما حدث للشيخ شرف الدين[٧]

---

(١)السخاوي، الضوء اللامع، جــ٦، صــ٤٢٨. وابن حجر، إنباء الغمر، جــ٧، صــ١٧٩.

(٢)المصدر السابق ، جــ٩، صــ١٣٥. والمصدر السابق ، جــ٦، صــ٢٦١.

(٣)هو محمد بن عبد الوهاب بن نصر الله بن حسن بن محمد الشرف أبو الطيب بن التاج الفوي القاهري ولد سنة ٧٩٧هــ ونشأ في حجر السعادة وتعلم الكتابة واشتغل بالعلم وكتب الإنشاء وعظم في أيام الظاهر ططر بحيث ولاه نظر الكسوة وديوان الضرب وديوان الأشراف وغيرها، مات سنة ٨٣٣هــ.

السخاوي، الضوء اللامع، جــ١٠، صــ١٣٩.

(٤)المقريزي، السلوك، جــ٧، صــ٥٩. وابن إياس، بدائع الزهور، جــ٢، صــ٧٤.

(٥)السخاوي، التبر السبوك، صــ١٤١. وابن إياس، بدائع الزهور، جــ٢، صــ٢١٨. وابن حجر، ابناء الغمر، جــ٩ ، صــ٩٠.

(٦)السخاوي، الضوء اللامع، جــ١٠، صــ١٢٣.

(٧)هو يعقوب بن جلال بن أحمد بن يوسف الشرف التباني سكناه بالتبانة ولد سنة ٧٦٠هــ وتفقه على أبيه ومهر في العربية والمعاني والبيان ودرس وأفتى، اتصل بالمؤيد فعظم قدره وولي في أيامه مشيخه الشيخونة ونظر الكسوة ووكالة بيت المال مات سنة ٨٢٧هــ.

السخاوي، الضوء اللامع، جــ١٠، صــ٢٨٢.

التباني سنة ٨١٧هـ فقد قبض عليه وغرّم مالاً كثيراً باع لأجل سداده داراً له ثم عزل عن نظارة الكسوة[1]، وهذا يدل على متابعة الدولة لنظار الكسوة ومحاسبتهم.

كسوة الحجر الشريف:

استحدث في العهد المملوكي كسوة الحجر الشريف، فقد وصلت عام ٨٥٢هـ كسوة لداخل الحجر الشريف ولكن لم يلبس بها الحجر الشريف بل احتفظ بها إلى العام التالي ٨٥٣هـ في داخل الكعبة[2]، ولعل السبب أن تلبيس الحجر من الداخل والخارج أنسب من تلبيسه فقط من الداخل أو لعل الكسوة التي قدمت عام ٨٥٢هـ لم تكن كافية للحجر فانتظر حتى قدم الحاج عام ٨٥٣هـ ومعه تكملة لهذه الكسوة، ولكن الأرجح أن الكسوة التي قدمت عام ٨٥٣هـ هي لخارج الحجر حيث ذكر أنها كسيت للحجر مع الكسوة السابقة، ولهذا يكون الأرجح أنها خارجية وليست داخلية مثل سابقتها والله أعلم.

ولم يذكر أن هذه الكسوة كُررت في أعوام أخرى وربما تكون تُركت هذه الكسوة.

---

(١)ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٧، صـ١٧٩.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٨٠ ، ٢٨٧. والنهراولي، الإعلام، صـ٢٣٦. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٤١. د.السيد محمد الدقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، صـ٦٧.

الفصل الثاني

الوظائف الدينية في مكة المكرمة:

المبحث الأول: الإمامة والخطابة.

المبحث الثاني: القضاء، والإفتاء، السدانة.

المبحث الثالث: المؤذنون، البوابون، الطوافة.

المبحث الرابع: السقاية.

المبحث الخامس: نظارة الحرم الشريف.

المبحث السادس: الحسـبة.

الفصل الثاني :الوظائف الدينية:

المبحث الأول: الإمامة:

الإمام هو الذي يؤم المصلين لأداء الصلاة، وقد ظهرت هذه الوظيفة منذ ظهور الدين الإسلامي حيث كان النبي ﷺ أول إمام للمسلمين يؤمهم في صلاتهم. وقد حدد النبي ﷺ شرط الإمامة بقوله ﷺ : ((يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواءً فأقدمهم سلماً)) الحديث رواه مسلم[1].

واستمر الوضع في العالم الإسلامي باختيار إمام لكل مسجد يؤم المصلين به . وإمامة المسجد الحرام من أهم المناصب حيث يؤم إمامه جميع القادمين للصلاة بالمسجد الحرام من جميع أرجاء المعمورة، وقد كان في المسجد الحرام إمام واحد يؤم المصلين به حتى تعددت المذاهب الفقهية السنية وهي: المذهب الشافعي والحنفي والحنبلي والمالكي، فاستحدث لكل أتباع مذهب إمام يؤمهم في الصلاة فأصبح في المسجد الحرام أربعة أئمة. ولم يُعرف متى استحدثت إمامة الأربعة الأئمة بالمسجد الحرام إلا أنه عندما قامت الدولة

---

(١)الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، جـ١، صـ٤٦٥، حديث رقم ٦٧٣.

المملوكية كان في المسجد الحرام أربعة أئمة بالإضافة أحياناً إلى إمام شيعي[1] يتبع المذهب الزيدي[2] [3].

وبحكم اتساع الحرم الشريف بمكة فقد كان لكل إمام مقر يؤدي فيه الصلاة بأتباع مذهبه يسمى مقام[4]، فكان مقام الإمام الشافعي خلف مقام إبراهيم عليه السلام في الجهة الشرقية للحرم والإمام المالكي بين الركنين الغربي واليماني في الجهة الغربية من الحرم الشريف، والإمام الحنفي في الجهة الشمالية، والإمام الحنبلي مقابل الحجر الأسود في الجهة الجنوبية الشرقية[5].

وسماح الدولة بتعدد الأئمة في المسجد الحرام دليل على تجنبها الدخول في نزاعات مذهبية ولكن تعدد الأئمة يدل على تمسك كل طائفة بمذهبها والتعصب له وقد كان يشارك هذه المذاهب السنية الأربعة إمام شيعي على المذهب الزيدي فقد ذكر أنه كان يصلي بأتباع مذهبه بين الركن اليماني والحجر الأسود في فترات متقطعة حيث أن الدولة

---

(١)الشيعي نسبة إلى الشيعة وهم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية ، وإمامية، وغلاة وإسماعيلية.

الشهرستاني، الملل والنحل، جـ١، صـ١٦٩.

(٢)الزيدية إحدى فرق الشيعة يقولون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد خرج في خلافة هشام بن عبد الملك وهم ينقسمون إلى ثلاث فرق الجارودية، والسليمانية، والنبويةوهي أقرب فرق الشيعة من أهل السنة حيث تتصف بالاعتدال والقصد والابتعاد عن التطرف والغلو.

عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، صـ١٦.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، صـ٢٥٧.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٣٩١، جـ٥، صـ٤٦٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٧٩، ٢٦١.

(٤)المقام: عبارة عن اسطوانتان من حجارة عليها عقد مشرف من أعلاه، وقبة خشبية معترضة فيها خطاطيف للقناديل، وما بين الاسطوانتين مبنى في مقام المالكي والحنبلي بحجارة مبيضة وفي وسطه محراب أما مقام الشافعي فلا يوجد به بناء، وقد بني مقام الحنفي وجعل فيه أربعة أساطين.

الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٦١.

(٥)المصدر السابق، جـ١، صـ٤٦١، ٤٦٢. وابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٧٧. وخالد البلوي، تاج المفرق، جـ١، صـ٣٠٦. وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، صـ٢١٥.

في مصر لم تكن ترغب في قيامه بالصلاة بالمسجد الحرام فكانت ترسل بمنعه وإخراجه بين الحين والآخر[1]، ولكن يدل على وجود هذا الإمام أن السلطة في مكة كانت تميل إلى المذهب الزيدي ويعتنقه بعض أفراد الأسرة[2] مع عدم الحصول من أتباع هذا المذهب على أي مردود مادي حيث لم يرد أن حكام مكة كانوا يتلقون من إمام الزيدية في اليمن مبالغ مالية أو هبات معينة.

وقد كانت صلاة الأئمة الأربعة في الحرم الشريف مرتبة بحيث يصلي الإمام الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي، وقد يحدث تقديم في بعض السنين لأحد الأئمة على الآخر، وقد يصلي إمامان في وقت واحد وذلك يعود لتباعد مواقعهما مثل الحنابلة والمالكية حيث ذكر أنهما كانا يصليان في وقت واحد. وترتيب صلاة الأئمة على النحو السابق يتم في جميع الفروض ما عدا فرض المغرب فيصلي الجميع سوياً وذلك يعود لضيق الوقت لهذه الصلاة. ومن هذا الحال يحصل للمصلين اختلاف في صلاتهم لتداخل القراءة والتكبير[3]، وهذا الأمر كان باستطاعة الدولة حسمه وجمع الناس في المسجد الحرام على إمام واحد، لأن الدولة استطاعت في عهد السلطان الناصر فرج عام ٨١١هـ أن تمنع الإمام الحنبلي والحنفي والمالكي من صلاة المغرب وتجمع المصلين على الإمام الشافعي فقط فكان يصلي بالناس وذلك لما بلغ السلطان اختلاف المصلين في صلاة المغرب لاجتماع الأئمة الأربعة بأداء الصلاة سوياً، ولم يُذكر أن حدث اعتراض على الدولة وتجاوز لأمرها، وتخصيص الإمام الشافعي بالصلاة لوحده دليل على نفوذ علماء الشافعية في مصر وأن غالبية أهل مكة على المذهب الشافعي، وقد استمر هذا القرار حتى أُبطل عام ٨١٦ هـ وعادت الأمور إلى سابق عهدها[4].

---

(١)ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٤، صـ١٢٣. والمقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٤، صـ١٨٧. وابن حجر، الدرر الكامنة،جـ٢، صـ٦٦، جـ١،صـ٢٨٠.وابن الوردي،تاريخ ابن الوردي،جـ٢،صـ٣٩٩.

(٢)وابن المجاور، تاريخ المستبصر، صـ٥. والذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٧، صـ١٣٤. وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١١، صـ١٣٩.

(٣)ابن ظهيرة، الجامع اللطيف، صـ٢١٣.

(٤)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٧٧. وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، صـ٢١٣. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٤١٠.

إمام المقام الشافعي:

كان المذهب الشافعي[1] هو الأكثر أتباعاً في مكة المكرمة وهو المذهب المتصدر للمذاهب السنية في مصر وجميع البلاد التي يحكمها المماليك[2] ولهذا نجد إمام الشافعية هو أول إمام يصلي بأتباعه في المسجد الحرام[3] وقد أطلق عليه أيضاً إمام المقام حيث أن المقام الشافعي خلف مقام إبراهيم الخليل عليه السلام[4] ولهذا كان الإمام الشافعي يصلي أحياناً في مقام الخليل عليه السلام ولذا أطلقت عليه هذه التسمية، وقد كان أئمة المقام الشافعي على درجة كبيرة من العلم والمعرفة حتى أنه كانت أحياناً تضاف إلى إمام المقام خطابة المسجد الحـــرام، ومن الأئمة الذين تولوا إمامة المقام والخطابة الشيخ سليمان بن خليل بن إبراهيم العسقلاني المكي الشافعي[5]، وقد تولى إمامة المقام في أوائل العهد المملوكي بالإضافة إلى الخطابة، وكان يتصدر للفتوى مما يدل على سعة علمه، وقد توفي عام ٦٦١هـــ[6]. وتولى بعده عالم جليل آخر هو الشيخ محمد بن يوسف بن موسى

---

(١)الشافعي نسبة إلى الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع السائب القرشي المطلبي الشافعي، كان الشافعي كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين. قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي. وقد ولد سنة ١٥٠هـــ بمدينة غزة وحمل إلى مكة ونشأ بها وقرأ القرآن الكريم وقد تنقل في الأمصار من بغداد واليمن ومصر توفي سنة ٢٠٤هـــ.

ابن خلكان، وفيات الأعيان، جــ٤، صــ٢١.

(٢)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صــ١٧٧.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جــ٤، صــ٣٩١. والفاسي، شفاء الغرام، جــ١، صــ٤٦٤. وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، صــ٢١٣.

(٤)ابن ظهيرة، الجامع اللطيف، صــ٢١٥.

(٥)هو الشيخ سليمان بن خليل بن إبراهيم بن يحيى العسقلاني المكي الشافعي، إمام المقام، وخطيب المسجد الحرام ومفتيه ولد قبل ٥٨٠هـــ سمع على عدد من العلماء، حدث بالكثير، ودرّس وأفتى وألف كتاباً مفيداً في المناسك وقد ولي خطابة المسجد الحرام مع الإمامة بالمقام وقد ذكر أنه كـــان مستقلاً بالفتوى في سنة ٦٤٨هـــ وقد توفي سنة ٦٦١هـــ.

الصفدي، الوافي بالوفيات، جــ١٥، صــ٢٣١.

(٦)الفاسي، العقد الثمين، جــ٤، صــ٢٣٥.

الأزدي المهلبي الشهير بابن مسدى[1] حيث تولى بعد الشيخ سليمان في الإمامة والخطابة حتى عام ٦٦٣هـ[2]. والشيخ علي بن صالح بن محمد الحسيني المكي البهنسي المتوفي عام ٦٨١هـ[3].

ومن أشهر أئمة المقام الشافعي الذين لم يلوا منصب الخطابة مع الإمامة الشيخ إبراهيم[4] بن محمد بن إبراهيم الطبري الملقب برضي الدين الذي كان من أشهر علماء الحجاز علماً واطلاعاً فقد كان حجة في الإفتاء ومحدثاً مشهوراً مع إلمام واسع باللغة العربية وقد تولى هذا الشيخ إمامة المقام حتى وفاته عام ٧٢٢هـ[5]، وقد وضع هذا الشيخ أساساً لتوارث منصب الإمـامة في المـقام الشافعي لأسرته حيث ولي بعده ابنه الشيخ أحمد بن إبراهيم الطبري[6] المكنى بأبي المكارم وبعد وفاته عام ٧٥٠هـ توارث أبناؤه

---

(١)ابن مسدي هو محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن مسدي الحافظ أبو بكر الغرناطي الأزدي المهلبي، سمع الكثير بالمغرب وديار مصر، وصنف وانتقى على المشايخ وظهرت فضائله، خرّج معجماً لنفسه عمل تراجمه مسجوعة وهو سجع متمكن جاور بمكة وبها مات سنة ٦٦٣هـ، كان ينشئ الخطبة ببلاغة وفصاحة وله مصنفات كثيرة، وله منسك كبير ضخم ذكر فيه المذاهب وحججها وأدلتها.

الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ٥، صـ١٦٦.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٤٣٣.

(٣)المصدر السابق، جـ٥، صـ٢٦٢.

(٤)إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري المكي رضي الدين إمام المقام الشافعي ولد سنة ٦٣٦هـ وسمع من عدد من العلماء كان صيتاً متفرداً في الدين والعبادة قل أن ترى العيون مثله مع التواضع والوقار والخير، ولم يخرج من الحجاز ، مات سنة ٧٢٢هـ. روى الكثير وحدث أزيد من خمسين سنة.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ٣٨. الذهبي، معجم الشيوخ، جـ١، صـ١٥٠.

(٥)اليافعي، مرآة الجنان، جـ٤، صـ٢٦٧. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ٣٨. والذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٧، صـ٤٦٠. والصفدي، الوافي بالوفيات، جـ٦، صـ١٢٦.

(٦)هو الشيخ أحمد بن إبراهيم بن محمد الإمام شهاب الدين أبو العباس ويقال له أبو المكارم إمام المقام الشريف ولد سنة ٦٨٦هـ أجاز له عدد من العلماء، سمع من والده وعمه البخاري، وصحيح ابن حبان، وتلا بالروايات على مقرئ مكة، عفيف الدين الدلاصي والشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم القصيري، وحدث سمع منه جماعة من شيوخنا، وناب في القضاء بمكة، وأعاد بالمدرسة المجاهدية بمكة مات سنة ٧٥٠هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٦.

الإمامة[1] ثم أحفاده لهذا المنصب حتى أصبحت شبه محصورة في هذه الأسرة طيلة عهد الدولة المملوكية وقد حدث في هذا المنصب فيما بعد تقاسم الإمامة بين أبناء البيت الطبري وحدث ذلك عندما شارك الشيخ محمد بن أحمد بن إبراهيم[2] الطبري ابن أخيه رضي الدين محمد بن محب الدين بن أحمد الطبري في الإمامة عام ٧٩٧هـ، وبعد وفاته عام ٨٠٩هـ ورّث نصيبه من الإمامة لابنه أبي الخير[3] معلناً بذلك تقاسم المنصب بين الورثة، ولكن مع هذا الاهتمام بمنصب الإمامة نجد أن الأئمة من بيت الطبري كانوا على درجة كبيرة من العلم والثقافة والديانة والزهد يدل على ذلك موقف الشيخ محب الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الطبري[4] الذي تولى الإمامة بعد وفاة والده الإمام رضي الدين محمد عام ٨٢٢هـ وحدث أن حج السلطان قايتباي أثناء تولي هذا الشيخ الإمامة عام ٨٨٤هـ فلم يبالغ في الاحتفاء بالسلطان أثناء استقباله مع المستقبلين مما يدل على عدم رغبته في الحصول على امتيازات أو هبات مما لفت انتباه السلطان الذي حرص على مقابلته وسؤاله واقتناعه بزهد هذا الإمام ومكانته العلمية، وقد أراد السلطان أن يخصص مبلغ مائة دينار مقابل قيامة بالإمامة بالحرم الشريف، فأجاب الشيخ بأن

---

(١)المصدر السابق، جـ٢، صـ٣.

(٢)هو محمد بن أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي الشافعي أخو المحب أبي البركات محمد، ولد سنة ٧٣٠هـ بمكة، أجاز له عدد من العلماء حدث سمع منه عدد من الشيوخ، ولي إمامة المقام بمكة بعد أخيه المحب شركة لابن أخيه الرضي، مات سنة ٨٠٩هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٢٨٧.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٥. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٥٥. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٢٨٧. وابن حجر، إنباء الغمر، جـ٦، صـ٤١.

(٤)الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي الشافعي إمام المقام، ويعرف بالمحب الطبري الإمام ولد سنة ٨٠٧هـ بمكة المشرفة، نشأ فحفظ القرآن وألفية ابن مالك وعدد من كتب الفقه، وارتحل في طلب العلم إلى القاهرة والأسكندرية وزار بيت المقدس والخليل، رغب له والده قبل وفاته بثلاثة أيام سنة ٨٢٣هـ عما بيده من الإمامة ولم يتفق له مباشرتها لصغر سنه فباشرها سنة ٨٢٧هـ شريكاً لابن عم والده عبد الهادي بن أبي اليمن الطبري، توفي سنة ٨٤٥هـ واستقل بها إلى أن مات سنة ٨٩٤هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ١٩١.

الإمامة يقوم بها قربة إلى الله ولا يأخذ عليها أجراً[1] ، وهذا يدل على أن بعض الأئمة بالحرم الشريف كانوا لا يأخذون أجراً على إمامتهم.

وفي الوقت الذي كان للمقام إمام أو إمامان بالشراكة كان الإمام ينيب عنه من يراه كفؤاً، وقد كان أكثر ما ينيب الإمام عنه أحد أبنائه حيث ذكر أن معظم من تولوا الإمامة كانوا ينيبون فيها من أبنائهم وإخوانهم مثل الشيخ محب الدين الطبري كان ينيب أخاه الشيخ محمد بن أحمد الطبري [2] والشيخ أبو اليمن محمد بن أحمد الطبري، فقد كان ينيب ابنه أبا الخير ثم نزل له والده في مرض موته عن نصف الإمامة[3]، والشيخ المحب محمد الرضي الطبري، فقد أناب ولده إبراهيم مدة من الزمن[4].

وقد ينيب الإمام أحد العلماء من غير أسرة الطبري ولذلك لمقدرته العلمية في القرآن مثل الشيخ عمر بن محمد المرشدي[5] أحد مقرئ مكة المكرمة، فقد كان المحب الطبري ينيبه في الإمامة[6]. والشيخ عبد الوهاب بن عبد الله اليافعي[7] المدرس بالحرم

---

(١)الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٨٤. والطبري، الأرج المسكي، صـ٢٨٠.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٥.

(٣)المصدر السابق، جـ٦، صـ٢٨٣.

(٤)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ١٦٣.

(٥)هو الشيخ عمر بن محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الأنصاري المكي المرشدي الشافعي ولد سنة ٨١٨هـ بمكة ونشأ بها وحفظ القرآن، حضر على عدد كبير من العلماء، اشتغل وتلا بالسبع إفراداً وجمعاً على الزين بن عياش، ثم على ابن يفتح الله السكندري حين مجاورته ناب في إمامة مقام الخليل بالمسجد الحرام عن صهره زوج أخته الإمام محب الدين الطبري، مات سنة ٨٦٢هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١١١٧.

(٦)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ١٣٧.

(٧)هو الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح التاج أبو محمد بن الولي الشهير بالعفيف أبي محمد اليافعي اليمني المكي الشافعي ولد سنة ٧٥٠هـ. وسمع من عدد من العلماء بمكة، أذن له بالتدريس والإفتاء سنة ٨٠١هـ وتصدى للاشتغال بالمسجد الحرام مدة سنين، كان ذا فضيلة، ناب في الإمامة بالمقام عن خاليه ابني الشيخ أحمد بن الرضي الطبري، مات سنة ٨٠٥هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ١٠٢.

الشريف[1] والشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب اليافعي[2]، فقد أنابه الشيخ عبد الهادي الطبري في إمامة المقام. [3]

إمامة المالكية[4]:

عندما قامت دولة المماليك عام ٦٤٨هـ كان إمام المالكية الشيخ محمد بن عمر بن محمد التوزري القسطلاني الذي كان على درجة كبيرة من العلم والمعرفة وقد تقلد المنصب بعد والده الشيخ عمر الذي توفى عام ٦٤٤هـ[5].

---

(١)ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٥، صـ١٠٥.

(٢)هو الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الله بن أسعد اليافعي المكي الشافعي ولد سنة ٨٠٠هـ، وحفظ القرآن وعدد من كتب الحديث وكتب النحو، أجاز له خلق، عني بالأدب والشعر دخل مصر وناب في إمامة المقام عن عبد الهادي الطبري، مات سنة ٨٢٧هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٩١.

(٣)هو الشيخ عبد الهادي بن أبي اليمن محمد بن أحمد بن الرضي إبراهيم الطبري ولد سنة ٧٨٠هـ بمكة ونشأ بها سمع من والده ومن عدد من العلماء، ولي نصف إمامة المقام بعد أخيه أبي الخير سنة ٨١٣هـ شريكاً لابن عمه الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد الطبري واستمر إلى أن مات، خطب بالمسجد الحرام سنة ٨٢٤هـ من شعبان إلى ذي القعدة لحصول خلاف بين الخطيبين أبي الفضل النويري وأبي السعادات بن ظهيرة كان خيراً مباركاً ساكناً مات سنة ٨٤٥هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٩٤٣. والسخاوي، التبر المسبوك، صـ٣١.

(٤)المالكية نسبة للإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام. وكان مالك وقد ولد عام ٩٥هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ بالمدينة المنورة. قال ابن وهب سمعت منادياً ينادي بالمدينة ألا لا يفتي الناس إلا مالك وابن أبي ذئب، وقد جُلد في بداية عهد الدولة العباسية على يد جعفر بن سليمان بن علي. وقيل سبب الجلد لأجل فتوى لم توافق غرض السلطان. وقد كان شديد البياض إلى الشقرة أقرب طويلاً عظيم الهامة.

ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٤، صـ٣.

(٥)محمد بن عمر بن محمد بن عمر القسطلاني التوريزي المولد المكي الدار والوفاة المالكي إمام حطيم المالكية بمكة مولده سنة ٥٩٨هـ سمع من عدد من العلماء، وحدث بمكة وكان شيخاً عالماً صالحاً توفي سنة ٦٦٣هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٣٠. الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ٤، صـ٢٦١.

وبهذا يكون نظام الوراثة قد عُمل به قبل العهد المملوكي واستمر طيلة العهد حيث توارث أبناء الشيخ محمد وأحفاده منصب إمامة المالكية حتى عام ٧٦٥هـ حيث توفي الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن محمد التوزري[(١)] وبوفاة الشيخ عمر بن عبد الله تنتقل الإمامة في المقام المالكي إلى أسرة جديدة هي أسرة العقيلي والسبب الأرجح في انتقال الإمامة لعدم وجود أبناء للشيخ عمر حيث لم يرد في ترجمته أنه خلف أبناء فتولى إمامة مقام المالكية الشيخ علي بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي[(٢)] النويري حتى توفي عام ٧٩٨هـ[(٣)]، وقد تولى بعده ابناه عبد الرحمن وأحمد بالشراكة وهذا أول شراكة في منصب إمامة مقام المالكية والأرجح أن الدافع إلى التنافس على الشراكة في إمامة مقام المالكية ما كان يتحصل لإمام المالكية من هبات من قبل الحجاج الذين على مذهب الإمام مالك وخصوصًا حجاج التكارره[(٤)]، فقد كان والدهما الشيخ علي يحصل على مبالغ طائلة منهم أثناء توليه وهذا كان بمحض إرادة الحجاج حيث لم يرد أن يحصل أصحاب الوظائف الدينية على أموال من قبل الحجاج إلا مجرد هبات وربما يكون هذا

---

(١)الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٥، صـ٥٥، ٣٤٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٧٩.

(٢)هو الشيخ علي بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم النويري العقيلي المعروف بالشهيد الناطق إمام المالكية بالمسجد الحرام، ولد بمكة سنة ٧٢٤هـ وتوفي سنة ٧٩٨هـ.

ابن تغري بردي، الدليل الشافي، على المنهل الصافي، جـ١، صـ٤٤٩.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٢٣٦. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٠٠.

(٤) التكرور شعب من الزنج يسكن الجزء الأكبر من وهاد السنغال وأكثرهم على الجانب الأيسر لنهر السنغال، وتنتشر منازل التكرور أيضًا في أنحاء من أفريقيا الغربية بالقرب من نهر النيجر انتشر الإسلام بينهم عن طريق الدعاة ثم الغزو من قبل المسلمين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي وتقول العرب تكرور والنسبة إليه تكروري وهو الاسم الذي يطلقه المغاربة الذي يعيشون بقرب نهر السنغال.

والتكرور: مدينة في بلاد السودان بقرب مدينة صنغانة، وهي أكبر من مدينة سلي وأكثر تجارة وإليها يسافر أهل المغرب الأقصى بالصوف والنحاس والخرز ويخرجون منها بالتبر والخدم، من مدينة سلي وتكرور إلى سلجماسة أربعون يوماً، وأقرب البلاد إليها من بلاد لمتونة الصحراء أزفي.

محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، صـ١٣٤، دائرة المعارف الإسلامية، جـ١، صـ١١.

المال مقابل صلاة الإمام بهم في الحرم وإجابتهم عن أسئلتهم في الشرع وتثقيفهم في مناسك الحج. وقد كان هذا المال سبباً في تدخل حاكم مكة الشريف حسن بن عجلان في تعيين إمام المالكية رغبة في الحصول على جزء منه حيث عين أثر وفاة الشيخ علي بن أحمد النويري الشيخ محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة[١] فلم يستمر سوى أربعة أشهر وأياماً حيث استخلص المنصب ابنا الشيخ أحمد بن عبد الرحمن من قبل القيادة في مصر[٢]. ومن هنا يبدأ الصراع حول منصب الإمامة المالكية في المسجد الحرام، حيث أنه بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن[٣] بن علي النويري عام ٨٠٦هـ، شارك أخاه ولي الدين أبو عبد الله في نصيبه من الإمامة مع أخيه أحمد شهاب الدين، واستمر حتى سنة ٨١٩هـ، حيث عُزلا، وولي الشيخ أبو البركات[٤] محمد بن أبي الخير محمد الفاسي، واستمر حوالي أربعة أشهر فأعيد الأخوان إلى سابق ولايتهما[٥]، وهذا يدل على تلاعب عدد من أصحاب النفوذ بأصحاب القرار في السلطة في مصر، هذا واستمرت الإمامة في أسرة النويري حتى عام ٨٤٢هـ حيث عزل الشيخ محمد بن أبي عبد الله محمد النويري، وابن عمه أبي الفضل

---

(١)الشيخ محمد بن محمد بن حسين بن علي بن ظهيرة المخزومي المكي الشافعي قاضي مكة كمال الدين أبو البركات ولد سنة ٧٦٥هـ وتوفي سنة ٨٢٠هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ٧٨.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٠٢، ٥٣٨.

(٣)هو عبد الرحمن بن علي بن أحمد النويري العقيلي المكي المالكي ولد في سنة ٧٧٣هـ بمكة، سمع من عدد من العلماء بمكة،أنابه في القضاء بمكة ابن عمه العز النويري وولي إمامة مقام المالكية بعد أبيه شريكاً لأخيه أحمد، مات بزبيد سنة ٨٠٦هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٩٤.

(٤)هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير محمد الحسني الأدريسي الفاسي المكي المالكي، ولد سنة ٧٩١ هـ بمكة ونشأ بها، حفظ عدة مختصرات في فنون العلوم واشتغل ، ولي إمامة المالكية بها مات معزولاً عنها سنة ٨٢٣هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ١٠٤.

(٥)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٧٥،جـ٣، صـ٦٣. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ١٧٧.

بن عبد الرحمن النويري، وعُين الشيخ عبد اللطيف[1] بن أبي السرور محمد بن عبد الرحمن الفاسي في ذي الحجة سنة ٨٤٢هـ ولم يصف له الأمر حتى عُزل، وأعيد سابقاه في التاسع من جمادى الأولى سنة ٨٤٣هـ[2]، وخلال تناوب هذه الأسرة وراثة منصب الإمامة، تطور الأمر حتى أصبح يُولى الطفل الصغير، ويُعين له نائب يشغل منصب الإمامة عنه حتى يكبر ويليه، وكأن الإمامة ورث شرعي، وذلك أنه في عام ٨٥٣هـ توفي الشيخ الإمام المالكي محمد[3] بن أبي عبد الله محمد بن علي النويري، فعُين ابنه محمد وهو ابن ثمان سنين، وعين له نائب يشغل المنصب حتى يكبر، وهو القاضي نور الدين[4] علي بن أبي اليمن النويري[5]، وهذا مما يدل على شدة التمسك بالمنصب ولعل الدافع الرئيسي ما يصل للإمام من هبات من الحجاج الذين على نفس المذهب مما جعلهم يتوارثونه كابراً عن كابر ويشتركون في توليته.

---

(١)هو الشيخ عبد اللطيف بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن محمد الحسني الفاسي المكي المالكي ولد سنة ٨٠٣هـ بمكة، سمع على عدد من العلماء، ولي إمامة المالكية بمكة أواخر سنة ٨٤٢هـ ثم صُرف مات بالمدينة المنورة سنة ٨٦٤هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٣٣٥.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ١٣١. وابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٩٠١.

(٣)هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي النويري المكي المالكي ولد بمكة ونشأ بها، وسمع من عدد من العلماء، أُنيب في القضاء والإمامة بمقام المالكية عن أبيه ثم استقل بمنصب الإمامة ثم عزل عنها ثم أعيد حتى مات سنة ٨٥٣هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ١٤٤.

(٤)هو علي بن محمد بن محمد بن علي النويري المكي المالكي، قاضي القضاة نور الدين ولد سنة ٨١٥هـ بمكة، حفظ القرآن وصلى به التراويح بالمسجد الحرام وحفظ عدد من كتب العلم وسمع من عدد من العلماء، أُنيب في القضاء بمكة بمرسوم من الأشرف برسباي سنة٨٤٠هـ، و أُنيب في نصف الإمامة بمقام المالكية بالمسجد الحرام عن أبي عبد الله محمد بن محمد النويري في سنة ٨٥٣هـ ثم ترك ذلك سنة٨٦٤هـ، ثم ولي قضاء مكة سنة ٨٦٨هـ، وولي تدريس الحديث بالمدرسة المنصورية بمكة درس وأفتى وكان عفيفاً في قضائه كثير العبادة، مات سنة ٨٨٢هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٠٨١.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٢، صـ٢٨٨.

إمامة مقام الأحناف[1]:

عندما قامت دولة المماليك كانت أسرة السجزي تتقلد منصب الإمامة في مقام الأحناف بالمسجد الحرام ويتوارثونه مثل الأسر السابقة في المذاهب الأخرى وكان الشيخ يوسف بن أبي بكر يحيى بن أبي الفتح بن عمر السجزي إمامًا لمقام الحنفية الذي ورث الإمامة عن أبيه فقد ورد أنه كان حياً سنة ٦٤٥هـ[2]، ولم يذكر تاريخ وفاته وربما امتد به العمر حتى قيام دولة المماليك، وقد تولى بعده ابنه علي بن يوسف الذي توفي بعد ٦٧٥ هـ[3]. وتستمر الأسرة في تقلد المنصب بالتوارث، ومن رجالها الذين تولوا المنصب: الحسن بن علي بن يوسف السجزي، وأخيه أحمد[4] بن علي بن يوسف[5] وقد حدث بين

---

(١)الأحناف نسبة للإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه الفقيه الكوفي. أدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم وهم: أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن وائلة بمكة، ولم يلق أحداً منهم ولا أخذ عنه، كان عالماً عاملاً زاهداً ورعاً تقياً، كثير الخشوع دائم التضرع أراد أبو جعفر المنصور أن يوليه القضاء فأبى. وقد كان بحراً في الفقه وقد كان إماماً في القياس، وقد كانت ولادته في سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٥٠هـ.

ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٤، صـ٥٧٦. وتقي الدين الداري، الطبقات السنية في تراجم الحنيفة، جـ١، صـ٧٥.

(٢)هو الشيخ يوسف بن أبي بكر يحيى بن أبي الفتح السجزي ويقال السجستاني المكي الحنفي جمال الدين بن الإمام نجيب الدين، إمام الحنفية بالمسجد الحرام، سمع من أبيه تاريخ مكة للأزرقي، وسمع من عدد من العلماء وحدث فهو من شيوخ الرضى الطبري، لم يُعلم متى مات، كان حياً سنة ٦٤٥هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ٢٥٠، ٢٧٠.

(٣)علي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح السجزي المكي يلقب بالتاج الحنفي، إمام الحنفية بالحرم الشريف سمع على ابن أبي الفضل المرسي وسمع من أبي نصر البغدادي أحاديث، لم يحدث، ولي إمامة الحنفية بالحرم الشريف حيث كان إماماً سنة ٦٥٩هـ، ولم يُعلم متى مات، فقد كان حياً سنة ٦٧٥هـ.

المصدر السابق، جـ٥، صـ٣٢٠.

(٤)أحمد بن علي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح بن علي الحسني السجزي إمام الحنفية بمكة المشرفة، ولد سنة ٦٦٣هـ وسمع من الشريف الغرافي تاريخ المدينة سمع منه جماعة منهم الحافظ الغرافي،ومات في رمضان سنة٧٧٢هـ.

تقي الدين التميمي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، جـ١، صـ٤١١.

(٥)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٧١، ٤٠١.

أئمة المقام الحنفي من التنافس ما جعلهم يقتسمون المنصب فقد شارك الشيخ علي بن الحسن بن علي بن يوسف السجزي، ابن أخيه أبا الفتح[1] بن يوسف في الإمامة واتفقا أن يصلي كل منهما يوماً ويصلي الآخر يوماً[2] ، وبوفاة الشيخ أبي الفتح عام ٧٧٣هـ ينتهي دور أسرة السجزي في إمامة المقام الحنفي، ولعل ذلك لعدم وجود وارث، حيث ذُكر أنه خاتمة أهل بيته[3]، وقد عُين بعده في الإمامة الشيخ عمر بن محمد بن أبي بكر الشيبيي سنة ٧٧٣هـ، واستمر حتى وفاته سنة ٧٧٩هـ[4]، وبوفاته تظهر أسرة جديدة تتوارث منصب الإمامة في المقام الحنفي وهي أسرة الخوارزمي نسبة إلى الشيخ محمد[5] بن محمود الخوارزمي حيث تولى الإمامة عام ٧٨٠هـ واستمر حتى تنازل لابنه أحمد قبل موته بأيام عام ٨١٣هـ[6] واستمر الشيخ أحمد حتى وفاته عام ٨٥٠هـ حيث ورّث المنصب لابنه محمد[7] الذي استمر حتى و فاته أيضاً عام ٨٥٧هـ[8]. وبوفاة محمد هذا

---

(١)أبو الفتح بن يوسف بن الحسن بن علي السجزي المكي الحنفي إمام مقام الحنفية بمكة، صحب الشيخ أحمد الأهدل اليمني وتزهد توفي سنة ٧٧٣هـ. ابن حجر، إنباء الغمر بأنباء العمر، جـ١، صـ٣٢.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٢٤٧، جـ٦، صـ٣٠٨.

(٣)المصدر السابق، جـ٦، صـ٣٠٨. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣١٦.

(٤)عمر بن محمد بن أبي بكر بن ناصر العبدري الشيبيي الحجبي المكي، يلقب بالسراج إمام الحنفية بمكة ولي ذلك بعد أبي الفتح الحنفي في سنة ٧٧٣هـ حتى مات سنة ٧٧٩هـ بخليص وحُمل إلى مكة، وكان قرأ على الشيخ أبي الفتح في العربية وعلى الشيخ ضياء الدين الهندي في الفقه، وسمع من الشيخ خليل، وكان مولده سنة ٧٤٩هـ. الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٥، صـ٣٧٠.

(٥)هو محمد بن محمود بن محمود بن محمد بن عمر الخوارزمي المكي الحنفي، يعرف بالمعيد لكونه كان معيداً بدرس يلبغاً، ولي إمامة مقام الحنفية بمكة بعد عمر بن محمد بن أبي بكر الشيبيي في سنة ٧٨٠هـ ثم تركها لولده قبل موته بأيام، كان جيد المعرفة بالنحو والصرف ومتعلقاتها ذا مشاركة حسنة في النحو والنظم، توفي سنة ٨١٣هـ. السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠، صـ٤٥.

(٦)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠، صـ٤٥. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ١٠٥.

(٧)المصدر السابق، جـ٢، صـ٢٠٧.

(٨)محمد بن أحمد بن محمود الخوارزمي المكي الحنفي إمام مقام الحنفية يعرف بان المعيد،ناب في الإمامة بمقام الحنفية عن والده مدة ثم استقل بها بعده في رمضان سنة٨٥٠هـ إلى أن مات في الحرم سنة٨٥٧هـ بعد مرضه مدة. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٧، صـ٩٧.

ينتهي توارث أسرة الخوارزمي لمنصب إمامة الأحناف بالمسجد الحرام والأرجح لعدم وجود وارث من الأسرة فتولى المنصب الشيخ محمد بن محمد البخاري حتى وفاته عام ٨٩٥هـ[١]، وقد كان أئمة المقام الحنفي كغيرهم من الأئمة يستنيبون عنهم في الإمامة من يرونه أهلا لها علماً وديانة، وغالباً كان نوابهم من أبنائهم والهدف الأغلب هو تعويدهم على الإمامة والإشراف عليهم وتقبل الناس لهم ومن نواب الأئمة من أبنائهم الشيخ محمد بن أحمد بن محمد الخوارزمي الذي كان ينيبه في الإمامة والده الشيخ أحمد ثم وليها بعد وفاته[٢]، والشيخ أحمد بن محمد بن محمود الخوارزمي المكي الحنفي فقد كان ينيبه في إمامة مقام الحنفية الشيخ محمد الخوارزمي والده[٣].

ومن الذين أُنيبوا عن أئمة المقام الحنفي من غير أبناء الأئمة نذكر منهم:

١ـ الشيخ محمد بن كمال بن علي الهندي الدهلوي الذي كان ينوب عن الشيخ محمد بن محمود الخوارزمي[٤].

---

(١)الشيخ محمد بن محمد بن محمد الخراساني البخاري الحنفي نزيل مكة، وإمام مقام الحنفية ولد سنة ٨١٨هـ ببخارى، ونشأ بها فحفظ القرآن وعدد من كتب العلم ورحل من بخارى لطلب العلم فزار مناطق عديدة ووصل لمكة سنة ٨٥٩هـ، وولي إمامة مقام الحنفية، وتدريس درس الخواجا العمداني، ومشيخة المدرسة الخلجية، توفي سنة ٨٩٥هـ بمكة ودفن بالمعلاة.

المصدر السابق، جـ٩، صـ٢٢٢.

(٢)المصدر السابق ، جـ٧، صـ٩٧.

(٣)المصدر السابق، جـ٢، صـ٢٠٧.

(٤)محمد بن كمال بن علي بن أبي بكر الهندي الدهلوي شمس الدين الحنفي، سمع على أم الحسن فاطمة بنت الحرازي، وكان أحد الطلبة بدرس يلبغا، كان يؤم بمقام الحنفية نيابة عن إمامة الشيخ شمس الدين محمد الخوارزمي ولازمه مدة وأخذ عنه علم العربية جاور بمكة سنين عديدة مات بها عام ٧٩٣هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٤٤.

٢ـــ الشيخ محمد بن محمد بن عمر الهندي الكابلي، الذي أنابه إمام مقام الحنفية الشيخ أبي الفتح الحنفي عنه في الإمامة[1].

وكان الإمام بمقام الأحناف يصله مرتب على إمامته من الدولة بمصر وهذا إذا كان التعيين يتم من قبلها إما إذا عُين إمام من قبل أمير مكة فلا يُرسل له مرتب مثل ما حدث للشيخ أبي الفتح السجزي فقد عُين من قبل أمير مكة ولم يكن يصله مرتب من الدولة. ولعل السبب الأرجح أن الشيخ أبا الفتح لم يسع في الحصول على مرتب وذلك لزهده حيث اشتهر من زهاد مكة المكرمة[2] وأن رغبته في الإمامة ومشاركة عمه التاج كان طلباً للأجر والمثوبة من الله.

إمامة المقام الحنبلي[3]:

عندما قامت دولة المماليك كان يتولى الإمامة الشيخ عثمان بن موسى بن عبد الله الآمدي الطائي[4] حيث تولى المنصب منذ عام ٦٢٤هـــ، واستمر يليها حتى وفاته عام

---

(١)محمد بن محمد بن عمر الهندي الكابلي الحنفي، جاور بمكة مدة حتى مات بها وسمع بها على الفخر التوزري، والقاضي عز الدين بن جماعة، كان يؤم بمقام الحنفية عن أبي الفتح الحنفي ، وكان يسكن برباط السدرة.

الفاسي، العقد الثمين ، جـــ٢، صـــ٣٧٨، ٣٨٠.

(٢) المصدر السابق، جـــ٦، صـــ٣٠٨.

(٣)الحنبلي نسبة للإمام الشيخ أحمد بن حنبل أبو عبد الله، وهو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني، أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة ١٦٤هـــ، طلب العلم على عدد من العلماء ومنهم إبراهيم بن سعد وهشيم بن بشير، وسفيان بن عيينة، وقد قيل إن عدد شيوخه الذين ذكرهم في كتاب المسند مئتان وثمانون ونيف وقد تنقل في بلاد العالم الإسلامي لطلب العلم. وقد كان عظيم الشأن رأساً في الحديث والفقه. وقد جُلد على القول في القرآن لعدم موافقته الدولة في العصر العباسي.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـــ١١، صـــ١٧٧.

(٤)هو الشيخ عثمان بن موسى بن عبد الله الطائي الأربلي الآمدي، الفقيه الزاهد، إمام حطيم الحنابلة الحرم الشريف تجاه الكعبة، كان شيخاً جليلاً وإماماً ورعاً، منعكفاً على العبادة والخير، أقام بمكة نحو خمسين سنة توفي سنة ٦٧٤هـــ بمكة.

ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، جـــ٤، صـــ٢٨٦.

٦٧٤هـ[١] وورّث الإمامة لابنه الشيخ محمد[٢] حيث تولاها منذ وفاة والده حتى توفاه الله عام ٧٣١هـ[٣]،ثم ورّث الإمامة لابنه محمد[٤] الذي استمر يليها حتى عام٧٥٩هـ[٥] حيث توفي. وبوفاته انقطعت وراثة منصب إمامة الحنابلة من أسرة الآمدي والأرجح لعدم وجود وارث، وحلت أسرة جديدة هي أسرة الفاسي نسبة للشيخ عبد اللطيف بن أبي المكارم أحمد بن أبي عبد الله محمد الحسني الفاسي الملقب بالسراج، وقد كان صهر الإمام السابق محمد بن محمد بن عثمان بن موسى الآمدي. فتولى الإمامة بعد وفاته عام ٧٥٩ هـ واستمر حتى وفاته ٧٧٢هـ[٦]، ويظهر هنا بعد وفاته نظام الوراثة حيث أن الشيخ عبد اللطيف ولد له ابن قبل وفاته بأيام قليلة سُمي عليّ[٧] فأصبح هذا الطفل يرث

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ١٨٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٠٤. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٥، صـ٣٤٣.

(٢)محمد بن عثمان بن موسى بن عبد الله الآمدي أبو الفضل جمال الدين الحنبلي ولد بمكة سنة ٦٥٩هـ وسمع من أبيه وجماعة وحدث سمع منه الأقشهري،وكان إمام الحنابلة بالمسجد الحرام واستقر بعد أبيه، وناب في الحكم عن قاضي مكة، مات في عشر جمادي الآخرة سنة ٧٣١هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٤، صـ٤٤.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٢٥٩. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٩٨. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٤، صـ٢٨.

(٤)هو محمد بن محمد بن عثمان بن موسى الآمدي ثم المكي الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله إمام مقام المالكية بمكة، ولي الإمامة بعد وفاة والده فباشر ذلك، وحسنت مباشرته واستمر بها نحو ٣٠ سنة، سمع الحديث من والده وغيره، توفي سنة ٧٥٩هـ.

العليمي، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، جـ٥، صـ١٠٨.

(٥)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٧٨. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٤، صـ١٢٣.

(٦)المصدر السابق، جـ٥، صـ١١٢. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٧٥.

(٧)هو علي بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني الفاسي المكي إمام مقام الحنابلة بمكة، ولد في شوال سنة ٧٧٢هـ قبل موت أبيه بيسير واستقر عوضه في الإمامة عمه الشريف أبو الفتح الفاسي سنين إلى أن تأهل فباشر حتى مات في زبيد سنة ٨٠٦هـ.

ابن حميد، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، جـ٢، صـ٧٤٥.

المنصب ولهذا تولى الإمامة عنه عمه الشريف أبي الفتح الفاسي حتى كبر الابن وتولى منصب أبيه وباشر الإمامة عام ٧٨٨هـ واستمر حتى توفي عام ٨٠٦هـ[١].

وهذا العمل لم يرد في السنة ولم يعمل به صحابة رسول الله ولا التابعين رضوان الله عليهم ولعل السبب الأرجح لهذا الأمر هو التنافس الأسري رغبة في العوائد المالية التي تعود على الأئمة من الحجاج والأمراء والأثرياء المتصدقين[٢].وبعد وفاة الشيخ علي بن عبد اللطيف الفاسي عام ٨٠٦هـ تولي منصب الإمامة ابن عمه سراج الدين عبد اللطيف بن أبي الفتح الذي كان على درجة كبيرة من العلم فعُين بجانب الإمامة قاضياً لمكة المكرمة ثم عُين قاضياً للحرمين حتى توفاه الله عام ٨٥٣هـ[٣].

وقد كان أئمة المقام الحنبلي يستنيبون عنهم في الإقامة من يرونه أهلاً لها علماً وتديناً ومن الذين أموا في مقام الحنابلة نيابة نذكر منهم:

الشيخ خليفة[٤] بن محمود الكيلاني، فقد أنابه في إمامة الحنابلة الشيخ الإمام محمد بن عثمان الآمدي والشيخ محمد بن أحمد بن سعيد المقدسي فقد أنابه الشيخ عبد اللطيف بن أبي الفتح الفاسي[٥].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٢٦٩. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣١٤، ٣٥٩. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٢٤٤.

(٢)وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٥٢، ٤٨١.

(٣)المصدر السابق، جـ٣، صـ٤٣٩. وابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٨٩٧.

(٤)هو خليفة بن محمود الكيلاني يلقب نجم الدين، إمام مقام الحنابلة نيابة عن الشيخ محمد بن عثمان الآمدي وابنه، وقد ساهم في إجراء عين بازان سنة ٧٢٦هـ. الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٤٤.

(٥)هو الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد المقدسي الحلبي الحنبلي نزيل مكة قاضي القضاة شمس الدين ولد سنة ٧٧١هـ. ناب في إمامة مقام الحنابلة بمكة وولي بها القضاء نحو سنة بعد موت قاضيها قاضي الحرمين السيد سراج الدين عبد اللطيف الفاسي، مات سنة ٨٥٥هـ. ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ١٧. العليمي، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، جـ٥، صـ٢٣٨.

تعيين الأئمة في المقامات الأربعة:

كان تعيين أحد الأئمة في أي مقام من المقامات المذكورة يتم من قبل السلطة في مصر ويُرسل بذلك مرسومٌ يُقرأ على رؤوس الأشهاد بالحرم الشريف[1] وكان يحدث أن يتدخل أمـــير مكة بتعيين بعض الأئمة فيأتي الأمر من مصر بإقرار ما تراه القيادة العليا في الإمامة[2].

وكان يُصرف لكل إمام مرتبٌ على قيامه بالإمامة من جهة الدولة في مصر بشرط أن يكون هذا الإمام معيناً من قبلها أما إذا اختار أمير مكة إماماً وعينه فليس له راتب من السلطة[3]، وقد يزهد الإمام في مرتب الإمامة ويرفضه مبتغياً المثوبة من الله مثل الشيخ محب الدين الطبري الذي ضرب المثل في زهد العلماء برفضه ما أراد أن يجعله له السطان قايتباي وهو مبلغ مائة دينار[4] وقد كان يصرف للأئمة الأربعة من بعض الأوقاف التي وقفت للحرمين ما خصص لهم منها مثل أوقاف السلطان الأشرف شعبان فقد خصص لكل إمام أربعمائة درهم في الشهر بالإضافة لمرتباهم السنوية[5].

هذا وقد كان يحصل الأئمة بالمسجد الحرام على أموال من قبل المتصدقين من الأمراء والسلاطين الذين يزورون مكة المكرمة على شكل هبات ومن ذلك ما فرقه ناظر الخاص أثناء زياته لمكة عام ٩١٣هـــ حيث شملت صدقاته الأئمة بالمسجد الحرام فنال كل

---

(١)الفاسي، العقد الثمين،جــ٢، صــ٣٧٥، ٣٣٩،جــ٣، صــ٦٤.وابن فهد، إتحاف الورى، جــ٤، صــ٧٢.

(٢)الفاسي ، العقد الثمين ، جــ٣، صــ٦٣. والسخاوي، الضوء اللامع، جــ٩، صــ٧٨.

(٣)الفاسي ، العقد الثمين ، جــ٦، صــ٣٠٨.

(٤)الطبري، الإرج المسبوك، صــ٢٨٠.

(٥)راشد القحطاني، أوقات السلطان الأشرف شعبان، من صــ ٩٩.

إمام مبلغاً من المال قدر بدينارين أشرفيين لكل إمام[1]، وما فرقة ابن السلطان قانصوه الغوري الأمير محمد عام ٩٢٠هـ حيث شمل بصدقاته الأئمة فكان لكل إمام ثلاثة دنانير أشرفية[2].

الخـــطابة:

الخطابة اسم مأخوذ من فعل خطب ومنه خطب الخاطب على المنبر خطابة وهو الكلام المنثور المسجع ومنه رجل خطيب حسن الخطبة[3].

وقد عرف العرب الخطابة منذ القدم واشتهر منهم خطباء في الجاهلية والإسلام ومنهم في الجاهلية قس بن ساعدة الأيادي[4] الذي سجلت كتب الأدب خطبه التي كان يلقيها في أندية العرب وأسواقهم وعندما جاء الإسلام بدأ النبي ﷺ يدعو قومه بخطبة إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام، فكان النبي ﷺ أجل الخطباء وأفصح البلغاء، ومما زاد من الاهتمام بالخطابة والخطباء أن أصبحت جزءاً من بعض العبادات في الإسلام مثل صلاة الجمعة والعيدين ويوم عرفة، ووسيلة للوعظ والإرشاد وحث الناس على التمسك بالشرع كان لابد أن يختار الخطيب من أفصح الناس لغة وأقرأهم للقرآن وأكثرهم تمسكاً بالشرع وأكثرهم معرفة بالأحكام، فكان يتم اختيار الخطباء على هذا المنوال حيث كان الخطيب عادة يؤم الناس في الصلاة بجانب أدائه الخطبة، ومن أشهر المساجد التي تحتاج إلى خطيب تتوفر فيه الصفات السابقة هو المسجد الحرام حيث يفد إلى المسجد الحرام من جميع أرجاء الأرض الحجاج والمعتمرون لأداء النسك والسؤال عما يشكل عليهم من العبادات، ولهذا نجد أن خطباء المسجد الحرام في العصر المملوكي كانوا على درجة كبيرة من العلم والمعرفة

---

(١) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٣١١.

(٢) المصدر السابق، جـ٢، صـ٦٦٧.

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، صـ٧٦.

(٤) قس بن ساعدة الأيادي، خطيب العرب قاطبة والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة كان يدين بالتوحيد، ويؤمن بالبعث ويدعو العرب إلى نبذ العكوف على الأوثان، ويرشدهم إلى عبادة الخالق، ويقال أنه أول من خطب على شرف، وأول من اتكأ على سيف أو عصا في الخطابة، وكان الناس يتحاكمون إليه، سمعه النبي ﷺ يخطب في عكاظ فأثنى عليه وعمر قس طويلاً، ومات قبيل البعثة.

السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، جـ٢، صـ١٩.

بالعلوم الدينية واللغوية حيث كانوا علماء ومحدثين وقُراء وفقهاء ومفسرين وقد كان سلاطين المماليك في الغالب يتحرون في اختيار الخطيب الصالح إذا حدث تنافس عليها ويسألون عنه العلماء في مصر[١] وقد كان سلاطين المماليك يرسلون لخطيب المسجد الحرام بمكة راتباً مقابل قيامة بالخطبة مع غيره من الموظفين الآخرين من مؤذنين وقضاة وغيرهم[٢] وبالإضافة إلى ما يتلقاه الخطيب من مرتب من الدولة كان يصل إليه أموال من بعض حكام العالم الإسلامي على شكل صلة[٣] كل عام، وكانت في الأغلب من قبل حكام اليمن من بني رسول ولكنها لم تكن ثابتة بشكل دائم حيث تخضع لرضى الحاكم عن الخطيب وموقف الأمير بمكة من الحاكم[٤] وكان الدافع لهذا هو ذكر اسم الحاكم في الخطبة بالدعاء له مما يسبغ على هذا الحاكم صفة الشرعية في حكمه وأن السلطة العليا في مصر راضية بتوليه قيادة الأمور في بلده ومع هذا كان يصلهم أيضاً بعض الأموال من كبار الحجاج من علية القوم في الدول الإسلامية، حيث يفرق بعض الأمراء والأميرات أموالاً أثناء حجهم ويخصصون لعلماء مكة وخطبائها ومؤذنيها مبالغ تفرق عليهم وذلك تقرباً لله عز وجل ورغبة في المثوبة. ومن ذلك ما فرق من صدقة السلطان غياث الدين سنة ٨٠٩ هـ[٥] حاكم كنباية إحدى أقاليم الهند حيث شملت صدقاته خطيب وعلماء المسجد الحرام ومن ذلك تفريق ناظر الخاص على علماء مكة وفقهائها عام ٩١٣هـ الهبات حيث أعطى خطيب المسجد الحرام محب الدين ستة دنانير أشرفية[٦]. وأعطى الأمير محمد بن قانصوة الغوري لخطيب مكة عام ٩٢٠هـ ثلاثين ديناراً[٧].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١٠٣.

(٢)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٨٥.

(٣)الصلة من وصله أي أعطاه مالاً، والصلة الجائزة والعطية.

ابن منظور، لسان العرب، جـ١٥، صـ٣١٨.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٥٢، ٤٨١، ٤٩١.

(٥)المصدر السابق، جـ٣، صـ٤٥٢، ٤٨١.

(٦)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٣١١.

(٧)المصدر السابق، جـ٣، صـ٦٦٧.

وقد كان الخطيب يخرج لإلقاء الخطبة في زي مميز هو شعار الدولة العباسية وهو عبارة عن لباس أسود من ثوب وعمامة(١) وطيلسان(٢) أسود، وهذه الكسوة التي يرتديها تأتي من قبل الدولة من مصر يُبعث بها للخطيب ويرتديها عادة إذا خرج للخطبة، وتحف به رايتان سوداوان يحملهما رجلان يسيران بجنبه، وتوضع بجوار المنبر، ويتقدمه من يفسح له الطريق ويسمى المقوم في يده أداة تسمى الفرقعة وهذا يدل على كثرة المصلين بالحرم الشريف وازدحامهم وهذه الأداة تحدث صوتاً إذا حركها في الهواء لكي يسمعها الناس فيفسحوا الطريق، ويمشي بجواره المؤذن حاملاً سيفاً يعطيه للخطيب عند صعوده المنبر(٣). والسيف من عادات العرب في الخطبة فقد كان العربي إذا خطب اتكأ على سيف أو عصا، وقد كان النبي ﷺ يتكئ على عصا عند خُطبه وقد تناقلها الخلفاء من بعده(٤). وكان الخطيب يخطب على منبر يوضع له عادة عند مقام إبراهيم الخليل وأحياناً يلصق بالكعبة بناء على أوامر السلطة بمصر(٥).

---

(١)العمامة من ألبسة الرأس المعروفة وهي اللباس الذي يلاث على الرأس تكويراً وقد تعددت أسماء العمائم وأنواعها، وألوانها تبعاً للشخص ومركزه وأهميته وهي تصنع من مواد نسيجية مختلفة مثل الخز والقصب والوشي والكتان.

د. صلاح حسين العبيدي، الملابس العربية والإسلامية في العصر العباسي الثاني، صـ١١٣. ل.أ: ماير، الملابس المملوكية، صـ٢٤.

(٢)الطيلسان لباس يوضع على الكتف والرأس و يجعل على الرأس فوق العمامة وشكله مربع ويغطى به أكثر الوجه ثم يدار منه من تحت الحنك إلى أن يحيط بالرقبة جميعاً ثم يلتقيان على الكتفين، ويتدلى طرفاه الآخران على الظهر ويعتبر من اللباس الخاص بالقضاة والفقهاء أكثر. وهو أقرب الأزياء شبيهاً بالطرحة.

المرجع السابق، صـ٢٦٩. والمرجع السابق، صـ٩٤.

(٣)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٧٧. العمري، مسالك الأبصار، صـ٧٢.

(٤)ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٧، صـ١٩٢.

(٥)المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٧، صـ١٥٨. وابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، صـ١١٧.

وقد كان خطيب مكة يأتمر بأمر أمير مكة من الأشراف الذي يأمره بالدعاء للسلطان أو الأمير الذي يميل إليه بالولاء أو الذي يرجو منه هباتاً مالية(١) وقد كان يقوم النزاع بين أفراد البيت الحاكم في مكة فيساعد أحد حكام العالم الإسلامي طرفاً ضد الآخر فإذا انتصر المعارض قطع الخطبة السابقة وخطب للحاكم الذي ساعده ونصره مما يجعل الصراع يستمر فترة طويلة بسبب إصرار الحاكم السابق الذي كان يُدعى له في الخطبة على إعادة سيطرته(٢).

وقد اهتم المماليك بأمر خطابة المسجد الحرام فكانوا يعينون الخطيب بإصدار مرسوم بذلك يصل إلى مكة المكرمة ويقرأ على رؤوس الأشهاد في الحرم الشريف، وكان الخطيب أحياناً يحصل على تزكية من عدد من علماء مكة ويكتب بهذا كتاباً برغبته في منصب الخطابة فيطلع عليه العلماء في مصر الذين يشيرون على أصحاب القرار بتعيينه، وإذا عزلوا خطيباً يصدر بحقه مرسوم أيضاً وبعضهم لا يُعزل بل يبقى في منصبه حتى يتوفاه الله (٣).

ومن خطباء المسجد الحرام في بداية العهد المملوكي عام ٦٤٨هـ العلامة الشيخ محمد بن يوسف الأزدي الشهير بابن مسدي، وقد كان يلي مع هذا المنصب منصب إمامة المقام الشريف، وقد كان على درجة كبيرة من العلم، فقد كان عالماً بالحديث وأديباً وشاعراً مجيداً، وقد استمر في خطابة المسجد الحرام حتى وفاته عام ٦٦٣هـ(٤). وقد حدث خلال العهد المملوكي نظام وراثة المنصب حيث يرث الابن المنصب بعد وفاة والده وهذا يدل على مدى الحرص على المنصب وجعله في أسرة واحدة حتى ينتهي أفرادها فينتقل إلى أسرة أخرى مقتدين في ذلك بالأئمة الذين توارثوا المنصب كابراً عن كابر وهذا الفعل ليس له سند من الشرع والسنة، وقد حدث هذا أولاً عام ٧٠٤هـ عندما تولى

---

(١)ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، جـ١، صـ١١١.

(٢)ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ٤٥. و احمد دحلان، أمراء البلد الحرام، صـ٤٥.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٢١، ٧٧. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٤٢٩.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٤٣٣. والحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون بمكة، صـ٤٣.

الخطيب عبد الله بن أحمد الطبري فعُين ابنه محمد بن عبد الله الملقب بالبهاء خطيباً بدلاً منه واستمر حتى مات عام ٧٣٣هـ[١] ليرث المنصب أخوه علي بن عبد الله الطبري الملقب بالتاج واستمر هو أيضاً حتى وفاته عام ٧٥٦هـ[٢]، ثم ولي الخطابة قريبهما القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الطبري ولعل السبب لعدم وجود وارث، واستمر الشيخ يلي الخطابة والقضاء معاً إلى عام ٧٥٩هـ حيث عُزل الشيخ بأمر من السلطة في مصر وهذا أول عزل لخطيب مكة من قبل السلطة في مصر ولعل الدافع لعزله حسد بعض أصحاب النفوذ لتولي الشيخ الخطابة والقضاء معاً[٣] ورفض قرار الدولة بعزل القاضي شهاب الدين من قبل أمير مكة الشريف عجلان ومنع الشيخ المعُين محمد بن عبد الله بن محمد الحموي من الخطبة مما أوغر عليه قلب السلطان وأدى إلى عزله ثم سجن في مصر فيما بعد، واستمر الشيخ الحموي ممنوعاً عن المنصب حتى عام ٧٦٠هـ حيث باشر الخطابة لعزل أمير مكة واستمر عاماً واحداً ٧٦١هـ[٤] حيث عزل من قبل السلطة في مصر، وعين الشيخ تقي الدين أبو اليمن الحرازي وقد كان قاضياً بمكة فأضيفت له الخطابة واستمر بها حوالي عامين حيث عُزل عام ٧٦٣هـ[٥] وعين الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز القاسم العقيلي النويري المكنى بأبي الفضل النويري، حيث عين قاضياً وخطيباً للمسجد الحرام، وأضيفت له أيضاً النظر في مصالح الحرم وحسبة مكة، وقد كان من أفضل علماء مكة، حيث كان يمارس التدريس والإفتاء مع عمله مما يدل على سعة علمه[٦].

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٩٦. وابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، جـ٢، صـ٤٢٦.

(٢)الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٥، صـ٢٦٣.

(٣)المصدر السابق، جـ٣، صـ١٠٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٦٨.

(٤)الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٢، صـ ٣، ٢٢٦، جـ٣، صـ٥٦. وابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ١٨٢. وابن حجر، ابناء الغمر، جـ٢، صـ٢٢٧، جـ٣، صـ٢٩٥.

(٥)الفاسي ، العقد الثمين ،جـ٢، صـ٧٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٨٦. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢٠٥.

(٦)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٩. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، صـ١٩٨.

وقد وضع هذا الشيخ أساساً لأسرة آل النويري في تولي منصب الخطابة واحتكاره في المسجد الحرام طيلة العهد المملوكي بالتوارث، وقد نافستها أسرة بن ظهيرة منافسة شديدة على هذا المنصب، حتى وصل الأمر بالخطيب المعزول من الخطابة أن يسافر إلى مصر لكي يقنع السلطة، ويصدر أمراً بتعيينه من جديد(١)، وقد وصل حد التنافس أن بعض الخطباء كان يعين في الخطابة مرات عديدة وهذا يدل على تلاعب أصحاب النفوذ في الدولة في التعيينات مثل ما حدث بين الشيخ عز الدين محمد بن أحمد بن محمد النويري، والشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة، وقد كانت بعض فترات تولي الشيخين لا تتجاوز بضعة أشهر(٢) وقد حاولت الدولة القضاء على هذا التنافس بتقسيم منصب الخطابة بين البيتين عندما أشرك الشيخ محمد جلال الدين(٣) بن ظهيرة مع الشيخ محمد بن أحمد النويري كمال الدين سنة ٨٢٤هـ فلم يحصل اتفاق بينهما مما جعل الدولة تقرر كمال الدين لوحده واستمر التنافس(٤).

---

(١)الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٣، صـ٣٢.

(٢)ابن حجر، انباء الغمر، جـ٧، صـ٢٨٨.

ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ١٤٧.

(٣)هو محمد بن أبي البركات محمد بن أبي السعود محمد بن الحسين بن علي بن ظهيرة المخزومي الشافعي قاضي مكة المكرمة جلال الدين أبو العادات، ولد سنة ٧٩٥هـ، سمع على عدد من العلماء، درس في الحرم، وأفتى، وولي خطابة المسجد الحرام، ثم ولي قضاء مكة سبع وعشرين سنة مات سنة ٧٦١هـ.

السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، صـ١٦٧.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٨١. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ٢١٤.

هذا مع ما كان يتمتع به هؤلاء الشيوخ من مكانة علمية رفيعة ولعل السبب الأرجح في هذا التنافس الرغبة فيما يحصل للخطيب من أموال وهبات من ملوك وأمراء وأوقاف وحجاج العالم الإسلامي مع الرغبة في الشهرة والمكانة الاجتماعية والنفوذ[1].

وقد كان الخطيب في الحرم الشريف ينيب عنه من يقوم بالخطابة بدلاً عنه ممن يرى فيه المقدرة اللغوية والعلمية، وكان أغلب النواب من أبناء الخطباء أو إخوانهم وربما يعدونهم لتولي هذا المنصب بعد وفاتهم[2]. وقد حدث التنافس على المنصب بين الورثة في أسرة النويري حيث أصبح المنصب يليه أكثر من واحد، وذلك عندما نافس الشيخ محمد[3] بن محمد بن علي النويري قريبه أبا القاسم محمد بن محمد بن أحمد[4] النويري فحصل على نصف الخطابة سنة ٨٢٣هـ ودخل معهما المنافسة لأسرة آل ظهيرة فصاروا يُعزلان سوياً ويُعينان سوياً[5].

---

(١)الفاسي ، العقد الثمين ،جـ٢، صـ٢٠.

(٢)المصدر السابق، جـ٢، صـ٨١، جـ٣، صـ٣٢. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٩١. وابن حجر، انباء الغمر، جـ٧، صـ٢٨٨.

(٣)الشيخ محمد بن محمد بن علي النويري أمين الدين أبو اليمن النويري الشافعي قاضي مكة وخطيبها، ولد سنة ٧٩٣هـ، واعتنى به أخوة لأمه التقي الفاسي فأسمعه على جماعة، مات سنة ٨٥٣هـ.

السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، صـ١٦٦. وابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٣٢٥.

(٤)الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن محمد النويري، الخطيب شرف الدين أبو القاسم ولد سنة ٨١٢هـ بمكة المشرفة، سمع على عدد من العلماء، ولي خطابة المسجد الحرام بعد موت والده سنة ٨٢٧هـ وناب عنه فيها القاضي أبو اليمن محمد بن محمد بن علي إلى أن تأهل سنة ٨٣٢هـ فباشر بنفسه، كان متواضعاً متودداً كثير التلاوة، مات سنة ٨٧٥هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٢٨٧.

(٥)المصدر السابق، جـ١، صـ٣٢٥.

ومن الذين تولى المنصب بالشراكة الخطيبان أبو القاسم محمد بن محمد بن أحمد النويري، وأخوه أبو الفضل[١] محمد بن محمد بن أحمد النويري. والخطيبان القاضي برهان الدين إبراهيم[٢] بن علي بن ظهيرة، وأخوه فخر الدين أبو بكر[٣] بن ظهيرة.

---

(١)هو محمد بن محمد بن أحمد بن محمد العقيلي النويري تاج الدين أبو الفضل الخطيب ولي الخطابة بمكة المشرفة ويدعى ابن الشهيد الناطق نسبة لجده عبد الرحمن، مات بالطاعون في رمضان سنة ٨٧٣هـ. وهو من بيت علم ورئاسة وعراقة وشهامة.

السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، صـ١٦١.

(٢)هو الشيخ إبراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن ظهيرة القرشي المخزومي المكي برهان الدين ولد سنة ٨٢٥ هـ وأخذ العلم عن عمه القاضي أبي السعادات، ولازم الشيخ أبي بكر السيوطي فأخذ عنه الفقه والأصول العربية والمعاني والبيان، ولي قضاء مكة نحو ثلاثين سنة مات سنة ٨٩١هـ.

المصدر السابق، صـ١٧.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٤٥٢. وابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٢٩١. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ٣٠. والصيرفي، انباء الهصر بأخبار العصر، صـ١٠١.

المبحث الثاني: القضاء:

تعددت تعاريف العلماء للقضاء ولكن يكون التعريف الأقرب للشمولية أنه النظر في القضايا وإثباها أو نفيها لإظهار أحكامها على مقتضياها [1]، والقاضي معناه في اللغة القاطع للأمور المُحكم لها، واستُقض فلان أي جُعل قاضياً يحكم بين الناس[2].

وقد عرفت البشرية القضاء منذ الأزل، وكان العرب في الجاهلية يتقاضون لدى أصحاب الرأي والزعماء، والسادة، وعندما جاء الإسلام وضع نظاماً قضائياً محدداً وفق الشريعة الإسلامية السمحة يستمد قواعده من كتاب الله وسنة نبيه، واستمر هذا الاتجاه طوال العهود الإسلامية، وذلك التزاما بالنص القرآني بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [3].

وعندما ظهرت المذاهب الفقهية السنية أخذت الدولة الإسلامية في مصر والحجاز بالحكم في القضاء على كتاب الله وسنة نبيه وفق المذهب الشافعي منذ عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي[4]، واستمر الوضع في دولة المماليك التي عقبت الدولة الأيوبية على البلاد[5].

---

(١) عبد الرحمن الحميضي ، القضاء ونظامه في الكتاب والسنة ، صـ٤٠.

(٢)ابن منظور، لسان العرب، جـ١١، صـ٢٠٩.

(٣)سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٤)صلاح الدين الأيوبي، أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي، صاحب الديار الشامية والمصرية والفراتية واليمنية، ولد سنة ٥٣٢هـ بقلعة تكريت، انتقل إلى مصر مع عمه أسد الدين شيركوه، وكان مقدم عسكر عمه في الحملة وبعد وفاة عمه أسد الدين تقلد صلاح الدين وزارة الحكومة الفاطمية في مصر ثم بعد وفاة عمه أسد الدين سنة ٥٦٤هـ وبعد وفاة الخليفة العاضد الفاطمي حكم صلاح الدين مصر سنة ٥٦٧هـ باسم سيده نور الدين زنكي وبعد وفاة نور الدين زنكي انفرد صلاح الدين بحكم مصر وضم أملاك نور الدين في الشام ثم ضم اليمن، وانتصر على الصليبيين في معركة حطين المشهورة سنة ٥٨٣هـ وتوفي عام ٥٨٩هـ بدمشق وبها دفن.
ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٧، صـ١٣٩.

(٥)حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، جـ٤، صـ٣٧٩.

وقد كان القضاء في مكة المكرمة يتبع نظام القضاء في مصر بحكم التبعية السياسية للبلاد.

وعندما قامت الدولة المملوكية عام ٦٤٨هـ كان يتولى القضاء في مكة المكرمة القاضي عمران بن ثابت الفهري واستمر في منصب القضاء حتى وفاته عام ٦٧٣هـ[١] حيث تولى منصب القضاء الشيخ الجمال محمد بن المحب أحمد بن عبد الله الطبري الشافعي المذهب[٢]. مما يدل على رسوخ المذهب الشافعي في منصب القضاء في مكة المكرمة وفقاً لما هو معمول به في مصر، وفي عام ٦٦٣هـ في عهد السلطان بيبرس عينت الدولة في مصر لكل مذهب من المذاهب الأربعة قاضياً يحكم بمذهبه فيما يأتيه من قضايا، وذلك بإشارة من بعض المقربين لدى السلطان[٣]، وبحكم أن الحجاز يتبع دولة المماليك فكان لابد أن يتأثر بما حصل في مصر مع أن غالبية سكان الحجاز على المذهب الشافعي فقد حدث أن استحدث في مكة المكرمة قضاة للمذاهب الأخرى الثلاثة ولكن في فترات متفاوتة. فقد ذكر أن استحداث قاضٍ للمالكية في مكة المكرمة كان عام ٨٠٧هـ حيث عين الشيخ تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي فكان أول قاضٍ للمالكية بمكة[٤]،

---

(١)عمران بن ثابت بن خالد بن سليمان بن عمر القرشي الفهري، القاضي بهاء الدين أبو محمد المكي، سمع من عدد من العلماء، وحدث بالحرم، وسمع منه عدد من طلبة العلم ولي قضاء مكة نحو ٢٧سنة، تولى في شوال سنة ٦٤٥هـ واستمر إلى وفاته في مصر سنة ٦٧٣هـ، وقد سلك في قضائه مسلك السلف الصالح في الصبر والتغاضي ومقابلة السيئ بالإحسان، والامتناع من قبول الهدية.

ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٠٤. وابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، جـ١، صـ٥٠٧.

(٢)هو القاضي جمال الدين الطبري قاضي مكة محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري، روى عن ابن الجميري، وكان متقناً للعربية، أصابه فالج ومات سنة ٦٩٥هـ، روى عنه ابن العطاء، وأجاز للشيخ شمس الدين مروياته وهو والد القاضي نجم الدين الطبري.

الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ٢، صـ١٠٠.

(٣)ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، صـ٢٤٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، صـ١٢١. والعصامي، سمط النجوم العوالي، جـ٤، صـ١٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، صـ٣٢١.

(٤)ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، صـ٧١٥. وابن حجر، إنباء الغمر، جـ٨، صـ١٨٧.

كما استحدث في نفس السنة قاضٍ للأحناف حيث عين الشيخ شهاب الدين أحمد[1] بن الضياء محمد بن محمد بن سعيد الهندي[2]. أما بالنسبة للمذهب الحنبلي فكان أول قاضٍ لاتباعه في مكة المكرمة هو الشيخ عبد اللطيف بن محمد بن أحمد بن محمد الحسني الفاسي، حيث عين عام ٨٠٩هـ[3].

تولية القاضي:

كان يتم تعيين القضاة في مكة المكرمة من قبل السلطة العليا في مصر بعد سؤال كبار العلماء في مصر عن توليته فيشيرون بمن يرونه أهلاً للقضاء[4].

وقد كان أحياناً يُستدعى من يُراد تقليده لمنصب القضاء إلى مصر ويتم تعيينه من قبل السلطان مباشرة ففي عام ٨٣٠هـ عين في مصر الشيخ جمال الدين محمد بن علي الشيبي لقضاء مكة المكرمة، وقُلد أبا البركات بن الزين قاضياً للمالكية وكان ذلك بعد استدعائهم إلى مصر فقلدهم الملك الأشرف برسباي[5] سنة ٨٣٠هـ وهذا يدل على مكانة القاضي لدى الدولة وخصوصاً قضاة مكة المكرمة.

وكان يتم أيضاً أن يرغب حاكم مكة في تولية شخص القضاء بعد فراغ المنصب فيرسل إلى مصر بعد كتابة محضر يبين فيه أهلية الشخص المراد تعيينه لهذا المنصب[6] ومن

---

(١)هو: أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد الصغاني شهاب الدين الحنفي قاضي مكة المعروف بابن الضياء مولده بالمدينة سنة ٧٤٩هـ ، توفي سنة ٨٢٥هـ.

ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، جـ١، صـ٨٥.

(٢)ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، صـ٧١٥. وابن حجر، إنباء الغمر، جـ٥، صـ٢٢١.

(٣)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٣٣٣. والسخاوي، التبر السبوك، صـ٢٨١.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١٠٤.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٦٣٩.

(٦)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٥٥٢. وعبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٦١٧.

ذلك إرسال السيد محمد بن بركات إلى مصر بطلب تعيين القاضي جمال الدين[1] بن أبي السعود بعد وفاة والده برهان الدين بن ظهيرة عام ٨٩١هـ[2].

وقد كان يُرسل بتعيين القاضي مرسوم يُقرأ على رؤوس الأشهاد بالمسجد الحرام غالباً يحضره علية القوم وأمير مكة ويلبس بعد قراءة البيان خلعة تفد من مصر شعاراً بتوليته القضاء[3]، وكانت عبارة عن جبتان صوف إحداهما خضراء داخلية والخارجية بيضاء، وطرحة[4] [5].

وفي بعض الأحوال يتم تعيين القاضي من قبل بعض الأمراء الذين يوكل لهم السلطان تولية من يراه أهلاً للقضاء ويكون ذلك بمكة، وهذا يكون في الأرجح إذا حدث تنافس كبير على المنصب، ومن هذا ما قام به أمير الحاج المصري طولون[6] الناصري

---

(١)هو محمد بن إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي جمال الدين أبو السعود بن قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة ولد سنة ٨٥٩هـ بمكة ونشأ بها وحفظ القرآن وعدة كتب لعلوم شتى ، ألقاه السيد بركات في البحر لموالاته جازان أخو السيد بركات عام ٩٠٧هـ.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٨٠.والشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، جـ٢، صـ٨٠. والحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون، صـ١٦٩.

(٢)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٥٥٢.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٢١.

(٤)المصدر السابق، جـ٤، صـ٦٠٢. والعُمري، مسالك الأبصار، صـ٧٢.

(٥)الطرحة:وشاح يلبس فوق العمامة ويلف حول الرقبة ويسترسل على الكتفين.ك،م.فاير،الملابس المملوكية،صـ١٠٧.

(٦)طولون بن عبد الله بن علي باشاه الظاهري برقوق تولى مدينة غزة ثم مدينة الأسكندرية ثم أصبح من كبار أمراء الدولة بمصر ثم نُقِل إلى صفد إلى أن قُتل في واقعة كانت بين جانم نائب حلب وبين شيخ المحمودي سنة ٨٠٨هـ. ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، جـ١، صـ٣٧٤.

عندما عزل القاضي عز الدين النويري[1] وولي القضاء للقاضي جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة وذلك عام ٨٠٦هـ[2].

مهام القاضي:

بالإضافة إلى منصب القضاء كان يوكل للقاضي مناصب أخرى يكلف بها مثل خطابة المسجد الحرام ونظر الأوقاف والحسبة بمكة المكرمة و لم تكن هذه المناصب مرتبطة دائماً بمنصب القضاء فأحياناً يُعين في كل منصب موظفٌ مختصٌ[3].

ومن الذين تولوا هذه المناصب مجتمعة القاضي جلال الدين أبو السعادات وذلك عام ٨٣٠هـ[4]، والقاضي شهاب الدين أحمد بن ظهيرة[5]، والقاضي أبو الفضل محمد بن أحمد النويري [6]،والقاضي محب الدين أحمد بن أبي الفضل محمد بن أحمد النويري[7] [8]، والقاضي جمال الدين بن ظهيرة[9].

(١)هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز القرشي القعيلي كمال الدين النويري المكي الشافعي ولد سنة ٧٧٥هـ بطيبة ونشأ بها، سمع من عدد من العلماء، وتفقه مدة طويلة بالقاضي جمال الدين بن ظهيرة، ناب لأبيه في الخطابة، ناب في الحكم سنة ٧٩٧هـ وبعد وفاة والده ولاه السلطان قضاء مكة وخطابتها، عزل في موسم سنة ٨٠٦هـ بالتحامل عليه وبأمر أمير الحج المصري طولون ثم أعيد سنة ٨٠٧هـ وتوفي سنة ٨٢٠هـ بمكة.
ابن حجر، انباء الغمر، جـ٧، صـ٢٨٨.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٤٣٧.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥٦.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٦٣٨.

(٥)المصدر السابق، جـ٣، صـ٣٥٨. والفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٣٢.

(٦)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣٤٥.

(٧)هو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري الشافعي قاضي مكة بن أبي الفضل محب الدين ولد سنة ٧٥١هـ واسمعه أبوه على عدد من العلماء، وتفقه بأبيه، وغيره وناب عن أبيه وولي قضاء المدينة في حياته ثم تحول إلى قضاء مكة سنة ٧٨٧هـ ومات بمكة، كان عارفاً بالأحكام، توفي سنة ٧٩٩هـ.

ابن العماد الحنبلي،شذرات الذهب، جـ٦، صـ٣٥٧.وابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي،جـ١، صـ٧٤.

(٨)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٧٩.

(٩)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٤٨.

وقد قاموا بأداء أعمالهم المناطة بهم بكل كفاءة واقتدار مما يدل على سعة علمهم وقوة شخصياتهم الإدارية.

ومع أعمال القضاء التي كان يقوم بها من الفصل في المنازعات بشتى أنواعها كان يوكل للقاضي تأجير الأربطة التي بمكة، وهذا يدل على أن القاضي كان مؤتمناً على بيت مال المسلمين، فقد أجر القاضي أبو السعادات بن ظهيرة رباط رامشت عام ٨٥٤هـ[1]. واستأجر الشريف حسن بن عجلان وقفاً للمستنصر العباسي بالقرب من المسجد الحرام عام ٨١٦هـ من القاضي الشافعي جمال الدين[2].

ومن أعمال القاضي أيضاً الحكم بتحديد يوم الوقوف بعرفة لحجاج بيت الله الحرام، ودخول شهر رمضان، وهذا الحكم يصدر من القاضي الشافعي بمكة بعد رؤيته لهلال شهر ذي الحجة[3] وقد يحدث خلاف بين القضاة في تحديد المواسم الدينية إذا تناقض الشهود في رؤية الهلال فيصوم أتباع أحد القضاة بحكم قاضي مذهبهم بينما يفطر الآخرون، ومن ذلك ما وقع من خلاف عام ٩١٧هـ بين المالكية والشافعية في رؤية هلال شعبان[4]. كما يحدث خلاف أحياناً في رؤية هلال ذي الحجة فيقف المسلمون يومين بعرفة وقد حدث ذلك مراراً منها عام ٨٨٢هـ[5].

ومن أعمال القاضي التي كان يقوم بها تتبع أموال الأوقاف التي وقفت على أعمال البر بمكة في مكة والبلاد الأخرى مثل الهند، ومصر وإيران وأموال التجار الذين يموتون خارج مكة وهم من أهلها، ومن ذلك توكيل القاضي برهان الدين بن ظهيرة الشيخ

---

(١)النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، صـ٢٣٨.

(٢)د.ناجي معروف، المدارس الشرابية، صـ٣٤٥.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٣٣، جـ٤، صـ٢٤٧.

(٤)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٥١٢.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٦٢٣.

أحمد[١] بن عطية بن ظهيرة في قبض أموال الأوقاف التي بالهند لأعمال البر بمكة، ووكل علي[٢] بن أحمد بن حسن البصري في قبض مال ابن الحموي بهرمز[٣][٤].

ومن أعمال القاضي أيضاً تولية مشيخات الأربطة لمن يرونه أهلاً لذلك فقد ولى القاضي برهان الدين بن ظهيرة السيد عبد الله بن عبد الواحد بن محمد الشيرازي البصري[٥] مشيخة رباطي الشريفين حسن وبركات[٦]، ومن ذلك تعيين القاضي الشافعي لأبي زرعة بن نور الدين علي المنوفي المصري شيخاً لرباط ربيع عام ٩١٦هـ[٧].

ومن مهام القاضي أيضًا حفظ أموال الأيتام الذين ليس لهم أولياء حتى يبلغوا سن الرشد، والبحث عنها واستخلاصها[٨].

---

(١)أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي المكي الحنبلي ولد سنة ٨٥٥هـ، أجاز له عدد من العلماء دخل القاهرة والهند وحصل له من ملوكها مال وكله خاله القاضي برهان الدين بن ظهيرة في قبض ما هنالك من أوقاف، وكان عنده حشمة وإقدام توفي سنة ٨٨٥هـ بمكة.

ابن فهد الدر الكمين، جـ٢، صـ٩٥٧.

(٢)هو علي بن أحمد بن حسن البصري المشهدي نزيل مكة الشهير بالمغيربي التاجر نور الدين كان تاجراً يسافر للهند وكله القاضي الشافعي برهان الدين بن ظهيرة في قبض مال ابن الحموي بهرمز، دخل مصر وغيرها مات سنة ٨٧٨هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٩٨١.

(٣)هرمز مدينة على ضفة البحر على برفارس إليها تفد السفن وبها حركة تجارية مع بلاد فارس والهند.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٨، صـ٤٧٦.

(٤)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٧٥٩، ٩٨١.

(٥)هو عبد الله بن عبد الواحد بن محمد الشيرازي البصري الشافعي نزيل مكة ولد سنة ٨١٩هـ بالبصرة نزل مكة واستقر في مشيخة رباطي الشريفين حسن وبركات توفي سنة ٨٩٣هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٣٠.

(٦)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٩١٧.

(٧)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤٤٨.

(٨)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٥١.

ومن مهام القاضي التي كان يقوم بها توزيع أموال الصدقات التي يقدمها الموسرون من الأمراء والسلاطين والتجار، ويأتمنون عليها قاضي مكة في تفريقها على من يراه أهلاً لأخذها، وذلك لثقتهم في أمانة القاضي ونزاهته، ومن ذلك توزيع نجم الدين[1] الطبري قاضي مكة للصدقة التي تبرع بها كريم الدين[2] الكبير وكيل الناصر محمد بن قلاوون فقد فرق مبلغًا كبيراً بلغ ٣٠٠ ألف درهم[3].

وفرق القاضي الشافعي صلاح الدين[4] بن ظهيرة صدقة تبرع بها السيد بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بلغت ٣٦٢ ديناراً وذلك عام ٩١٤هـ[5].

ومن أعمال القاضي أيضاً عقد القران بين المتزوجين وقد كان القاضي يذهب لعقد القران في مترل أصحاب الزواج أحيانًا، وأحياناً يُقام العقد في المسجد الحرام بحضور القضاة والفقهاء والعلماء، وكان القاضي يحصل على مكافأة نظير قيامه بعقد القران على حسب حال أصحاب الزواج[6].

---

(١)هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري نجم الدين أبو علي ولي قضاء مكة بعد والده سنة ٦٩٤هـ فحمدت سيرته واستمر إلى أن مات سنة ٧٣٠هـ، وكانت ولايته من قبل الشريف محمد بن أبي نمي، سمع من عدد من العلماء، وبرع في الفقه وانتهت إليه رئاسة الفتوى بمكة.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٤، صـ١٠١. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٩٤.

(٢)هو عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري القاضي كريم الدين الكبير أبو الفضائل وكيل السلطان ومدبر الدولة الناصرية أسلم كهلاً أيام بيبرس الجاشنكير تقدم عند الناصر وأحبه حتى صار خزائنه كلها في تسلمه، قتل سنة ٧٢٢هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان السنة الثامنة، جـ٢، صـ٤٠١.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٢٤٣. وابن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٢٧٢.

(٤)هو قاضي القضاة صلاح الدين محمد بن أبي السعود بن إبراهيم الشيخ الإمام قاضي مكة المكي الشافعي، سجنه السلطان الغوري بمصر من غير جرم طمعاً في مال يأخذه منه وأفرج عنه السلطان سليم العثماني بعد أن أسقط دولة المماليك توفي سنة ٩٢٦هـ.

ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٨، صـ١٤٨.

(٥)ابن فهد، غاية المرام، جـ٣، صـ٢١٠.

(٦)المصدر السابق، جـ٣، صـ٢١٤. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٤٢٨. وعبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٨١، ٣٠٣.

ومن الأعمال التي يقوم بها القاضي بمكة الإشراف على الأعمال الإصلاحية الكبيرة التي تهم الناس، ومنها مشاريع توصيل مياه العيون لمكة المكرمة، حيث يحضر علية القوم والقضاة الأربعة بحيث يرون ما هو ممكن فيُكتب به محضر يُرسل به للسلطان في مصر ولعل الدافع أن القضاة على درجة كبيرة من النزاهة والاهتمام بمصالح المسلمين فرغبة الدولة في أخذ مشورتهم وإشهادهم على أعمالها، ومن ذلك مشاركة القضاة الأربعة[1] عام ٩١٦هـ للكشف عن عيون الماء التي يمكن أن تزود مكة بحاجتها من الماء[2].

وبالإضافة إلى ما سبق من أعمال كان يقوم بها القاضي كان القاضي على قدر كبير من العلم والمعرفة والصلاح حيث كان يمارس بجانب عمله التدريس بالحرم الشريف والإفتاء لمن يسأل عن أحكام الدين.

نواب القاضي:

كان لقضاة مكة المكــرمة في العصر المملوكي نواباً ينوبون عنهم في القيام بالأعمال التي يقوم بها القاضي وذلك أثناء انشغال القاضي عن القيام بعمله لسفر أو مرض أو نحوه، وكان اختيار النائب يتم من قبل القاضي نفسه حيث يستنيب من يراه أهلاً للحكم وكان الكثير من النواب تربطهم بالقاضي علاقة حيث يكون ابنه أو أحد قرابته[3] بحيث يكون القاضي أعلم بمقدرة قريبة العلمية والعملية من شخص آخر، وأحياناً يستنيب القاضي من يراه أهلاً لمكانته العلمية من غير أقاربه ومن أمثلة ذلك:

---

(١)هم: عبد الغني بن أبي بكر المرشدي، قاضي الحنفية، وصلاح الدين بن ظهيرة قاضي الشافعية، ومحي الدين عبد القادر بن نجم الدين بن ظهيرة قاضي الحنابلة، والنجمي بن يعقوب قاضي المالكية.

عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤٢٤، ٤٥٧.

(٢)المصدر السابق، جـ١، صـ٤٥٧.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٨٠، جـ٣، صـ١٠٧.

الشيخ محمد بن أحمد بن الضياء[1] محمد بن محمد بن سعيد حيث أنبه والده عنه في قضاء مكة ثم عن أخيه أبي البقاء[2]، والشيخ محمد بن أحمد بن إبراهيم الطبري فقد أنابه القاضي تقي الدين الحرازي عنه[3]، وفي العقود عن القاضي شهاب الدين الطبري والقاضي أبي الفضل النويري[4] والقاضي شهاب الدين أحمد بن ظهيرة أنابه والده قاضي القضاة[5] برهان الدين بن ظهيرة عنه عام ٩١٥هـ وقد كانت نيابة القاضي يحصل لها مرسوم من قبل السلطة في مصر وكان بعض العلماء يسعى في تولي نيابة القاضي مثل الشيخ أبو المكارم[6] بن أبي البركات بن ظهيرة الذي سعى في الحصول على نيابة القاضي جمال الدين بن ظهيرة[7].

وبالإضافة لنواب القضاة بمكة، كان لقضاة مكة نواباً في الأقاليم التي تتبع مكة المكرمة إدارياً مثل الطائف وجدة وبعض القرى التي بها تجمعات سكانية، وكانت مهمة

---

(١) هو محمد بن أحمد بن الضياء محمد بن محمد بن سعيد القرشي العدوي العربي المكي الشهير بابن الضياء، ولد سنة ٧٨١هـ، سمع على عدد من العلماء واشتغل في الفقه وصار له فيه فهم نزل له والده عن وظيفة تدريس يلبغا وعن مشيخة رباط السدرة، كان خيراً توفي عام ٨٣٠هـ.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥٢.

(٢) المصدر السابق، جـ١، صـ٥٢.

(٣) هو القاضي تقي الدين أبو اليمن محمد بن أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن العمري الشافعي الحرازي ولد بمكة سنة ٧٠٦هـ كان فاضلاً من الفضلاء، وصار إليه أمر الفتيا والتدريس بمكة، ثم تولى القضاء في سنة ٧٦٠هـ ثم أضيف إليه الخطابة فباشرها نحو سنتين ثم عزل فلزم بيته حتى مات سنة ٧٦٥هـ.

ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢٠٥. ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، صـ٢١١.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٧.

(٥)ابن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤٢٠.

(٦) هو محمد الجمال أبو المكارم بن ظهيرة، ولد سنة ٧٨٩هـ بمكة ونشأ بها فحفظ القرآن وكتباً علمية أخرى، حضر دروس الجمال بن ظهيرة ودخل مصر فأقام بها مدة ثم رجع إلى مكة ومات بمصر سنة ٨١٩هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ٢١٦.

(٧) الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٨٧. ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٦٩.

هؤلاء القضاة الفصل في المنازعات بين الناس وإقامة الشعائر الدينية مثل عقد الأنكحة نيابة عن قضاة مكة المكرمة[١].

ومن هؤلاء النواب الشيخ عيسى بن محمد بن عبد الله المليساوي الطائفي الذي كان قاضياً في الطائف[٢]، والشيخ عفيف الدين أبو محمد عبد الله[٣] بن أبي الطاهر محمد بن الجمال الطبري الذي تولى قضاء بجيلة[٤] وما حولها من مناطق[٥].

أما بالنسبة لقضاء مدينة جدة فقد كان يتبع قاضي مكة الشافعي وهو الذي يختاره وأحياناً يأتي تعيين قاضي جدة من السلطة في مصر ولكن لقاضي مكة سلطة عليه بحيث يستطيع عزله متى شاء، ومن أمثلة ذلك الشيخ أحمد بن سالم[٦] بن حسن الجبري شهاب الدين المعروف بابن أبي العيون فقد عُين بمرسوم لقضاء جدة عام ٨٢٢هـ، ولكن عُزل

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٢٣٨. ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٠١٠.

(٢)هو عيسى بن محمد بن عبد الله المليساوي ويعرف بابن مكنية اليمني الأصل الطائفي المولد والدار المالكي، قاضي الطائف ولي نيابة الحكم بقرية المليساء بوادي الطائف عن القاضي محب الدين النويري، ثم ولي ذلك عنه ابنه، واستنابه في جميع بلاد الطائف، توفي سنة ٨١٤هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ١٥٦.

(٣)عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يعقوب الطبري ثم المكي عفيف الدين بن البرهان ولد بمكة وسمع بها صحيح البخاري من الرضى الطبري وسداسيات الرازي، وسمع من عدد من العلماء، مات قبل السبعين بسنة ٧٦٩هـ، حدث عنه أبو حامد بن ظهيرة.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ٢٨٣.

(٤)بجيلة: فرعة في سراة بن مالك، وهي معروفة قديماً بسراة بجيلة غير أن الاسم الآن اقتصر على فرعة واسعة قرب جبل بثرة فيها قرى عديدة ومدارس ومصالح حكومية. شعابها ذات مياه ثجاجة، وهواؤها عليل، سكانها بنو مالك وهم فرع من بجيلة القديمة.

عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، جـ١، صـ١٧٨.

(٥)ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢٩٧.

(٦)أحمد بن سالم بن حسن شهاب الدين الجدي نزيل مكة وقاضي جدة ويعرف بابن أبي العيون، تفقه كثيراً ابن سلامة نور الدين وحضر دروس الجمال بن ظهيرة، عُين قاضياً لجده في سنة ٨٢٢هـ ووافقه المحب فتوجه لها فباشر الأحكام على صفة لم يعهد مثلها بها فشق ذلك على المحب فاستدعاه لأمر فلم يحضر فعزله ثم أعاده وسُئل في صرفه فأجاب مات سنة ٨٢٧هـ. السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ٣٠٣.

بعد ذلك بأمر قاضي مكة محب الدين بن ظهيرة[1]، والشيخ أبو البركات محمد بن علي بن أبي البركات القرشي الذي أنابه عمه القاضي جلال الدين أبي السعادات محمد بن محمد بن محمد بن حسن بن ظهيرة عنه عام ٨٤٦هـ في القضاء بجدة[2].

التنافس على منصب القضاء بمكة:

كان العلماء يتنافسون على تولي منصب القضاء بمكة يدل على ذلك التعيينات المستمرة والعزل المستمر مما يدل على هذا التنافس فما أن يصل مرسوم بتعيين أحد القضاة إلى مكة يكون عزله قد كُتب في مصر وعُين بدلاً منه فلا يلبث أن يصل البريد حاملاً عزل قاض وتعيين الآخر، ويدل أيضاً على هذا التنافس تعيين القاضي لعدة مرات متفاوتة ليس بين بعضها مدة كبيرة ففي سنة ٨١٧هـ في رابع عشري شوال عُزل القاضي تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي عن قضاء المالكية وعُين الشيخ محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي[3] واستمر إلى سابع ذي القعدة، وعُزل وأُعيد الشيخ تقي الدين فمدة تولي الشيخ محمد بن عبد الرحمن اثنا عشر يوماً فقط وهذا يدل على مدى التنافس بين العلماء وأن لهم من يدعمهم في السلطة في مصر مما يدل على أن اتخاذ قرارات العزل والتعيين يتدخل بها أصحاب النفوذ والأهواء في فترات من العصر المملوكي.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً: تعيين القاضي أبي البركات بن ظهيرة سنة ٨١٩هـ في ثامن شوال بدلاً من القاضي محب الدين[4] بن ظهيرة وفي الخامس من ذي الحجة من

---

(١)المصدر السابق ، جـ١، صـ٣٠٣.

(٢)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٢٤٣.

(٣)هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن عبد الله الفاسي رضي الدين أبو حامد الحسني المكي ولد في رجب سنة ٧٨٥هـ وسمع الحديث وتفقه ودرس وأفتى وولي قضاء المالكية في شوال سنة ٨١٧هـ عوضاً عن مستنيبه وابن عمه تقي الدين الفاسي، كان خيراً ساكناً متواضعاً توفي سنة ٨٢٤هـ.

ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٧، صـ٤٤٧. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٨، صـ٤١. وبدر الدين القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، صـ٢٠٩.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٥٢، صـ٥٤٧. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٢١.

نفس السنة عُزل وأعيد القاضي محب الدين فتكون مدة تولي القاضي أبي البركات شهر وثلاثة أيام فقط[1].

وعندما يزداد الصراع بين العلماء على منصب القضاء تحاول الدولة الخروج من تعيين أحدهما بعرض الوضع على علية القوم من أهل مكة بحيث يختارون من يرونه.

وهذا لا يقطع النزاع والتنافس، ومن ذلك الصراع الذي قام بين القاضيين الشيخ جمال الدين بن ظهيرة والشيخ محمد بن أحمد بن محمد النويري عز الدين[2]، وقد حاولت الدولة الحد من الصراع حول منصب القضاء في مكة المكرمة بتعيين قاض من غير أهل مكة وذلك عندما عينت الشيخ الفقيه برهان الدين إبراهيم بن عمر السوسي[3] الطرابلسي الشافعي عام ٨٤٨هـ[4]، وذلك بعد أن كان التنافس على أشده بين القاضي جلال الدين أبي السعادات والقاضي محب الدين الطبري، والقاضي أبي اليمن النويري[5].مع اتفاقهم في المذهب، ولعل الدافع الأرجح للتنافس على منصب القضاء هو الكسب المادي مما يتلقاه القاضي من أموال من طريق الراتب المخصص من الدولة[6] والصدقات التي يتبرع بها الموسرون ويخصصون جزءاً منها لقاضي مكة ومن ذلك عام ٩١٨هـ حصل القضاة في مكة من صدقات تصدق بها الأمير حسين[7] الكردي على عشرة دنانير لكل قاض[8]

---

(١)الفاسي، العقد الثمين ، جـ٢، صـ٣٥٨. ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٣٧.

(٢) المصدر السابق، جـ٢، صـ٧٨. والمصدر السابق، جـ٣، صـ٤٣٧.

(٣)هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم البرهان الحموي الأصل السوبيني الطرابلسي الشافعي ويعرف بالسوبيني، ولي قضاء مكة عوضاً عن المحب الطبري في أوائل رجب سنة ٨٤٨هـ، ولم يلبث أن انفصل في شوال من السنة التي تليها، كان كثير العبادة والتلاوة والتهجد، مات سنة ٨٥٨ هـ بدمشق.
السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ١٠١.

(٤)السخاوي، التبر المسبوك، صـ٩٤. وابن حجر، إنباء الغمر، جـ٩، صـ٢٢٤.

(٥)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٣٣٥.

(٦)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٨٥.

(٧)هو الأمير حسين الكردي، عينه السلطان قانصوة الغوري نائباً على جدة وكان قائد لحملة عسكرية أعدتها الدولة لمواجهة خطر البرتغاليين ودفع خطرهم عن بلاد المسلمين في البحر الأحمر، وكذلك القضاء على تمرد القبائل البدوية ومهاجمتها للحجاج. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، صـ٦٥، ٨٤. وجـ٥، صـ٢٠٣.

(٨)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٥٥١، ٥٥٦.

بالإضافة إلى ما يحصل عليه القضاة من مخصصات لهم من الأوقاف التي جعل الموقفون لقضاة مكة جزءاً منها[1]. مثل وقف السلطان الأشرف شعبان الذي خصص مبلغ ١٠٠٠ درهم سنوياً لقاضي مكة المكرمة[2].

وقد وصل الأمر في التنافس على منصب القضاء في بعض فترات العهد المملوكي أن يسعى عدد من العلماء لنيل منصب القضاء بالرشوة[3] بملغ من المال لأصحاب النفوذ في مصر، وهذا يدل على مدى الفساد الإداري الذي أصاب السلطة في مصر في بعض فتراها، ويكون المبلغ المدفوع أحياناً للسلطان نفسه، ومن ذلك مادفعه القاضي جلال الدين أبو السعادات عام ٨٤١هـ ،في مقابل عدم تنحيته عن القضاء حيث دفع مبلغ ٥٠٠ دينار[4] رشوة ودفع القاضي لمبلغ بهذا الحجم يدل على أن القاضي يدخل عليه مبالغ أكبر من هذا بكثير لذلك سعى لهذا المنصب ودفع هذا المبلغ.

وكان بعض القضاة يسعى بشتى الوسائل للوصول إلى تعيين نفسه قاضياً والعودة إليه بسرعة إذا تم عزله مثل القاضي محمد بن محمد بن أحمد[5] بن حسين القسطلاني الذي سافر إلى مصر لإقناع السلطة بتوليه قضاء المالكية بمكة، وقد تولى هذا الشيخ قضاء مكة سبع مرات خلال الفترة من ٨٢٨هـ إلى ٨٦٤هـ حيث توفي[6]. وفي الوقت ا لذي نجد

---

(١)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤٧٣.

(٢)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، صـ٢٣٦.

(٣)الرشوة مأخوذة من الرشا أي الحبل لأنه يتوصل بها إلى مطلوبه كالحبل والرشوة ما يدفع للقاضي وغيره من الولاة مطلقاً ليحكم بغير الحق أو ما يدفع إلى أن يتوصل بها إلى تحصيل حق ودفع ظلم فليس بحرام.

النووي، تهذيب الأسماء واللغات، جـ٣، صـ١١٥.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٧٣. والمقريزي، السلوك، جـ٧، صـ ٣٤٢. وعبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٧٠٦.

(٥)هو محمد بن محمد بن أحمد بن حسين القسطلاني المكي يُعرف بابن الزين ولد سنة ٨٠١هـ بمكة ونشأ بها فحفظ القرآن، ودخل الشام وناب في القضاء بها أذن له السلطان في القضاء بمكة في آخر سنة ٨٢٦هـ بدلاً من التقي الفاسي. مات سنة ٨٦٤هـ وهو قاضياً بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ٤.

(٦)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٢٧٧.

فيه بعض القضاة يحرص على التمسك بالمنصب ويسعى في الاستمرار به والعودة إليه إذا عُزل نجد من يزهد في منصب القضاء ويطلب الإعفاء منه مثل الشيخ ظهيرة[1] بن محمد بن محمد بن ظهيرة المخزومي المالكي الذي طلب الإعفاء من منصب القضاء وهو لم يكمل سنة في المنصب حيث عين في ربيع الآخر سنة ٨٦٨هـ وطلب الإعفاء فأعفي في آخر السنة نفسها[2] والقاضي عبد الواحد بن إبراهيم بن أحمد المرشدي الحنفي جلال الدين أبو حامد الذي رفض المنصب بعد أن صدر القرار ووصل المرسوم بتعيينه وهو لا يعلم[3] وهذا يدل على أن السلطة في مصر كانت تحرص في الأعم الأغلب على أن يتقلد القضاء من يتمتع بالنزاهة والعلم الواسع والدين والصلاح.

مكانة القاضي:

كان لقضاة مكة مكانة مرموقة وكلمة مسموعة لدى سلاطين المماليك كانت تفرضها شهرة القاضي العلمية وصلاحه ونزاهته ومواقفه في إحقاق الحق. ومن قضاة مكة من جمع له بين قضاء مكة المكرمة والمدينة المنورة فأطلق عليه قاضي الحرمين مثل الشيخ القاضي أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي النويري فقد تقلد قضاء المدينة المنورة عام ٧٣٣هـ واستمر إلى عام ٧٨٨هـ حيث عزل عن قضاء المدينة وولي قضاء مكة المكرمة، واستمر قاضياً لمكة حتى وفاته عام ٧٩٩هـ[4].

---

(١)هو ظهيرة بن محمد بن محمد بن محمد بن حسين القرشي المالكي يُعرف بابن ظهيرة ولد سنة ٨٤١هـ بمكة ونشأ بها فحفظ القرآن وعدد من كتب العلم وتفقه بالقاضي عبد القادر وعنه أخذ العربية، وأخذ طرفاً من الأصول والمنطق ولي قضاء المالكية بمكة بعد ابن أبي اليمن في ربيع آخر سنة ٨٦٨هـ ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٨٦٨هـ. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ١٥.

(٢)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٧٨٣.

(٣)المصدر السابق، جـ٢، صـ٩٤٧.

(٤)ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ١٤٥.

والقاضي عبد القادر بن عبد اللطيف[1] بن أبي الفتح محمد الحسني الفاسي المكي الحنبلي حيث عين قاضياً للحنابلة بمكة عام ٨٦١هـ ثم أضيف له قضاء المدينة المنورة عام ٨٦٥هـ[2]، والشيخ القاضي عبد اللطيف بن محمد بن أحمد بن محمد الحسني الفاسي الحنبلي حيث تولى قضاء الحنابلة بمكة سنة ٨٠٩هـ وأضيف إليه قضاء المدينة المنورة عام ٨٤٧هـ[3]. وهـذا يدل على معرفة السلطة في مصر بأحوال القضاة ومستوايتهم العلمية.

وكان من مكانة القاضي تقدير أمراء مكة لهم وكسب ولاءهم مما يدل على مكانة القاضي لدى السلطة في مصر، ويدل على هذا عندما تعرض القاضي أبو الفضل النويري عام ٧٧٣هـ في طريق زيارته للمسجد النبوي من اعتداء من قبل ابن أمير مكة الشريف محمد[4] بن عجلان الذي هاجم القافلة وأخذ مبلغاً من المال من أهل القافلة مقابل إطلاقها نجد أن الشريف عجلان ما إن سمع بهذا الخبر حتى توجه إلى المدينة النبوية مصطحباً ابنه ليعتذر عما بدر منه ويعيد الأموال التي أخذها ويسترضي القاضي عن فعل ابنه[5].

ولم يكن يتم عزل قاض عن قضائه إلا بذنب أو شكوى يتبين من صحتها ويكون العزل من قبل السلطان شخصياً إذا تدخل أصحاب النفوذ فأقنعوا السلطان بعزل قاض،

---

(١)هو قاضي القضاة محي الدين أبو صالح عبد القادر بن عبد اللطيف سراج الدين الفاسي ولد سنة ٨٤٢هـ بمكة حفظ القرآن وصلى به بمقام الحنابلة التراويح وأخذ الفقه عن العز الكناني والعلاء المرداوي وأذن له في الإفتاء والتدريس ولي قضاء الحنابلة سنة ٨٦٣هـ ثم أضيفت إليه قضاء المدينة عام ٨٦٥هـ .

ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ٣٦١.

(٢)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٢٧٢. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ٣٦١.

(٣)المصدر السابق، جـ٤، صـ٣٣٣. المصدر السابق ، جـ٧، صـ٢٧٧، والسخاوي، التبر المسبوك، صـ٢٨١.

(٤)هو محمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي، ولي إمرة مكة نيابة من أخيه علي بن عجلان نصف سنة في سنة ٧٩٤هـ ثم وليها بعد قتل أخيه علي إلى حين قدوم أخيه حسن بن عجلان من مصر سنة ٧٩٨هـ أزيد من نصف سنة سجنه أخوه أحمد بسجن العلقمية وكحل من بعده مع عدد من الأشراف توفي سنة ٨٠٢هـ.

ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٢٤٢. وابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، جـ٢، صـ٦٥٤.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٣١٥هـ. وابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ١٨٢.

وتعيين قاض آخر[1]، ومن ذلك أن رفض السلطان قايتباي المحمودي طلب السيد بركات، والقاضي الشافعي برهان الدين بن ظهيرة عندما زارا مصر عام ٨٧٨هـ بتنحيه قاضي المالكية الشيخ ابن أبي اليمن عن قضاء المالكية لعد وجود سبب لعزله، ولم يحصل تنفيذ طلبهما ، وعندما تدخل أحد مقربي السلطان فأقنع السلطان تم عزله[2]. وهذا يدل على ثقة السلطان بمن حوله من أصحاب النفوذ.

الإفـتاء:

الإفتاء من أفتى العالم إذا بين الحكم، واستفتيته سألته أن يفتي[3] وأفتى القضية يفتي إفتاءً إذا بين المبهم وهي الفتيا[4].

وكان عادة من يفتي من العلماء هو الذي يكون عالماً بالفقه، وإذا درس على يديه أحد الطلبة وصار عالماً فقيهاً في استنباط الأحكام الفقهية أذن له شيخه بالإفتاء ومن ذلك القاضي تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز المالكي فقد درس على يديه الشيخ محمد بن أحمد بن علي الفاسي تقي الدين علم الفقه، وأذن له بالإفتاء[5]، وكان العالم المفتي بمكة في العصر المملوكي يحصل على أذن بالإفتاء من عدد من العلماء الذين درس على أيديهم، وتلقى منهم العلوم التي سوف يفتي بها ومن ذلك أن القاضي محب الدين أحمد بن الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة قد حصل على إذن بالإفتاء من

---

(١)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٥٩٥.

(٢)المصدر السابق، جـ٣، صـ٥٣، ٦٠.

(٣)الفيومي، المصابح المنير في غريب الشرح الكبير، جـ٢، صـ٤٦٢.

(٤)ابن عباد، المحيط في اللغة، جـ٩، صـ٤٧١.

(٥)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٤٨.

الشيخ الشهاب[1] الغزي، والشهاب بن حجي، وعدد من العلماء الآخرين، وقد كان على درجة كبيرة من العلم حتى كان أكثر من يفتي بمكة على مذهب الشافعي، حتى قيل إن مكة لم يعد بها من يفتي بعده على المذهب الشافعي[2].

وكان بعض العلماء إذا آنس من عالم غزارة في العلم وفهم عميق للأحكام يطلب منه أن يفتي المسلمين فيما يحتاجونه، ومن ذلك طلب الشيخ ابن خشيش[3] من الشيخ أحمد بن أبي بكر[4] عبد الله بن خليل القسطلاني المعروف بابن خليل المالكي أن يفتي الناس[5]. وذلك لما لمسه فيه من علم واسع.

وقد كان أكثر من يفتي بمكة المكرمة هم القضاة الأربعة وكان كثير من العلماء يتحرجون من الإفتاء لوجود القضاة الأربعة بمكة وذلك أن القضاة على درجة كبيرة من العلم الشرعي ومرد الفتيا إليهم،وكان المفتون من غير القضاة يفتون غالباً باللسان[6] أي لا يكتبون فتواهم احتراماً لقضاة مكة مما يدل أن القضاة كانوا يكتبون فتاويهم ويرسلون

---

(١)هو أحمد بن عبد الله بن بدر العامري الشيخ شهاب الدين الغزي الدمشقي الشافعي ولد في ربيع الأول سنة ٧٦٠هـ بغزة من أرض الشام ونشأ بها ثم انتقل إلى دمشق واستوطنها وأخذ بها عن جماعة من فضلائها، كان ماهراً في الفقه وأصوله مشاركاً في غيرهما له عدة تواليف منها شرح الحاوي الصغير وغيره، توفي سنة ٨٢٢هـ بمكة.

ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، جـ١، صـ٥٥.

(٢)ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٨،صـ٥٠.

(٣)ابن خشيش هو: محمد بن عيسى بن سالم بن علي ا لأزدي الدوسي اليمني مفتي الحرمين ابن حشيش الشافعي، الإمام المدرس المفتي بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٣٠.

(٤)هو أحمد بن أبي بكر عبد الله بن خليل العسقلاني الشافعي، سمع بمكة من عدد من العلماء وحدث سمع منه عدد من العلماء وكان يحدث بمترله وبالمسجد الحرام وقد أذن له ابن خشيش بالإفتاء حيث طلبه منه قبل وفاته بأن يلي حاجته وهي أن يفتي الناس، مات سنة ٦٩٠هـ بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٣٦.

(٥)ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٨، صـ٥٠.

(٦)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ١٨٣.

بها إلى من يسأل في مكة وخارجها[١] وكان الإفتاء يتم في المسجد الحرام غالباً. وكان بعض العلماء يفتي في أماكن مثل المشاعر وذلك لإجابة الحجاج فالشيخ سبأ بن شعيب[٢] اليمني المتوفي سنة ٦٦٥هـ كان يفتي في مسجد الخيف بمنى[٣] والشيخ عبد الواحد[٤] التونسي المالكي المعروف بابن الكاتب كان يفتي في مسكنه برباط الموفق، والمسجد الحرام وقد توفي هذا الشيخ عام ٧٦٠هـ[٥].

صــــور الإفتاء:

كان العلماء بمكة المكرم من غير القضاة يفتون من يسألهم ولكن لا تكتب فتواهم فهي فتوى شفهية وهؤلاء فتواهم قليلة. وقد اشتهر عدد من العلماء بالإفتاء في مكة منهم:

١ـــ الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن أسعد اليافعي فقد ورد أنه كان يفتي باللسان وقليلاً وذلك لاشتغاله بالتجارة[٦].

٢ـــ الشيخ علي بن أحمد بن محمد بن سلامة السلمي المكي المتوفى سنة ٨٢٨هـ[٧] [٨].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٢٠٤.

(٢)هو سبأ بن شعيب اليمني، ذكر بأنه مفتي مكة وذُكر أنه مفتي الحرمين وكان يفتي بمسجد الخيف لحجاج بيت الله الحرام وقد توفي سنة ٦٦٥هـ.

المصدر السابق، جـ٤، صـ١٧٠.

(٣)المصدر السابق، جـ٤، صـ١٧٠.

(٤)هو الشيخ عبد الواحد التونسي المالكي المعروف بابن الكاتب، كان إماماً فاضلاً علامة يفتي مع الزهد والأدب، أقام بمكة مدة، وكان يسكن برباط الموفق توفي سنة ٧٦٠هـ. المصدر السابق، جـ٥، صـ١٤٠.

(٥)المصدر السابق، جـ٥، صـ١٤٠.

(٦)المصدر السابق ، جـ٥، صـ١٤٣.

(٧)هو علي بن أحمد بن محمد بن سلامة بن عطوف السلمي المكي الشافعي يعرف بابن سلامة ولد سنة ٧٤٦هـ بمكة ونشأ بها، وسمع من خليل المالكي والعز بن جماعة وغيره رحل إلى عدد من البلدان في طلب العلم. أفتى لكن قليلاً باللفظ غالباً تأدباً مع قضاة مكة، وكان عارفاً بالقراءات السبع مات سنة ٨٢٨هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ١٨٣. ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ١٨٤.

(٨)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٢٤٠.

٣ــ الشيخ عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي المغربي المتوفى سنة ٨١٦هــ[١] [٢].

ومن صور الإفتاء: الإفتاء المكتوب، وهـــو الأسئلة التي ترد إلى العلماء من خارج مكة، وكان أشهر من كتب فتواه، وأرسل بها الشيخ محمد بن عبد الله بن ظهيرة، الذي كان يكتب فتاويه ويرسل بها إلى اليمن، والطائف وقراها مما يدل على شهرة هذا المفتي العلامة[٣].

وقد كان يدور بين العلماء من المفتين بمكة جدال في بعض الأمور المستجدة فيختلفون بين محرم، ومحلل، فيعقدون الاجتماعات للنظر فيها.

ومن ذلك ما حدث بين العلماء في أمر القهوة عندما ظهرت عام ٩١٥هــ فاختلف العلماء فمنهم من أفتى بتحريمها، ومنه من أفتى بحل شراها فعُقد اجتماع بين العلماء نوقش فيه أمر القهوة فرجحت كفة العلماء المفتين بتحريمها، فاستجابت السلطة لفتواهم وقامت بإحراق ما وجد من محصول البن بمكة[٤].

أشهر المفتين:

من أشهر المفتين بمكة في العصر المملوكي:

---

(١)عبد القوي بن محمد بن عبد القوي بن أحمد البجائي المغربي المالكي نزيل مكة، يعرف بابن عبد القوي، سكن مكة أكثر من ثلاثين سنة، درّس وأفتى لكن باللفظ غالباً تورعاً كان عارفاً بالفقه، توفي سنة ٨١٦هــ.

السخاوي، الضوء اللامع،جــ٤، صــ٣٠٢.وابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي،جــ١،صــ٤٢٣.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جــ٥، صــ١٠٣.

(٣)المصدر السابق، جــ٢، صــ٢٠٤.

(٤)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جــ١، صــ٣٨٨.

١ــ الشيخ محمد بن أبي بكر عبد الله[1] بن خليل بن إبراهيم العسقلاني المكي الشافعي الذي لقب بمفتي الحرم، وكان هو المفتي في أيام المـــوسم لشهرته بذلك وقد توفي سنة ٦٩٥هــ[2].

٢ــ الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن علي الطبري المكي الشافعي[3] كان يلقب مفتي مكة كان عالماً بالفقه وفروعه توفي عام ٧٠١هــ[4].

٣ــ الشيخ عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد القرشي[5] المعروف بالأصفوني الذي قدم إلى مكة من مصر وأصبح من كبار المفتين بها لغزارة علمه في عدد من العلوم مثل الفقه والفرائض والحساب وغيرها[6].

٤ــ الشيخ أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن العمري الحرازي الشافعي كان يفتي بمكة حتى صار شيخها والمعتمد عليه في الإفتاء وقد أذن له في الإفتاء عدد من العلماء الذين درس على أيديهم. وقد توفي الشيخ سنة ٧٥٥هــ بمكة[7].

---

(١)هو محمد بن أبي بكر عبد الله بن خليل بن إبراهيم بن يحيى العسقلاني المكي رضي الدين، سمع من عدد من العلماء، وسمع منه عدد من العلماء، وقد كان شيخاً جليل القدر عالماً متديناً له معرفة بالفقه على مذهب الشافعي، وكان عليه مدار الفتوى بمكة، توفي سنة ٦٩٥هــ بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، جــ٢، صــ٢٠٧.

(٢)المصدر السابق، جــ٢، صــ٢٠٧.

(٣)هو عبد الرحمن بن محمد بن علي الطبري المكي أبو الحسن العماد الشافعي مفتي مكة ولد سنة ٦٣٢هــ بمكة، سمع من عدد من العلماء، كان رجلاً صالحاً منقطعاً غـــزير العلم، شـــديد الإقبال على فروع الفقه. توفي سنة ٧٠١هــ.

المصدر السابق ، جــ٥، صــ٥٤.

(٤)المصدر السابق، جــ٥، صــ٥٤.

(٥)هو عبد الرحمن بن يوسف الأصفوني الشافعي نزيل الحرم ولد سنة ٦٧٧هــ، برع في علم الحديث والفقه، كان حسن الأخلاق سليم الباطن مشهور الصلاح توفي سنة ٧٥٠هــ بمكة.

اليافعي، مرآة الجنان، جــ٤، صــ٣٣٤. وابن حجر، الدرر الكامنة، جــ٢، صــ٣٥٠.

(٦)اليافعي ، مرآة الجنان ، جــ٤، صــ٣٣٤.

(٧)الفاسي، العقد الثمين، جــ٣، صــ٧٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جــ٣، صــ٢٦٦.

٥ــ الشيخ محمد بن أحمد[1] بن إبراهيم الطبري المكي الشافعي. كان من مدرسي الحرم ومفتيه وحدث أيضاً بالحرم الشريف، و مع مقدرته في الفقه ناب عن القاضي شهاب الدين الطبري وعن القاضي أبي الفضل النويري وقد توفي سنة ٧٦٥هــ[2].

٦ــ الشيخ محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي المعروف بالوانوغي[3] وقد أفتى كثيراً بالحرمين توفي سنة ٨١٩هــ[4].

٧ــ الشيخ عبد اللطيف بن أحمد بن مكي الحسني الفاسي المكي الشافعي[5]، وقد عرف بالمفتي نجم الدين، وقد أذن له جماعة من العلماء في الإفتاء، وقد توفي عام ٨٢٢هــ[6].

٨ ــ الشيخ عبد القادر بن أبي الفتح[7] محمد بن أبي المكارم أحمد عبد القادر بن محمد بن أحمد بن محمد الحسني الفاسي الحنبلي فقد كان على درجة كبيرة من العلم والفقه وكان

---

(١)هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يعقوب الطبري الفقيه المفتي، سمع من عدد من العلماء أخذ الفرائض من الشيخ عبد الله اليافعي، كان فقيهاً فاضلاً ديناً صالحاً مباركاً مشهوراً بالخير.درس بالحرم الشريف وأفتى وحدث. توفي سنة ٧٦٥هــ. ناب في الخطابة عن التاج الخطيب الطبري ومن القاضي تقي الدين الحرازي.

ابن العماد، شذرات الذهب، جــ٦، صــ٣٤١.

وابن حجر، الدرر الكامنة، جــ٣، صــ٣٠٦.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جــ٢، صــ٧.

(٣)هو محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي المالكي نزيل الحرمين يعرف بالوانوغي ولد سنة ٧٥٩هــ بتونس ونشأ بها وسمع بها على عدد من العلماء، درّس وأفتى وحدث مات بمكة سنة ٨١٩هــ، وقد أقام بمكة مجاوراً فترة وبالمدينة المنورة مشتغلاً بالتدريس والتصنيف والإفتاء.

السخاوي، الضوء اللامع، جــ٧، صــ٣.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جــ٢، صــ٢٥.

(٥)هو عبد اللطيف بن أحمد بن علي بن محمد الحسني الفاسي المكي الشافعي ولد سنة ٧٧٨هــ، حفظ القرآن وصلى به، لازم الجمال بن ظهيرة في الفقه وقد برز في الفقه والتفسير والعربية والمعاني والبيان والمنطق. توفي بالقاهرة سنة ٨٢٢هــ. السخاوي، الضوء اللامع، جــ٤، صــ٣٢٢.

(٦)الفاسي، العقد الثمين، جــ٥، صــ١٠٩.

(٧)هو الشيخ عبد القادر بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي المكي الحنبلي ولد بمكة سنة ٧٩١هــ، حفظ القرآن وعدد من كتب العلم. تنبه في الفقه وأفتى في وقائع كثيرة، ناب عن أخيه بالمدرسة البنجالية وفي الحكم دهراً مات سنة ٨٢٧هــ. السخاوي، الضوء اللامع، جــ٤، صــ٢٨٧.

وابن تغري، بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، جــ١، صــ٤٢١.

يفتي في وقائع كثيرة ولدرجة علمه كان ينوب في القضاء عن القاضي عبد اللطيف بن محمد بن أحمد الفاسي في عام ٨١٠هـ[١].

٩ــ الشيخ محمد بن إبراهيم بن أحمد الفوي[٢] المكي الحنفي المعروف بالمرشدي كان من مفتي مكة حتى وصف بمفتي المسلمين ورأس المحدثين توفي سنة ٨٣٩هـ[٣].

١٠ــ الشيخ محمد[٤] بن سليمان بن داود الجزولي المغربي المالكي كان يفتي بالحرم الشريف ويدرس به مات عام ٨٦٣هـ[٥].

السـدانة:

السدانة: هي القيام بجميع أمور الكعبة المعظمة من فتحها وإغلاقها وتنظيفها، وتعليق كسوتها، وتفقد أحوالها من جميع النواحي[٦].

وقد اهتمت قبيلة قريش بأمر الكعبة منذ العصر ا لجاهلي، حيث كانت سدانة البيت يتولاها بنو شيبة[٧] وأبقاها النبي ﷺ في أيديهم يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة[٨] واستمر بنو شيبة يلون سدانة البيت بدون منازع امتثالاً لأمر النبي الكريم ﷺ .

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ١٠١.

(٢)هو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر الفوي المكي الحنفي الشهير بالمرشدي ولد سنة ٧٧٠هـ بمكة ونشأ بها وسمع بها على أهل مكة والقادمين إليها من العلماء، رحل في طلب العلم إلى عدد من البلدان وأجاز له عدد من العلماء بالإفتاء والتدريس، كان إماماً علامة حسن المحاضرة توفي سنة ٨٣٩هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٧٢.

(٣)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٢٤١.

(٤)هو محمد بن سليمان بن داود الجزولي المغربي ثم المكي المالكي ولد سنة ٨٠٦هـ بجزوله من أعمال المغرب، حفظ القرآن واشتغل بالفقه العربية والحساب دخل مكة سنة ٨٤١هـ وتأهل بها، وتصدى للتدريس بها مع الإفتاء وكان بارعاً في الفقه مات بمكة سنة ٨٦٣. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٧، صـ٢٥٨.

(٥)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ١٤٤. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٧، صـ٢٥٨.

(٦)طلحة الشيبي، تحقيق المرام، صـ٩٩.

(٧)نسبة إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار القرشي العبدري الحجبي يكنى أبا عثمان، أسلم يوم فتح مكة وقيل يوم حنين دفع له رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة إلى ابن عمه عثمان بن طلحة وقال: ((خذوها خالدة مخلدة تالدة إلى يوم القيامة يا بني طلحة لا يأخذها منكم إلا ظالم)).

ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ٢، صـ٤٣٦.

وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٣، صـ٢٩٨.

(٨)الطبري، القرى لقاصد أم القرى، صـ٥٠٣. ومحمد صالح الحجبي، إعلام الأنام، صـ٢٦٢.

تعيين سادن البيت الشريف:

يتم تعيين سادن البيت الشريف في العصر المملوكي من قبل السلطان في مصر وذلك بإصدار مرسوم تعيينه فيرسل إلى مكة المكرمة[١]، وعادة يتم تعيين السادن بعد وفاة السادن السابق، ويكون أحياناً تولية السادن لأمر الكعبة المعظمة من قبل أمير مكة، وذلك لوقت محدد حتى وصول تعيين رسمي من الدولة للسادن الجديد أو لغيابه عن مكة، مثل تعيين الشيخ علي[٢] بن محمد بن أبي بكر الشيبي، وعندما وصل تعيين أخيه أبي بكر[٣] نُحي عن السدانة[٤]. وعين الشريف عجلان بن رمثية بن أبي نمي الشيخ أحمد بن يوسف بن أحمد الشيبي سنة ٧٥٧هـ حتى عودة السادن من غيبته[٥].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ١٢٨.

(٢)هو علي بن محمد بن أبي بكر بن محمد العبدري الشيبي الحجبي المكي الشافعي ولد في يوم الخميس الثالث من ربيع الأول سنة ٧٥٥هـ، وسمع من عدد من العلماء واشتغل في فنون العلم وكتب بخطه الحسن الكثير، توفي سنة ٨١٥هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٢٩٥.

(٣)هو أبو بكر بن محمد بن أبي بكر محمود بن ناصر الشيبي الحجبي المكي شيخ الحجبة وقائم الكعبة يلقب فخر الدين. سمع من عدد من العلماء، ولي مشيخة الحجة بعد علي بن أبي راجح الشيبي من صاحب مصر وولي أخو علي من قبل أمير مكة فلما وصل توقيع أبي بكر بولايته باشر عنه ابنه أحمد لكون والده غائباً باليمن واستمر متولياً لأمر الكعبة حتى مات سنة ٨١٧هـ بمكة.

المصدر السابق، جـ١١، صـ٧٤.

(٤)الفاسي ، العقد الثمين، جـ٥، صـ٢٩٣.

(٥)هو أحمد بن يوسف بن أحمد بن صالح الحجبي الشيبي المكي، أجاز له عدد من العلماء ولي فتح الكعبة من جهة الشريف عجلان أمير مكة لما غاب عنها الشيخ محمد بن أبي بكر الشيبي في أوائل سنة ٧٥٧هـ إلى استقبال رمضان منها توفي سنة ٧٧٩هـ بمكة.

المصدر السابق، جـ٣، صـ١٢٢.

وقد كان متعارفًا عليه بين آل الشيبي أن يلي السدانة منهم الأكبر فالأكبر، وليس توارثاً في أسرة واحدة[1]، ولهذا لم يظهر بينهم خلاف أو تنافس على المنصب، وكان يشارك السادن مجموعة من أقاربه في الأعمال المتعلقة بالكعبة ولهذا لم يحصل بينهم احتكار للمنصب يؤدي إلى التنافس.

وقد كان سدنة البيت الشريف على درجة من العلم بحكم ارتباطهم بالبيت الشريف وتأثرهم بما في المسجد الحرام من علماء ومحدثين وطلبة علم فنهل آل الشيبي من هذا الوسط العلمي الديني الرفيع، يدل على ذلك اتساع معرفة عدد كبير منهم، حتى أن بعضهم تولى مناصب أخرى في الدولة بجانب سدانة البيت فالشيخ محمد بن علي بن محمد الشيبي عُين قاضياً لمكة من قبل السلطان الأشرف برسباي عام ٨٣٠هـ بالإضافة إلى نظارة المسجد الحرام واستمر إلى أن توفي عام ٨٣٧هـ[2] ، والشيخ أحمد بن ديلم[3] بن محمد بن إسماعيل الشيبي كان من محدثي الحرم وولي مشيخة الحرم[4].

فتح الكعبة:

يقوم سدنة البيت الشريف بفتح البيت لمن أراد دخوله والصلاة فيه فقد ورد عن النبي ﷺ دخوله الكعبة المشرفة عام الفتح لصلاة فيه[5] ولهذا أخذ عدد من المسلمين بالرغبة في دخول البيت والصلاة فيه تأسياً بالنبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(١)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـ٦. ومحمد صالح الحجبي، إعلام الأنام، صـ٢٦٢. والطبري، الأرج المسكي، صـ١٥٥.

(٢)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ١٣. وابن حجر، إنباء الغمر، جـ٨، صـ٣٢٢.

(٣)هو أحمد بن ديلم بن محمد بن إسماعيل الشيبي مجد الدين أبو العباس المكي شيخ الحجبة ، سمع من عدد من العلماء، ذُكر بالشيخ الجليل الفقيه شيخ الحرم، حدث سمع منه جماعة من طلبة العلم، توفي سنة ٧١٢هـ بمكة. ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، جـ١، صـ٤٦.

(٤)ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٤، صـ٣٠٣.

(٥)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٢، صـ١٧١. محمد صالح الحجبي، إعلام الأنام، صـ٢٦٢.

ولم يكن لدخول البيت في العصر المملوكي وقتاً محددًا، حيث ورد أن البيت يفتح في أوقات مختلفة، فقد ذُكر أن البيت كان يفتح في كل يوم جمعة واثنين، ثم أصبح يفتح يوم الجمعة فقط بالإضافة لفتحه من الأيام التي يتم غسله فيها، وتفتح أيضاً في اليوم الموافق للمولد النبوي. وذكر أنها تغلق من يوم السابع والعشرين من ذي القعدة إلى نهاية اليوم الثالث بعد عيد الأضحى المبارك، حيث يسمح للحجاج بالدخول إليها، ويكون فتحها مستمراً كل يوم لدخول الحجاج إليها وأخذ ما تجود به نفوسهم مقابل دخولهم، وقيل تفتح من اليوم الأول من ذي الحجة إلى اليوم الثامن من ذي الحجة[1].

وقد ورد تزاحم الحجاج للدخول إلى الكعبة المشرفة تزاحماً شديداً يسفر عن وفيات، فقد حدث أن هلك من الزحام بداخل الكعبة عام ٨٨١هـ ٢٥نفراً[2] مما يدل على كثرة الحجاج الراغبين في الدخول إلى الكعبة المعظمة وتسامح آل الشيبي في السماح بدخول الكعبة وعدم أخذ مبالغ كبيرة تحد من رغبة الحجاج في دخول الكعبة[3].

مرتب السدنة:

منذ أن دفع النبي ﷺ مفتاح البيت الحرام إلى بني شيبة تبين أنهم كانوا يأخذون مبلغاً من المال مقابل دخول الكعبة ممن أراد الدخول حيث ذكر أن النبي ﷺ عندما فتح مكة ودخل البيت وصلى به أعاد المفتاح إلى بني شيبة وأمرهم بالأكل بالمعروف[4].

---

(١)الفاسي، الزهور المقتطفة، صـ٧٣.

(٢)السنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٧٨.

(٣)العبدري، الرحلة، صـ١٧٥.

(٤)الطبري، القري القاصد أم القرى، صـ٥٠٣.

وبهذا لم يكن ما تأخذه السدنة مبلغاً محددًا لكن ما يدفع الداخل إلى البيت بطيب نفس[1]، وبحكم أن الداخلين للبيت أعدادهم كبيرة، فأصبح دخل السدنة من المال كبيراً جداً بالإضافة إلى ما يبيعونه من كسوة البيت الشريف بعد نزعها عنه في موسم الحج[2]. وقد نازع أمراء مكة السدنة في أمر الكسوة فصاروا يأخذون جزءاً كبيراً من الكسوة أو دفع مبلغ خمسة آلاف درهم مما يدل أن السدنة كانوا يحصلون على مبالغ كبيرة من دخول الناس للبيت ومن توزيع الكسوة.

وفي عهد السلطان الأشرف شعبان خصص لسدنة البيت الشريف مبلغ ١٥٠٠ درهم من الأوقاف التي أوقفها على أعمال البر بمكة المكرمة بالإضافة إلى ٣٠٠درهم لمساعديهم من الخدم[3].

---

(١)الفاسي، الزهور المقتطفة، صـ٧٣.

(٢)النهراولي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، صـ١٠٦. وباسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة، صـ٣٧٥. ومحمد طاهر الكردي، التاريخ القويم، جـ٤، صـ١٥.

(٣)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، صـ٢٧٧.

المبحث الثالث: المؤذنون:

الأذان الإعلام بالشيء، وهو الإعلام بوقت الصلاة[1] وهو وظيفة ظهرت بظهور الإسلام، فكان بلال[2] رضي الله عنه أول مؤذن في الإسلام وهو أول من أذن بمكة بعد دخول النبي ﷺ إليها يوم الفتح.

وقد كان غالباً في العهود الإسلامية لكل مسجد مؤذن يشعر الناس بدخول وقت الصلاة ؛ والمسجد الحرام من أشهر المساجد التي خُصص لها مؤذنون يرفعون أصواتهم بالنداء إشعاراً بدخول وقت الصلاة، ففي العصر المملوكي اشتهرت بمكة عدد من الأسر قام أفرادها بوظيفة الأذان وتوارثوا هذه الوظيفة كابراً عن كابر وتميز بعضهم بأصوات حسنة في أدائهم للأذان حتى قيل عن بعضهم أن على آذانه أُنس[3].

وقد كان للمؤذنين بمكة رئيس هو الذي يبدأ بالأذان ثم يتبعه سائر المؤذنين الذين في المآذن التي بالحرم الشريف، ومقر رئيس المؤذنين فوق بئر زمزم تحت ظله عُملت لرئيس المؤذنين[4].

---

(١)ابن منظور، لسان العرب، جـ١، صـ١٠٧.

(٢)هو بلال بن رباح الحبشي واسم أمه حمامة، وقد اشتراه أبوبكر الصديق رضي الله عنه من سيده أمية بن خلف وذلك أن أمية بن خلف كان يعذبه بعد أن دخل في الإسلام فاشتراه أبوبكر الصديق وأعتقه لوجه الله وكان مؤذن رسول الله ﷺ وبعد وفاة النبي ﷺ خرج في الجهاد إلى بلاد الشام ومات بها سنة ٢٠هـ.
ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ١، صـ٤٥٥.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٥٢. وابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٢٢٥.

(٤)الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٥٦. وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، صـ٢١٦. والجمعية العراقية، المجلة التاريخية العراقية، عدد٣، سنة ١٩٧٤م. صـ١٨٤.

وقد كان تعيين المؤذن وإقالته تصدر عن طريق القاضي الشافعي بمكة[1] وأحياناً تكون من الأمير الباش[2] المقيم بمكة[3].

وقد كان عدد المؤذنين بالمسجد الحرام خمسة ، أربعة مؤذنين في المآذن والخامس رئيسهم على بئر زمزم[4].

مكانة المؤذنين العلمية:

كان عدد من المؤذنين على مستوى عال من العلم وذلك بحكم الحياة في أكبر جامعة على مستوى العالم الإسلامي ألا وهو المسجد الحرام فعاش المؤذنون ينهلون من شتى العلوم والمعارف التي تُقام بالمسجد الحرام وحوله، فبرز منهم عدد من العلماء الذين اشتهروا بين المؤذنين بعلومهم التي تميزوا فيها ومنهم:

١ـــ الشيخ فخر الدين أبوبكر[5] عبد الله بن أبي بكر المكي الحنبلي، فقد كان على درجة كبيرة من العلم والأدب، وشاعراً مجيدا[6].

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جــ٤، صت٥٦٦. وابن فهد، الدر الكمين، جــ٢، صـــ١٣٠١. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـــ١٠٠.

(٢)الأمير الباش: هو رئيس العسكر المقيم بمكة من قبل السلطان صاحب مصر حيث جعل سلاطين المماليك مجموعة من الجند تقيم بمكة وجعلوا لهم رئيساً والباش اسم لوظيفة في العصر المملوكي تعني رئيس الجند وذلك إذا كان عدد الجند مائة يكون رئيسهم باش.

حسن الباشا، الفنون والوظائف، جــ١، صــ٢٩٣.

(٣)عبد العزيز بن فهد، كتاب بلوغ الغرام، جــ٢، صــ٥٥٩، ٦٢٠.

(٤)راشد القحطاني، أوقاف السلطان شعبان، صـــ٢٣٥.

(٥)هو أبو بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد المكي، ويعرف بابن أبي الخير ولد سنة ٨٧٥هـــ بمكة ونشأ بها، شارك والده في رئاسة المؤذنين، حفظ عدد من كتب العلم وسافر لطلب العلم إلى مصر والشام، كان شاعراً مجيداً توفي سنة ٩٣٠هـــ .

ابن حميد النجدي، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، جــ١، صـــ٣٢٣.

(٦)ابن فهد، غاية المرام، جــ٣، صـــ١٦١.

٢ــ الشيخ محمد بن عبد الرحمن[١] بن أبي ا لفتح العمري المصري، فقد كان على درجة كبيرة من العلم واشتغل بعلم الحديث وحدث بالمسجد الحرام وقد توفي عام ٧٢٩هــ[٢].

٣ــ الشيخ محمد بن عبد الله بن علي الكازروني المكي[٣]، كان عالماً كبيراً بالحديث فقد درس الحديث لعدد من طلبة العلم، وكان عالماً بعدة علوم[٤].

٤ــ الشيخ محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي الكازروني[٥]، فقد سمع من عدد من العلماء، واشتغل بعلم الحديث وقد توفي عام ٦٥٥هــ بمكة[٦].

٥ــ الشيخ علي بن محمد بن إسماعيل البيضاوي الزمزمي[٧]، فقد اشتهر بعلم الفقه واللغة العربية، وبرز في علم الفرائض، ونظم في هذا العلم شعراً يزيد على ألف بيت مما يدل على تبحره فيه[٨].

---

(١)هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي الفتح العمري سمع من ابن علاق وغيره من العلماء وحدث وكان يكتب خطاً حسناً مات بمكة سنة ٧٢٩هــ ودفن بالمعلاة.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جــ٤، صــ٦.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جــ٢، صــ٢٣٩.

(٣)هو محمد بن عبد الله بن علي الكازروني المكي جمال الدين رئيس المؤذنين بالمسجد الحرام أخذ علم الحديث على عدد من العلماء واشتغل بالحديث كان له علم الميقات وصنف أرجوزة في هذا العلم وكان يسافر إلى الهند، توفي سنة ٧٧٧هــ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جــ٣، صــ٤٧٨.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جــ٢، صــ٢١٤.

(٥)هو الشيخ محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي بن أبي الخير الكازروني، يلقب بالجلال مؤذن المسجد الحرام، سمع من عدد العلماء علم الحديث وحدث به توفي سنة ٦٥٥هــ بمكة.

المصدر السابق، جــ٢، صــ٢٥٠.

(٦)المصدر السابق، جــ٢، صــ٢٥٠.

(٧)هو علي بن محمد بن إسماعيل بن علي البيضاوي المكي المعروف بالزمزمي نور الدين درس الحديث على عدد من علماء مكة، وبرع في علم الميقات والفرائض والفقه والعربية وكان يفتي بمكة وتوفي سنة ٨٨٥هــ.

ابن فهد، الدر الكمين، جــ٢، صــ١٠٦٠.

(٨)السخاوي، الضوء اللامع، جــ٥، صــ٢٩١.

٦ــ الشيخ أحمد بن يوسف بن حسين الحصنكيفيي[١]، فقد كان مقرئ الحرم المكي حتى وصف بشيخ المقرئين بالمسجد الحرام، وعمل أيضاً نائباً للمحتسب[٢].

مرتبات المؤذنين:

كان مؤذنو المسجد الحرام يحصلون على مرتبات مقابل قيامهم بوظيفة الآذان وقدره ٥٠ درهماً لكل مؤذن من قبل الدولة في مصر[٣]، وبالإضافة إلى مرتب الدولة كان المؤذنون يحصلون على مبالغ مالية من الأوقاف التي يُجعل لهم نصيب منها ومن ذلك كان كل مؤذن يحصل على مبلغ ٤٠٠ درهم من أوقاف السلطان الأشرف شعبان في العام[٤].ومع هذا فقد كان دخل المؤذنين لا يكفي حاجة معظمهم مما جعل بعضهم يسافر لطلب الرزق والعمل بالتجارة مع احتفاظهم بوظيفتهم .ومنهم الشيخ عبد الله بن علي بن عبد الله الكازروني[٥] فقد سافر إلى مصر واليمن أكثر من مرة للعمل بالتجارة[٦]،وكان

---

(١)هو أحمد بن يوسف بن حسين بن يوسف الحصنكيفي الشهير بابن المحتسب ولد سنة ٧٩٥هـ بمكة ونشأ بها، درس الحديث على يد عدد من علماء مكة ناب في الحسبة، من القاضي عز الدين النويري، له أذان بالمسجد الحرام بمئذنة باب العمرة، كان يمدح الناس ويقرأ لهم في المناسبات توفي سنة ٨٥٥هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥٧٤.

(٢)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٢٤٧.

(٣)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠، صـ١٢٥.

(٤)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، صـ٢٣٥.

(٥)هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي الكازروني بها الدين، ولد سنة ٧٥٢هـ بمكة تولي رئاسة المؤذنين بمكة المشرفة، وناب عن المحتسب القاضي أبي الفضل النويري وعن المحتسب القاضي جمال الدين بن ظهيرة، مات سنة ٨٠٨هـ بمكة. الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٣٨٧.

(٦)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٣٤.

مؤذناً حتى وفاته والشيخ عبد اللطيف بن محمد بن حسين الكازروني[1] فقد كان يسافر إلى مدينة سواكن[2] لنفس الغرض[3].

ومع أن ما خُصص للمؤذنين لم يكن مبلغاً كبيراً فقد حدث تنافس على منصب الأذان حتى حدث تقسيم لوظيفة الأذان بالمئذنة الواحدة ولعل السبب في ذلك تعدد الورثة للمؤذن المتوفى ورغبتهم في الأجر والمثوبة في القيام بعملية الأذان، فالشيخ محمد بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الله الكازروني شاركه أخوه عبد السلام[4] في رئاسة المؤذنين بعد وفاة والدهما عام ٨٥٧هـ وكان للأخوين محمد وعبد السلام نصف أذان مئذنة باب العمرة[5] [6] مما يدل على التنافس بين الورثة على الوظيفة، والشيخ سليمان بن أبي السعود

---

(١)هو عبد اللطيف بن محمد بن حسين عبد المؤمن الكازروني، تولي رئاسة المؤذنين بالمسجد الحرام بعد وفاة عبد الله بن علي، كان يعمل بالتجارة فيسافر بسببها توفي سنة ٨٢٧هـ. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٣٣٤.

(٢)سواكن مدينة عامرة في ساحل بلاد البجاة وبلاد الحبشة وفيها متاجر، وتزدهر بها تجارة الرقيق قديماً، ويعمل أهلها بصيد اللؤلؤ. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعصار في خبر الأقطار، صـ٣٣٢.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ١١٣.

(٤)هو عبد السلام بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي بن عبد السلام الكازروني المكي ولد سنة ٨٤٤ هـ بمكة ونشأ بها واستقر في رئاسة المؤذنين بالمسجد الحرام مع أخيه محمد مات سنة ٨٦٥هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٢٠٧.

(٥)باب العمرة سمي بذلك لأن المعتمر من التنعيم يدخل المسجد الحرام من هذا الباب غالباً لقربه، ويقال له باب بني سهم وباب بني جمع.

محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم، جـ٤، صـ٤٢٣.

(٦)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـ١٠٦.

بن عمر بن علي الريفي المغربي[1] كان له نصف الأذان بمئذن باب العمرة وذلك لتنازل عبد اللطيف بن أحمد[2] بن عبد السلام الكازروني له[3].

أشهر المؤذنين:

اشتهرت عدد من الأسر المكية بالأذان في المسجد الحرام وذلك لتوارث أبنائها وظيفة الأذان بالمسجد الحرام، ومن أشهر هذه الأسر أسرة الكازروني التي تولت الأذان بمكة المكرمة من قبل العهد المملوكي واستمرت طول مدة حكم المماليك وتنتسب هذه الأسرة للمؤذن عبد السلام بن أبي المعالي بن أبي الخير الكازروني المتوفى سنة ٦٢٣هـ[4] وأخيه عبد المؤمن[5] وقد تولى عدد كبير من أبناء هذه الأسرة وظيفة الأذان ورئاسة المؤذنين بالمسجد الحرام حيث تولى رئاسة المؤذنين عشرة من أبناء هذه الأسرة نذكر منهم الشيخ محمد بن عبد الله بن علي بن محمد الكازروني، فقد كان رئيساً للمؤذنين ومن محدثي الحرم الشريف[6]، والشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن علي الكازروني[7] فقد تولى

---

(١)هو سليمان بن أبي السعود بن عمر المغربي المؤذن بالمسجد الحرام، سمع من عدد من العلماء كان شريكاً في أذان بمئذنة باب العمرة، وكان ينوب عن الريس في الأذان على زمزم توفي سنة ٨٥٩هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٦٤.

(٢)هو عبد اللطيف بن أحمد بن عبد السلام بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد السلام الكازروني المؤذن بالمسجد الحرام يشتهر بالدب، أذن بمئذنة باب العمرة بعد أبيه وجده ، ناب في رئاسة المؤذنين توفي بمكة سنة ٨٢٧ هـ.

المصدر السابق، جـ٤، صـ٣٢١.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٧٥٦.

(٤)هو عبد السلام بن أبي المعالي بن أبي الخير ذاكر بن أحمد بن الحسن بن شهريار الكازروني مؤذن المسجد الحرام، لم يعرف تاريخ ميلاده، كان من شيوخ الصوفية، أقام بمكة مجاوراً أكثر عمره، وكان صاحب عبادة حج ما يقارب ٥٠ حجة توفي سنة ٦٢٨هـ. الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٧٤.

(٥)المصدر السابق، جـ٥، صـ٧٤.

(٦)المصدر السابق، جـ٢، صـ٢١٤.

(٧)هو محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله الكازروني المكي المؤذن رئيس المؤذنين ولد بمكة سنة ٧٩٤هـ أجاز له عدد من العلماء تولى رئاسة المؤذنين بمكة توفي بمكة سنة ٨٥٧هـ.

رئاسة المؤذنين وكان على درجة كبيرة من العلم حيث أجازه كثير من العلماء وقد توفي عام ٨٥٧هـ[١].

ومن الأسر التي تقلد بعض أفرادها الأذان بالحرم الشريف أسرة سالم[٢] بن ياقوت المكي فقد تولى عدد من أفرادها الأذان بمئذنة باب الحزورة، حتى كانت هذه المئذنة شبه حكراً عليهم. ومن أفرادها الشيخ سالم بن ياقوت المكي[٣] وابنه الشيخ أحمد[٤] بن سالم بن ياقوت المتوفى سنة ٧٧٨هـ[٥]، وابنه الشيخ محمد بن أحمد بن سالم بن ياقوت[٦]. وأسرة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أبي الفتح العمري المصري حيث اشتهر أفراد هذه الأسرة بالآذان بمئذنة دار الندوة حيث توارثوا الآذان بها ومن رجالها: الشيخ محمد بن عبد الرحمن العمري المصري فقد كان محدثاً بالمسجد الحرام سمع منه عدد من طلبة العلم وقد

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ٢٦.

(١)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٢٨٥. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ٢٦.

(٢)هو الشيخ سالم بن ياقوت المكي أبو أحمد ولد سنة ٦٦٦هـ سمع من عدد من العلماء وحصل على إجازة بالعلم وجلس للحديث، تولى الأذان بالمسجد الحرام توفي بمكة سنة ٧٦٣هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ٧٥.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ١٥٨. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ٧٥.

(٤)هو أحمد بن سالم بن ياقوت المكي المؤذن بالمسجد الحرام ولد سنة ٦٩٧هـ، سمع العلم على عدد من العلماء، واشتغل بعلم الحديث، كان يؤذن بمئذنة باب الحزورة، توفي سنة ٧٧٨هـ بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٦.

(٥)المصدر السابق، جـ٣، صـ٢٦.

(٦)المصدر السابق، جـ٢، صـ١١.

توفي عام ٧٢٩هـ[١]، والشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن[٢] المتوفى عام ٧٧٠هـ[٣]، وابنه أحمد المتوفى عام ٧٨٣هـ[٤].

وأسرة الشيخ إسماعيل بن علي بن محمد البيضاوي الزمزمي[٥]، فقد تلت هذه الأسرة أسرة سالم بن ياقوت في الآذان بمئذنة باب الحزورة ومئذنة باب سويقة، ومن أشهر رجالها: الشيخ إسماعيل بن علي بن محمد بن داود البيضاوي الزمزمي، الذي كان من أشهر الأدباء وقد توفي عام ٨٣٨هـ[٦] وابنه محمد بن إسماعيل[٧]حيث تقلد الأذان بعد والده وتوفي عام ٨٩٢هـ[٨]، ثم تولى بعده ابنه علي بن محمد بن إسماعيل الذي كان عالماً في الفقه والفلك والفرائض والأدب العربي وقد توفي عام ٨٨٥هـ بمكة[٩].

---

(١)المصدر السابق، جـ٢، صـ٢٣٩. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٨٨.

(٢)هو الشيخ محمد بن أبي الطاهر محمد بن عبد الرحمن العمري المكي، كان يؤذن بمئذنة دار الندوة بالمسجد الحرام، كان يحدث في المسجد الحرام بكتاب الموطأ، كان يشتهر بكثرة الأكل.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٤، صـ١١٦.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٦٥. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ١١٦.

(٤)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥٣٩.

(٥)هو إسماعيل بن علي بن محمد بن داود البيضاوي المكي الزمزمي ولد سنة ٧٦٦هـ بمكة سمع بها من عدد من العلماء ورحل لطلب العلم إلى القاهرة، كان ملازماً لخدمة قبة العباس، حدث قليلاً، وعمل بسقاية العباس مات بمكة سنة ٨٣٨هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٣٠٢.

(٦)ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٨، صـ٣٦٠. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ٢٢٦.

(٧)هو محمد بن إسماعيل بن علي بن محمد البيضاوي الأصل المكي الزمزمي، ولد سنة ٨٠٩هـ، سمع من عدد من العلماء، وحصل على إجازات بالتدريس، عمل مؤذناً مع أخوته في مئذنة سويقة والحزورة، سنة ٨٩٢هـ.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٨٤.

(٨)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٧، صـ١٣٨.

(٩)المصدر السابق، جـ٥ صـ٢٩١.

البوابون:

كان للمسجد الحرام تسعة عشر باباً يدخل منها قاصدو المسجد الحرام[1]، وكان لهذه الأبواب بوابون يقومون بحفظها وتقلدوا عمل البوابة، وقد كان هؤلاء البوابون من علماء مكة وفقهائها وقضاتها[2] وربما يكون إضافة عمل البوابة لهذه الفئة من الناس بحكم تواجدهم بشكل كبير في المسجد الحرام، ولم يقم هؤلاء البوابون بأمر البوابة على الوجه الأكمل حيث كانت أبواب المسجد الحرام مشرعة طوال الوقت، ولم يرد عن قضاة مكة وفقهائها أنهم قاموا بأمر البوابة وذلك لعدم وجود حاجة مُلحة لإغلاق أبواب المسجد الحرام حيث تبقى في الأغلب مفتوحة لكثرة المتعبدين في كل الأوقات .

ولم يُخصص لأبواب المسجد الحرام بوابون مختصون بهذه الوظيفة إلا عام ٨٣٠هـ عندما أمرت السلطة في مصر بعزل البوابين السابقين وتولية الوظيفة لبوابين متفرغين لعمل البوابة بالمسجد الحرام، فعين لكل باب بواب خاص به وحدد عمله بحيث طلب منه عدم مغادرته لا ليلاً ولا نهاراً، ويقوم بحراسته من الداخلين لغير العبادة ومن الدواب، وتنظيف الباب وكنسه وبحكم أن الأرض ترابية يقوم البواب برش منطقة الباب بالماء[3]. وهذا يدل على أن السلطة في مصر كانت تأتيها أخبار دقيقة عن كل ما يحدث في مكة المكرمة والمسجد الحرام، ولم يكن هذا الأمر هو الأول في العصر المملوكي فقد حدث عام ٨٠٤هـ أن أمر الأمير بيسق الظاهري بوابي المسجد الحرام بملازمة أبوابه[4]، وقد كان الأمير بيسق قد لاحظ إهمال البوابين لأبواب المسجد الحرام وعدم قيامهم بوظيفتهم على الوجه الأكمل حيث بقي في مكة فترة طويلة عندما كان مشرفاً على عمارة المسجد الحرام بعد الحريق الذي أصابه عام ٨٠٢هـ[5]، وهذا يدل أيضاً أن

---

(١)الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٥٤٠. وأحمد محمد المكي، أخبار الكرام، صـ١٩٨.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٦٤٥.

(٣)المصدر السابق، جـ٣، صـ٦٤٥. أحمد السباعي، تاريخ مكة، صـ٣٠١، ٣٠٢.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٣٥٦. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٢٨.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٢٣.

القضاة والفقهاء الذين كانوا يتولون البوابة في المسجد الحرام كانوا مشغولين بوظائفهم الأخرى وعلومهم عن أمر البوابة فحدث عزلهم عام ٨٣٠هـ. وكان صدور هذا الأمر بالتدريج حيث أُقفل في بداية الأمر أبواب المسجد الحرام سوى أربعة أبواب: هي باب العمرة وباب السلام، وباب إبراهيم، وباب الصفا[1]، وقد تسبب هذا الأمر في إلحاق الضرر بالمجاورين بالمسجد الحرام حيث أن المسجد الحرام محاط بالأربطة والمساكن فتضرر سكانها فُطلب من السلطان الأشرف برسباي إعادة فتح الأبواب فاستجاب لهم ولكن نظمَ وضع البوابين[2].

مرتبات البوابين:

كان لبوابي المسجد الحرام مرتباً خاصاً لعمل البوابة ولم يُعرف كمية هذا المرتب الذي خصص لهم، وكانوا أيضاً يحصلون على مبالغ مالية من الأوقاف التي خصص واقفوها للبوابين مبلغاً من إيرادها فقد خصص السلطان الأشرف شعبان مبلغ ألفي درهم تقسم بين بوابي المسجد الحرام بالتساوي كل عام[3]. وفي عهد السلطان الأشرف برسباي عام ٨٣٠هـ وعندما خصص للمسجد الحرام متفرغين حدد لكل واحد منهم مرتب خاص كل عام قدره عشرة أشرفية من الأوقاف المخصصة للحرمين[4].

---

(١)باب السلام: وكان يسمى باب بني شيبة ويقع في الجهة الشرقية من المسجد الحرام.

باب إبراهيم: يقع في الجانب الغربي من المسجد الحرام وهو نسبة لخياط كان بالقرب منه يدعى إبراهيم.

باب الصفا: يقع في الجانب الجنوبي من المسجد الحرام بالقرب من الصفا بداية السعي.

الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، صـ٤٤٩. وباسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، صـ١٧٠.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٦٤٥.

(٣)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، صـ٢٣٨.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٦٤٥. ومحمد طاهر كردي، التاريخ القويم، جـ٤، صـ٤٢٤.

أشهر البوابين:

من أ شهر البوابين الذين عملوا في وظيفة البوابة بالمسجد الحرام نذكر منهم:

١ــ إبراهيم بن حسين بن عمر الشيرازي[١] المكي الخياط، وهو أحد الفقهاء الذين تولوا البوابة فقد حدث بالحرم الشريف سنة ٧٦٩هـ وكان بواباً لباب بني شيبة وكان أيضاً يمارس مهنة الخياطة بالقرب من الباب المذكور[٢].

٢ــ أبوبكر العجمي كان بواباً لباب أجياد الصغير وقد توفي عام ٨٤٢هـ بمكة[٣].

٣ــ جمال الدين الفيومي[٤]كان بواباً بباب الزمامية[٥] بالمسجد الحرام وتفي عام ٨٦٧هـ[٦].

٤ــ بشير العظمة كان بواباً وفراشاً بالمسجد الحرام توفي سنة ٩١٤هـ[٧].

---

(١)هو إبراهيم بن حسين بن عمر بن أبي بكر الشيرازي، تلقى العلم على يد عدد من العلماء وأجيز له من عدد منهم، وجلس للحديث سنة ٧٦٩هـ كان يعمل بالخياطة بالقرب من باب السلام.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١٣٣.

(٢)المصدر السابق، جـ٣، صـ١٣٣.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٣٠٣. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـ١٠٠.

(٤)جمال الدين الفيومي قدم إلى مكة للحج فجاور بها وكان مصاحباً للفقراء بمكة وعين بواباً للزمامية أول ما أنشئت واستمر متولياً إلى أن مات سنة ٨٦٧هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٣٤١.

(٥)باب الزمامية، يقع هذا الباب في الجهة الشمالية من المسجد الحرام وهو تابع للمدرسة الزمامية.

باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، صـ١٨٢.

(٦)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٤٤٨.

(٧)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٣٧٦.

الطـــوافة:

الطوافة مأخوذة من الفعل طاف، وطاف بالبيت أي دار حوله[1] والطوافة مهنة بدأ ظهورها في العصر المملوكي عام ٨٨٤هـ حيث ذكر أن القاضي برهان الدين بن ظهيرة طوف السلطان قايتباي عندما حج في تلك السنة حيث كان يلقنه الأدعية في الطواف والسعي[2]، و لم يذكر أنه كان بالمسجد الحرام مطوفون يطوفون حجاج بيت الله الحرام ويتخصصون بهذا العمل، حتى لعلية القوم فقد حج عدد من سلاطين المماليك وأمرائهم و لم يكن أحد من العلماء والفقهاء يطوفهم، بل ورد أن بعضهم كان يطوف كواحد من المسلمين لا يحجبه عنهم أحـــد ومن ذلك السلطان الظـــاهر بيبرس عام ٦٦٧هـ[3].

والسلطان الناصر محمد بن قلاوون وقد حج حجتين الأولى عام ٧١٢هـ والثانية عام ٧٣٢هـ[4]، ويعتبر عمل هذا القاضي بداية عمل الطوافة حيث ورد بعد هذا التاريخ عام ٩١٣هـ أن الفخري أبا بكر بن إسماعيل بن أبي مزيد، طوف ناظر الخاص[5] علاء الدين[6] علي عندما قدم معتمراً لمكة[7].

---

(١)ابن منظور، لسان العرب، جـ٨، صـ٢٢٢.

(٢)الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، جـ٣، صـ١٧٢٠. والطبري، اتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٨١. وفؤاد عنقاوي، مكة الحج والطوافة، صـ٢٧٨. والعصامي، سمط النجوم العوالي، جـ٤، صـ٤٦. وابن فهد، اتحاف الورى، جـ٢، صـ٦٤٦. والنهروالي، الإعلام، صـ٢٥٠. وأحمد دحلان، أمراء البلد الحرام، صـ٦٦.

(٣)المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٢، صـ٦١.والجزيرى، الدرر الفرائد ا لمنظمة، جـ٣،صـ١٧٢٠.

(٤)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٢، صـ٤٨٢، جـ٩، صـ١٠٥. والمقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، صـ١٥٩.

(٥)ناظر الخاص: هو الرجل المتولي النظر في أموال السلطان الخاصة.

القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، صـ٤٦٥.

(٦)هو علاء الدين علي بن الإمام، عينته الدولة لحل المنازعات بين رجال الدولة في جدة وللمتابعة في تجهيز الجيوش لحرب البرتغاليين في سواحل الهند الغربية.

ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ٤، صـ١١٦.

(٧)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٣٠٩.

وفي عام ٩١٧هـ طوف علي بن راشد أمير الحاج طومان[1] باي وسعاه[2]. وفي عام ٩٢٠هـ طوف القاضي صلاح الدين بن ظهيرة وسعى الأمير محمد بن السلطان قانصوه الغوري سلطان المماليك[3]. وفي عام ٩٢١هـ طوف القاضي صلاح الدين بن ظهيرة الشريف بركات عندما قدم مكة[4]. وهذا يدل على ظهور مهنة الطوافة بشكل تدريجي لعلية القوم حتى اتخذ العرب لهم مطوفين يلقنوهم الأدعية ولعل الدافع الأرجح لهذا ظهور وتأليف الأدعية في هذا العصر التي استحسنها الناس لشمولها.

---

(١)هو طومان باب آخر ملوك الجراكسة تولى الملك بعد مقتل قانصوة الغوري في مرج دابق مع العثمانين وقاوم طومان باي السلطان سليم وحاربه في موقعة الريدانية فهُزم وهرب إلى البادية فقبض عليه بعض شيوخ العرب وسلموه للسلطان سليم الذي قتله ٩٢٣هـ.

النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، صـ٢٥٨.

(٢)ابن فهد ، بلوغ القرى ، جـ١، صـ٥٠٣.

(٣)المصدر السابق، جـ٢، صـ٦٦٥.

(٤)المصدر السابق، جـ٢، صـ٦٩٨. وابن فهد، غاية المرام، جـ٣، صـ٣٢١.

المبحث الرابع: السقـــاية:

((السقاية: مأخوذة من الفعل سقى، وسقاه وأسقاه جعل له ماءً أو سقيا والسقي الحظ من الشرب، والسقاية الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم))[1].

والسقاية في المسجد الحرام اهتمت بها قريش وفاخرت بها القبائل في العصر الجاهلي، حيث كانت تسقي حجاج بيت الله الحرام، وقد تولى هذه المهنة عبد المطلب[2] جد رسول الله ﷺ بعد أن أعاد حفر بئر زمزم، وصار يسقي الحجاج وبعد وفاته تولى أمر السقاية ابنه أبو طالب[3] ثم تركها لأخيه العباس رضي الله عنه وتوارثها أبناء العباس من بعده[4]، واستمرت هذه السقاية طيلة العهود الإسلامية.

---

(١)ابن منظور، لسان العرب، جـ٦، صـ٢٩٩.

(٢)عبد المطلب هو شيبة بن هاشم بن عبد مناف، أمه من بني النجار من المدينة المنورة تدعى سلمى بنت عمرو من بني عدي بن النجار، قدم به عمه المطلب إلى مكة لأن أباه قد توفي بالشام فلما رأته قريش اعتقدت أن المطلب اشتراه فقالوا عبد المطلب وبعد وفاة المطلب تولى ابن أخيه شيبة ((عبد المطلب)) السقاية والرفادة، ثم حفر بئر زمزم وأصبح سيد مكة بدون منازع. وقد توفي عندما بلغ النبي ﷺ ثمان سنين.

ابن هشام، السيرة النبوية، جـ١، صـ١٢٢.

(٣)هو أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم، عم رسول الله وهو الأخ الشقيق لوالد النبي ﷺ أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ من بني مخزوم، وقد كفل النبي ﷺ بعد وفاة جده عبد المطلب، وكان به رحيماً، وقف مع النبي مواقفاً مشرفة في الدفاع عنه من أذى المشركين وتحمل الكثير.

المصدر السابق، جـ١، صـ١٥٦.

(٤)ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٢، صـ٢٤٧.

وفي العهد المملوكي كانت هذه السقاية عبارة عن بناء مربع[1] الشكل بجوار بئر زمزم ومسقوف بقبة من الآجر وبداخل هذا البناء بركة كبيرة تملأ من بئر زمزم وبخارج البناء المربع حوضان من رخام[2]. ولعل الدافع وراء هذا البناء هو تخفيف الزحام عن بئر زمزم من كثرة الحجاج وأيضاً تبريد الماء في البركة الداخلية[3] بالإضافة إلى إمكانية الإضافة على الماء بما يعمله بعض المحسنين من إذابة السكر والعسل لحجاج بيت الله تقرباً واحتساباً[4] ثم سقيهم منه وصعوبة عمل ذلك في البئر نفسها.

وفي العصر المملوكي عام ٨٠٧هـ جدد هذا البناء بأمر الملك الناصر محمد بن قلاوون[5] وقد أطلق على هذه القبة اسم قبة الشراب حيث يشرب الحجاج منها بالإضافة إلى شربهم من بئر زمزم[6].

وعندما آلت الخلافة إلى بني العباس أخذ الخلفاء يستنيبون عنهم من يقوم بأمر بئر زمزم وسقاية جدهم العباس منذ عهد الخليفة المنصور[7].

وفي العصر المملوكي اشتهرت أسرة البيضاوي في تولي أمر بئر زمزم وسقاية العباس وعرف أفرادها بلقب الزمزمي نسبة إلى بئر زمزم وتنتسب هذه الأسرة للشيخ علي

---

(١)كانت هذه السقاية في بدايتها حوضاً بناه عبد المطلب بقرب بئر زمزم لكي يشرب الحجاج ثم بنى حوضاً آخر بقرب زمزم وكان حوضاً للشرب وحوضاً للضوء، وكان مجلس بن عباس بقرب زمزم تجاه الصفا، ثم عملت قبة في هذا الموضع في خلافة المهدي العباس.

الأزرقي، أخبار مكة، جـ٢، صـ٤٣ ،٦٠. والفاكهي، أخبار مكة، جـ٢، صـ٨٣.

(٢)باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، صـ٢٣١.

(٣)العبدري، الرحلة، صـ١٧٦. وخالد البلوي، تاج المفرق، جـ١، صـ٣٠٦.

(٤)السخاوي، التبر السبوك، صـ١٤٨. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٥٠. والطبري، إتحاف الورى، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٣٨.

(٥)الفاسي، العقد الثمين، جـ١، صـ٢٦٠. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٤٤٣. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٤٠٤. وباسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، صـ٢٣١.

(٦)العبدري، الرحلة، صـ١٧٦. وخالد البلوي، تاج المفرق، جـ١، صـ٣٠٦.

(٧)ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٢، صـ٢٤٨.

بن محمد بن داود البيضاوي[١] المعروف بالزمزمي الذي قدم إلى مكة من العراق واستوطنها عام ٧٣٠هـ[٢] وتنازل له الشيخ سالم بن ياقوت المؤذن عن أمر البئر والسقاية والأرجح أن هذا الرجل ينتسب إلى أسرة كانت تتولى أمر السقاية من قبل الخلافة العباسية قبل الغزو المغولي وكانت تستنيب عنها من يقوم بأمر السقاية ولهذا تنازل الشيخ سالم عندما عرف ذلك فتولى علي بن محمد بن داود البيضاوي أمر زمزم[٣] ، وأيضاً لم يعارض الخليفة العباسي[٤] في القاهرة هذا الأمر بل كان يولي أفراد هذه الأسرة ويحل ما يحدث بينهم من مشكلات[٥].

وقد كان تولي أمر بئر زمزم وسقاية العباس يتم عن طريق الخليفة العباسي المقيم بالقاهرة حيث كان يولي هذ الوظيفة عادة لأحد أبناء هذه الأسرة وقد حدث بين أفراد هذه الأسرة تنافس على منصب تولي أمر السقاية مما حدا بالبعض للسعي في المشاركة عن طريق الخليفة العباسي المقيم في القاهرة[٦] بحكم أنه وريث عمل جده العباس بن عبد المطلب.

وقد كان عدد من أبناء هذه الأسرة على درجة كبيرة من العلم والتقوى وذلك بحكم عملهم بالمسجد الحرام الذي يعتبر أكبر جامعة إسلامية في ذلك الوقت فأخذوا ينهلون منه، ونذكر منهم: الشيخ إسماعيل بن علي بن محمد بن داود البيضاوي الزمزي

---

(١)هو علي بن محمد بن داود البيضاوي المعروف بالزمزمي، سمع من عدد من العلماء قدم إلى مكة من العراق سنة ٧٣٠هـ، تزوج من ابنة الشيخ سالم بن ياقوت، توفي سنة ٧٨٥هـ.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٢٩٥.

(٢)المصدر السابق، جـ٥، صـ٢٩٥.

(٣)المصدر السابق، جـ٥، صـ٢٩٥.

(٤)كان الخليفة العباسي في ذلك الوقت المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ولد سنة ٦٨٤هـ، وبويع بالخلافة سنة ٧٠١هـ وتوفي سنة ٨٤٠هـ.

السيوطي، تاريخ الخلفاء، صـ٤٤٥.

(٥)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٥٥٧.

(٦)المصدر السابق، جـ٤، صـ٥٥٧.

فقد كان من محدثي الحرم الشريف وتوفي سنة ٨٣٨هـ[١]، وأخيه الشيخ إبراهيم بن علي بن محمد[٢] البيضاوي الزمزمي الذي كان على درجة كبيرة من العلم وقد تميز واشتهر بعلمي الميقات والفرائض وألف فيهما الكتب، وكان يحدث ويدرس بالمسجد الحرام وقد توفي عام ٨٦٤هـ[٣].

وكان يتبع القائم بأمر سقاية العباس عدد من السقائين الذي مهنتهم سقي الناس في المسجد الحرام وأثناء الطواف نذكر منهم: محمد بن مصلح بن محمد العراقي المتوفى سنة ٨٤٣هـ[٤]. و عبد الله بن منصور الوجدي التلمساني المغربي المتوفي سنة ٨٥٥هـ[٥]. وعلي بن فخر الدين الدهلوي الهندي[٦]، المتوفى ٨٧٣هـ. ومحمد بن عبد الله العجمي المتوفى سنة ٨٨٢هـ[٧].

وقد كان يرد لبئر زمزم وسقاية العباس من أموال الأوقاف ما خصصه الموقفون لها ومن ذلك ما خصصه السلطان الأشرف شعبان حيث حدد مبلغ (٢٠٠) درهماً لمصالح بئر زمزم ولمن يقوم بأمر السقاية (٣٦٠) درهماً وحدد سقائين لسقي الناس الذين يطوفون بالبيت واحداً بالليل والآخر بالنهار ووضع لهم مرتباً سنوياً قدره (٧٥٠) درهم[٨]، وذلك رغبة في الأجر والمثوبة.

وقد كان المتولي لأمر السقاية لا يمنع الحجاج من الدخول لبئر زمزم وسقاية العباس مهما كثر عددهم مع ترك الحرية لهم في إخراج الماء من البئر والشرب من حوض السقاية[٩]، وهذا يدل على عدم أخذ أموال من الحجاج بل كان الأمر احتساباً للأجر من الله تعالى.

---

(١)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٦٢٧.

(٢)هو إبراهيم بن علي بن محمد بن داود المكي الزمزمي ولد سنة ٧٧٧هـ بمكة سمع على عدد من العلماء، وبرز في عدد من العلوم أشهرها علم الميقات والفرائض وألف فيها الكتب مات سنة ٨٦٤هـ.
السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ٨٦..

(٣)المصدر السابق، جـ١، صـ٦٠٢.

(٤)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٤٠٥. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـ٥١.

(٥)المصدر السابق، صـ٩٣٦. والمصدر السابق، جـ٥، صـ٧١.

(٦)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـ٦١.

(٧)المصدر السابق، جـ٨، صـ١٢١.

(٨)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، صـ٢٣٧.

(٩)العبدري، الرحلة، صـ١٧٦.

المبحث الخامس: نظارة الحرم:

الناظر مأخوذ من الفعل نظر أي نظر العين، والناظر الحافظ، وناظر الشيء حافظه[١] والنظر التأمل والتفكر في الأمر والشيء تقديراً وقياساً[٢]، وهي وظيفة مختصة بالأمور التي تتعلق بالأموال من إنفاق وجمع[٣] ، وبهذا على إبداء الناظر لرأيه يتم صرف أموال من الدولة لما يراه الناظر يحتاج من عمل، وفي العصر المملوكي كان الناظر في مكة المكرمة يسمى بشيخ الحرم فكان يقوم بالنظر في مصالح المسجد الحرام بما يحتاج من عمارة وإصلاح[٤] ويدل على هذا ما ذكر عن الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري أنه ولي نظر المسجد الحرام الذي كان يسمى مشيخة الحرم[٥] وهذه التسمية لم تكن في العصر المملوكي فقط فقد ذكرت قديماً وذلك يدل على أن هذا المنصب قد استحدث مسبقاً للقيام بمصالح المسجد الحرام ومن ذلك ما ذُكر عن علي بن جعفر السيرواني[٦] المتوفى سنة ٣٩٦هـ فقد ذُكر أنه كان شيخ الحرم بمكة[٧].

---

(١)ابن منظور، لسان العرب، جـ١٢، صـ١٩٣.

(٢)الفيروز آبادي، القاموس المحيط، صـ٤٣٦.

(٣)صبح الأعشى، جـ٥، صـ٤٦٥.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٢٤٠. ود.حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ٢، صـ٦٣٥.

(٥)الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٢، صـ١٩.

(٦)هو علي بن جعفر السيرواني أبو الحسن انتقل من مصر إلى مكة المكرمة فصار شيخ الحرم بها وقيل كان أحد المجاورين بمكة وقيل امتد به العمر حتى بلغ مائة وإحدى وأربعين سنة توفي سنة ٣٩٦هـ بمكة.
ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٠١٣.

(٧)المصدر السابق، جـ٢، صـ١٠١٣.

والأرجح أن هذه التسمية جاءت من مكانة متوليها حيث أن المتولين لهذا المنصب كان في بدايتهم من علماء الدين والذين كان يطلق عليهم لفظ الشيوخ ومفردها الشيخ تقديراً وتوقيراً لهم لمكانتهم العلمية والدينية[1].

وقد كانت حكومة المماليك تختار لنظارة المسجد الحرام منذ بدايتها من علماء مكة الذين اشتهروا بالعلم والمعرفة والديانة، وممن كانوا يعملون بالمسجد الحرام بنشر العلم بين طلابه، والأرجح في هذا الاختيار أن هؤلاء العلماء يقضون أكثر أوقاتهم في المسجد الحرام وبهذا يكونوا أكثر الناس معرفة بمصالحه. فأول من تولى النظر في المسجد الحرام في العصر المملوكي هو الشيخ منصور بن محمد الطائي المعروف بابن منعة وقد كان هذا الشيخ يلي هذا المنصب من قبل قيام دولة المماليك من عام ٦٢٤هـ وأبقته حكومة المماليك في منصبه وشغله حتى توفي عام ٦٦٤هـ، وقد كان على درجة كبيرة من العلم واشتغل بعلم الحديث[2]، ثم وليها ابن أخيه محمد[3] بن عبد الله بن منعة الذي استمر حتى وفاته في مشيخة الحرم ومات عام ٧٠٨هـ[4] وقد أضافت الدولة المملوكية العمل بنظارة الحرم الشريف إلى قضاة مكة مدة من الزمن.

فنجد أن هذا المنصب تولاه عدد من القضاة بجانب عملهم في القضاء مثل القاضي محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري، فقد تولى نظر المسجد الحرام بالإضافة إلى القضاء والحسبة وذلك عام ٧٦٣هـ، واستمر حتى وفاته عام ٧٨٦هـ[5]. والقاضي محمد بن أحمد بن محمد النويري فقد تولى قضاء مكة وحسبتها والنظر في مصالح المسجد الحرام عام

---

(١)د.حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٣٦٤.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ١٢٨.

(٣)هو محمد بن عبد الله بن منعة البغدادي شيخ الحرم ظهير الدين جاور بمكة أربعين سنة، وعمل بالحديث توفي بالمهجم من نواحي اليمن سنة ٧٠٨هـ.

اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، جـ٤، صـ٢٤٤.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٢١٨. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٤٦.

(٥)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٩. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢٩٢. وابن حجر، أنباء الغمر، جـ٢، صـ١٧٥.

٧٩٩هـ، واستمر حتى وفاته عام ٨٢٠هـ[١]، والقاضي محمد بن عبد الله بن ظهيرة جمال الدين أبو حامد فقد تولى قضاء مكة ونظر المسجد الحرام والخطبة والحسبة بمكة عام ٨٠٧هـ وقد توفي عام ٨١٧هـ وهو قائم بأعماله[٢]، والقاضي محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة فقد تولى نظارة الحرم مع القضاء والحسبة عام ٨٢٢هـ[٣] والقاضي الشافعي صلاح الدين بن ظهيرة فقد تولى نظارة الحرم مع القضاء وذلك عام ٨٢٢هـ[٤].

ومع تولي القضاة لمنصب نظارة المسجد الحرام إلا أنها لم تقتصر عليهم فقد ولت الدولة هذا المنصب لشخصيات أخرى من غير علماء الدين والفقهاء والقضاة نذكر منهم: داود بن علي الكيلاني[٥]، الذي عُين بدلاً من القاضي أبي السعادات محمد بن محمد بن ظهيرة عام ٨٣٧هـ، وقد كان هذا الرجل يعمل بالتجارة، وقد أنكر أهل مكة تعيين هذا الرجل وذلك لأنهم تعودوا أن يكون الناظر من قضاة مكة وأهل العلم بها وقد استجابت الدولة لطلبهم فعزلت دواد الكيلاني، ولكنها عينت بدلاً منه الأمير سودون المحمدي الذي كان يقوم بالإشراف على عمائر المسجد الحرام بعد ترشيح من قبل أمير مكة السيد بركات بن حسن بن عجلان[٦]. وفي عام ٨٣٩هـ عينت الدولة محمد بن قاسم بن عبد

---

(١)المصدر السابق، جـ٢، صـ٧٧، ا لمصدر السابق، جـ٧، صـ١٤٧، المصدر السابق، جـ٧، صـ٢٨٨.

(٢)الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٢، صـ٢٠٢. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٨، صـ٩٢. وابن حجر، أنباء الغمر، جـ٧، صـ١٥٧. والهيلة، التاريخ والمؤرخون، صـ٨٨.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٣٣٥. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ٢١٤. والهيلة، التاريخ والمؤرخون، صـ١٣٦.

(٤)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٣٠٣.

(٥)هو داود بن علي بن بهاء الدين شرف الدين الكيلاني التاجر الخواجا، كان صاحب تجارة عينه السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٣٥هـ ناظراً للمسجد الحرام ولم يتمكن من عمله لرفض أهل مكة لتوليه فعين بدلاً منه سودون المحمدي توفي سنة ٨٤٢هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢١٤.

(٦)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٣٣٩، جـ٢، صـ٧٢٦.

الرحمن الشيشني[١] أحد المقربين من السلطان برسباي واستمر إلى عام ٨٤٢هـ حيث أعيد الأمير سودون المحمدي السابق[٢] ومنهم الأمير بردبك التاجي الذي عُين ناظراً للمسجد الحرام عام ٨٥٤هـ واستمر إلى عام ٨٥٧هـ[٣].

وقد كان يتم تعيين الناظر للمسجد الحرام من قبل الخليفة العباسي وذلك لكي يظهر سيادة الخلافة العباسية الروحي على البلاد الإسلامية، ومن ذلك تعيين الخليفة العباسي المستنصر[٤] في مصر لعبد الرحمن بن عبد المعطي بن مكي الأنصاري وابن أخيه الشرف عبد المعطي بن أحمد النظر في مصالح المسجد الحرام عام ٦٥٩هـ.

وطلب منهما الإشراف على إقامة شعار الدولة العباسية في المشاعر المقدسة ومكاتبة الزعماء في سائر بلاد العالم الإسلامي بسيادة الدولة العباسية وأخذ البيعة، مع أن معظم البلاد الإسلامية كانت في ذلك الوقت في شبه استقلال كامل عن السيادة العباسية، ولكن نستدل من هذا رغبة الخلافة العباسية في عدم وجود زعامة منافسة لها وخصوصاً في الحرمين الشريفين وفي المشاعر المقدسة في موسم الحج، وكان من يعينه الخليفة يقوم بالأنابة عنه في مكة من يختاره ولهذا جاء في نص الخطاب ((وانه لهما الخيار في استنابة من

---

(١)هو محمد بن قاسم بن عبد الله بن عبد الرحمن الشيشني المحلي الشافعي، اهتم بالعلم منذ صغره فحفظ القرآن وعدة كتب، ناب في منصب القضاء بأحد مناطق مصر وأصبح صاحب نفوذ عند السلطان الأشرف برسباي وصار من أصحاب الوجاهة عينه الأشرف برسباي ناظراً للحرم وعُزل من قبل السلطان الظاهر جقمق توفي سنة ٨٥٣هـ بمصر.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٨، صـ٢٨١.

(٢)المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٧، صـ٣٠١. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٢٦. وأحمد دحلان، أمراء البلد الحرام، صـ٦٢. ك. سنوك، صفحات من تاريخ مكة، جـ١، صـ١٩٩.

(٣)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٦. والسخاوي، التبر السبوك، صـ٣٩١. النهروالي، الإعلام، صـ٢٣٧. والطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٤١.

(٤)هو الخليفة المستنصر بالله أحمد أبو القاسم بن الظاهر بأمر الله، كان محبوساً ببغداد عندما دخل التتار بغداد عام ٦٥٦هـ فأطلق واختباء في البادية، ثم قدم على الظاهر بيبرس في مصر وذكر نسبه فبايعه السلطان ورجال الدولة فهو أول خليفة عباسي في مصر وذلك عام ٦٥٩هـ ومات في المحرم سنة ٦٦٠هـ.

السيوطي، تاريخ الخلفاء، صـ٤٣٩.

يرونه لذلك))[1] والأرجح أن هذين الناظرين استنابا من كان يقوم بالوظيفة من قبل الحكم المملوكي وهو منصور بن محمد الطائي الشهير بابن منعة لأنه تقلد المنصب من عام ٦٢٤هـ إلى ٦٦٤هـ[2]. ونستدل من النص السابق أن الدولة كانت تعين أكثر من واحد في هذا المنصب وكذلك أيضاً عندما عينت الدولة الخطيب محمد[3] بن عبد الله الحموي فقد ورد أنه شارك في نظر الحرم ومشيخته[4] مما يدل أن هناك شريكاً له في النظر في مصالح المسجد الحرام والأرجح أن يكون شريكه في النظر القاضي الشافعي شهاب الدين الطبري لأن الذي عُين بدل الشيخ شهاب الدين الطبري هو الشيخ تقي الدين الحرازي الذي تولى القضاء والخطابة والنظر بعد صرف الخطيب الضياء الحموي سنة ٧٦١هـ[5] وبعد ما يقارب من ثلاث سنوات عُزل من الوظائف المذكورة وأسندت للشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري[6].

ولم يدم إرسال تعيين ناظر الحرم من قبل الخليفة العباسي بل أصبح يتم إرسال التعيين من قبل السلطان في مصر وربما ذلك لسيطرة السلاطين على الخليفة والحد من نفوذه وكان يرسل مرسوم سلطاني بهذه الوظيفة يُقرأ على رؤوس الأشهاد بالمسجد الحرام[7].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٤٠. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٨٥.

(٢)الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٦، صـ١٢٨.

(٣)هو الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي المكارم الحموي، سمع من عدد من العلماء ولد سنة ٧٠٦هـ حدث بالمسجد الحرام وأخذ عدد من العلوم، ولي خطابة المسجد الحرام سنة ٧٥٩هـ، وولي المشاركة في نظر المسجد الحرام ومشيخته وعزل سنة ٧٦١هـ، توفي سنة ٧٧٠هـ بمكة.

المصدر السابق ، جـ٢، صـ٢٢٦. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، صـ٤٨٥.

(٤)المصدر السابق ، جـ٢، صـ٢٢٦. المصدر السابق، جـ٣، صـ٢٩٥.

(٥)الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٢، صـ٧٣.

(٦)المصدر السابق، جـ٢، صـ٢١. وابن حجر، إنباء الغمر، جـ٢، صـ١٧٥. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢٩٢.

(٧)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥٦٧، جـ٤، صـ٢٢٢. والسخاوي، التبر السبوك، صـ٧٥. والنهراولي، الإعلام، صـ٢٣٧.

أعمال الناظر:

من خلال النصوص التي وردت عن نظارة الحرم الشريف تستخلص الأعمال التي يكلف بها ناظر المسجد الحرام وهي:

١ــ تفقد المسجد الحرام وإبداء وجهة النظر في ما يحتاج من عمارة وتجديد.

٢ــ تفقد الأربطة والأوقاف والمدارس بمكة المكرمة والعناية بها.

٣ــ إظهار شعار الدولة العباسية في المسجد الحرام والمشاعر المقدسة وفي المواسم الدينية وسيادتها الروحية على العالم الإسلامي[١].

٤ــ تنفيذ أوامر السلطان فيما يتعلق بجباية الأموال والإعفاء، وإعلان مراسيم السلطان بالمسجد الحرام.

٥ــ القيام بالعمارة فيما تأمر به الدولة بمكة المكرمة بالمسجد الحرام وغيره[٢].

٦ــ اختيار المعلمين فيما تأمر به الدولة من دروس في المسجد الحرام[٣].

٧ــ إقامة حفل المولد النبوي، ودعوة الفقهاء والأعيان إليه[٤].

٨ــ الاهتمام بالأموات الذين ليس لهم من يقوم بهم وتغسيلهم وتكفينهم ودفع أجرة من يقوم بذلك[٥].

---

(١)ابن فهد إتحاف الورى ، جـ٤، صـ٢٩٨، ٣٠٤. والنهراولي، الإعلام، صـ٢٣٧.

(٢)المصدر السابق ، جـ٤، صـ٢٩٨، ٣٠٤. والمصدر السابق ، صـ٢٣٧.

(٣)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، صـ٢٣٢.

(٤)ابن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٣٢٩، ٣٥٠.

(٥)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، صـ٢٣٩.

٩ـ المشاركة في حماية مكة المكرمة من الغزو ومن ذلك خروج الأمير تنم ناظر المسجد الحرام مع المدافعين عن مكة عام ٨٤٧هـ[١].

١٠ـ عزل من يرى عزله من الفراشين بالمسجد الحرام، فقد عزل الناظر برهان بن ظهيرة الشيخ عمر بن بيسق شيخ الفراشين، وعين بدلاً منه الشيخ أحمد بن عبد السلام الفيومي النجار وذلك عام ٨٧٦هـ[٢].

١١ـ استخلاص أموال الحرمين التي على الأرجح من أموال الأوقاف بالبلاد الأخرى فقد بعث الناظر برهان الدين بن ظهيرة النور علي بن محمد بن أحمد الصنبداوي المكي لتحصيل أموال الحرمين بالعراق[٣].

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢١١. ود.عبد الكريم علي باز، ناظر الحرم في العصر المملوكي. مجلة جامعة أم القرى، العدد ٥، العام ١٤١١هـ، صـ١٦٨.

(٢)المصدر السابق، جـ٤، صـ٥٤. والمصدر السابق، صـ١٦٩.

(٣)عبد الكريم علي باز، ناظر الحرم في العصر المملوكي، مجلة جامعة أم القرى، عدد ٥، ١٤١١هـ، صـ١٦٩.

المبحث السادس: الحسبة:

الحسبة في اللغة مأخوذة من الفعل حسب بمعنى عدّ، وكل ماهو معدود محسوب[1] والحسبة شرعاً: ((هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله))[2].

والحسبة وظيفة دينية ظهرت بظهور الدين الإسلامي الذي يمنع جميع صور الظلم بين الناس. فقد كان رسول الله ﷺ يقوم بعمل المحتسب في أمره بالمعروف تنفيذاً لأوامر الله سبحانه وينهى أصحابه عن المنكر في جميع صوره ومن ذلك موقفه ﷺ عندما مر على بائع يبيع طعاماً فأعجبه فأدخل يده فيه فوجد به بللاً فعندما سأل البائع عن سبب ذلك قال أصابته السماء فأنكر عليه النبي ﷺ إخفاء المبتل وإظهار الحسن بقوله ﷺ ((من غشنا فليس منا))[3].

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُحدثت وظيفة الحسبة بتقليد موظف مختص يقوم بأمرها فكان عبد الله بن عتبة[4] أول محتسب تولى هذه الوظيفة، حيث كان يراقب المكاييل والموازيين في الأسواق ويمنع الغش[5].

واستمرت الدول الإسلامية المتعاقبة في تعيين وظيفة المحتسب في الأمصار الإسلامية وفي العهد المملوكي كانت وظيفة المحتسب من الوظائف التي اهتمت بها الدولة.

ومن أهم المناطق التي بحاجة إلى محتسب منطقة الحجاز وخصوصاً مدينة مكة المكرمة وذلك لخصوصية هذه المدينة بمكانتها الدينية لدى العالم الإسلامي وذلك لكثرة

---

(١)ابن منظور، لسان العرب، جـ٣، صـ١٦٣. والفيروز أبادي، القاموس المحيط، صـ٧٠.

(٢)الماوردي، الأحكام السلطانية، صـ٢٠٧. والفراء، الأحكام السلطانية، صـ٢٨٤.

(٣)الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، المكثرين من الصحابة، حديث رقم ٤٨٦٧.

(٤)هو عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل من بني زهرة من قريش ذكر عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمله على السوق، روي عن عمر بن الخطاب ثم تحول إلى الكوفة فسكنها وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان. ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٥، صـ٥٨.

(٥)أحمد، المراغي، الحسبة، مجلة نور الإسلام، عدد ٨، صـ٦٩٣.

زوارها، فكانت وظيفة المحتسب ضرورية لمراقبة الأسواق والآداب العامة حتى لا يتعرض حجاج بيت الله الحرام لأي نوع من أنواع الاستغلال، ومنع ما يضر بالمسلمين، ومن خلال مراجعة كتب التاريخ والتراجم المتعلقة بمكة خلال العصر المملوكي لم نجد ما يشير أنه كان بمكة محتسب قبل عام ٧٦٣هـ حيث ورد لفظ وظيفة الحسبة عند تعيين الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري لهذه الوظيفة محتسباً لمكة، والأرجح أن هذه الوظيفة كانت موزعة مهامها على من يقوم بالوظائف الأخرى مثل القضاة ونظار الحرم، والوالي المملوكي المقيم بمكة والسيد الشريف حاكم مكة. وقد ورد في ترجمة الشيخ القاضي المحتسب محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري أنه تولى مناصب عديدة منها خطابة المسجد الحرام ونظره وأنه تقلد وظائف بعضها لم يكن إلا في زمانه[1] ولعل المقصود هنا بالحسبة فهو أول محتسب في مكة على الأرجح لأن جميع الوظائف الأخرى التي تقلدها كانت موجودة قبل تولي هذا الشيخ مثل القضاء، ونظر المسجد الحرام والخطابة، وبهذا تكون الدولة قد جعلت وظيفة المحتسب في مكة من اختصاص علماء مكة من قضاة وخطباء وعلماء، وذلك رغبة في قيام الوظيفة على الوجه الأكمل لمعرفة القضاة والعلماء بحدود الشرع، على الأرجح.

وقد استمرت وظيفة الحسبة بمكة يتولاها قضاة مكة وعلماؤها ومن أشهرهم القاضي عز الدين محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري، حيث تولى سنة ٧٩٩هـ حسبة مكة مع القضاء والخطابة ونظارة المسجد الحرام حتى توفي عام ٨٢٠ هـ[2] وقد تخلل فترة تولي هذا الشيخ تنافس على هذا المنصب مع القاضي جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة[3].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٨.

(٢)ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٧، صـ٢٨٨. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ١٤٧. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٧، صـ٤٥.

(٣)الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٢، صـ٢٠٢. وابن حجر، إنباء الغمر، جـ٧، صـ١٥٧. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٨، صـ٩٢. والمقريزي، السلوك، جـ٦، صـ٣٧٢.

والشيخ محمد بن أحمد بن الضياء الحنفي الذي تولى الحسبة بمكة سنة ٨٢٧هـ إضافة لما كان يشغله من منصب القضاء، واستمر إلى عام ٨٣٠هـ[١].

وقد حدث أن تولى منصب الحسبة اثنان بالشراكة وهما الشيخ إسماعيل بن محمد بن أحمد بن محمد النويري[٢]، وأخيه أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد النويري الملقب عز الدين عام ٨٣٠هـ، ولم يكونا من قضاة مكة بل كانا على درجة كبيرة من العلم وهما أبناء المحتسب الشيخ القاضي محمد بن أحمد بن محمد النويري السالف الذكر. وبعد وفاة الشيخ إسماعيل[٣] بن محمد عام ٨٣٣هـ أنفرد أخوه أحمد عز الدين بالحسبة لوحده واستمر إلى عام ٨٤٢هـ حيث عزل ثم أُعيد واستمر إلى عام ٨٥٠هـ[٤].

ولم تقتصر الدولة على تولية منصب الحسبة على علماء مكة وقضاتها بل عينت من غير الوسط العلمي الديني بمكة، وأول من تولى الحسبة من غير العلماء هو عبد الرحمن بن محمد بن غانم[٥] الذي تولى بأمر شريف مكة السيد أبي القاسم بن حسن بن عجلان عندما طلبت منه السلطة في مصر تعيين محتسب بدلاً من الشيخ عز الدين أحمد بن محمد النويري عام ٨٤٨هـ[٦].

---

(١)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥٤، ٣٣٥. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٦٠٩. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ٢١٤.

(٢)ابن فهد الدر الكمين ، جـ١، صـ٦٣٢.

(٣)هو إسماعيل بن محمد بن أحمد النويري، ولد سنة ٨٠٦هـ بمكة وسمع من عدد من العلماء، باشر الحسبة بمكة شريكاً لأخيه، ودخل القاهرة فاشتغل بها مات بالقاهرة سنة ٨٣٣هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٣٠٦.

(٤)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥٠٧. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٢، صـ٨٤.

(٥)هو عبد الرحمن بن محمد بن غانم المكي الشهير بابن غانم، تولى الحسبة بمكة بعد الشيخ أحمد النويري في عام ٨٤٨هـ وقد عينه شريف مكة السيد أبو القاسم بعد أن طلبت منه الدولة تعيين محتسباً لمكة ولم يلبث أن عزل وأعيد الشيخ أحمد النويري فاستمر إلى عام ٨٥٠هـ، ثم عين الشيخ عبد الرحمن بن غانم واستمر إلى أن توفي عام ٨٦٢هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٨٣٠.

(٦)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ١٤٣. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٣٥.

ثم عينت الدولة الناظر بيرم خجا الذي تقلد الحسبة عام ٨٥٠هـ[١] مع نظارة المسجد الحرام، وقد قدم من مصر وتقلد هذين المنصبين، واستمر إلى عام ٨٥٤هـ حيث عُين بدلاً منه الأمير بردبك التاجي ناظراً ومحتسباً[٢]، وبهذا يكون تقلد الأمراء الأتراك لمنصب الحسبة بمكة منذ عام ٨٥٠هـ إلى نهاية الدولة المملوكية عام ٩٢٣هـ ماعدا فترة بسيطة تقلد الشريف محمد بن بركات الحسبة وذلك عام ٨٧٣هـ ولم يكن الشريف محمد بن بركات يرغب في تقلدها، ولكن كانت رغبة السلطان في مصر ولعل الهدف أن السلطة رأت في شخص حاكم مكة أكثر حزماً في تطبيق الحسبة. ولم يستمر الشريف محمد بن بركات طويلاً حيث عينت الدولة الأمير مغلباي[٣] محتسباً لمكة[٤].

هذا وقد كانت الدولة في مصر تراقب أعمال المحتسبين وقيامهم بعملهم بإخلاص حيث يُنقل لها صورة كاملة عن تصرفات المحتسبين وتعاملهم مع الناس.

ومن ذلك ما ورد عام ٨٤٨هـ من طلب الدولة من حاكم مكة الشريف أبي القاسم بالتحري عن المحتسب الشيخ عز الدين النويري وذلك أن الدولة قد وصلها أخبار بأخذه الرشوة، وأوكلت الأمر للشريف أبي القاسم في تعيين محتسب آخر إذا ثبت تعاطي المحتسب للرشوة وقد قام الشريف أبو القاسم بما طلب منه ولم يثبت على الشيخ عز الدين أخذه للرشوة ومع ذلك عُزل وولي عبد الرحمن بن محمد بن غانم. والدليل على براءة الشيخ عز الدين إعادته للحسبة بعد فترة وجيزة جداً واستمراره إلى عام ٨٥٠هـ[٥] وعدم محاسبته أومعاقبته، ولم يكن عزله إلا بطلب أحد المقربين من الشريف أبي القاسم[٦].

---

(١)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥٠٧.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٢٩٧.

(٣)مغلباي ويسمى مغلباي الأحمدي الأشرفي، ويعرف بميق، كان باشا بمكة عقب طوغان شيخ ثم نقل إلى القاهرة. السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠، صـ١٦٤.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٤٩١، صـ٥٣٢.

(٥)المصدر السابق، جـ٤، صـ٢٣٥. وابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥٠٧.

(٦)المصدر السابق، جـ٤، صـ٢٣٥. والمصدر السابق، جـ١، صـ٥٠٧.

وقد كانت تولية المحتسب لحسبة مكة يتم عن طريق السلطان في مصر ويرسل بذلك مرسوماً سلطانياً يُقرأ على رؤوس الأشهاد بالمسجد الحرام، وقد كانت الدولة أحياناً توكل تعيين المحتسب لأمير مكة لاختيار من يراه أهلاً لهذا المنصب، ولكن الأغلب كان التعيين يأتي من مصر[1].

وعندما يقدم المحتسب إلى مكة يخرج للقائه حاكم مكة الشريف ومن ذلك خروج الشريف بركات حاكم مكة لمقابلة المحتسب آصباي والاحتفاء به سنة ٩٠٦هـ[2]. وقد كان للشريف حاكم مكة نفوذ على المحتسب بما يشبه المراقبة فعندما يحصل من المحتسب تجاوز لبعض صلاحياته أو تشديد على الناس بما يخالف الشرع فيلجأ الناس للشريف فينظر في الأمر ويأمر بما يراه مناسباً، وقد يعزله أو ينفيه إلى خارج مكة أحياناً ويعين بدلاً منه إلى حين قدوم محتسب من مصر جديد[3].

أعمال المحتسب:

يقوم المحتسب بأعمال عديدة هدفها المحافظة على التعاليم الإسلامية التي تحفظ حق الناس في الحياة بأمن واطمئنان ويمنع صور الظلم المتعددة ومنها:

١ـ منع البيع والشراء في السلع الضرورية من قبل بعض الأفراد الذين يؤدي بيعهم وشراؤهم إلى ظهور غلاء فاحش يتضرر به الإنسان العادي.

ومثل ذلك منع المحتسب للمصريين من البيع والشراء في الحب عام ٨٩٩هـ بمكة المكرمة لما يسببه عملهم من ضرر بارتفاع سعر الحب[4].

٢ـ مشاركة المحتسب للدفاع عن أمن الناس بمكة المكرمة ومن ذلك استشهاد المحتسب آصباي في معركة للدفاع عن مكة عندما هاجمها الشريف هزاع عام ٩٠٧هـ[5].

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٥٩٢هـ. والمصدر السابق، جـ٢، صـ٨٣٠.

(٢)ابن فهد، غاية المرام، جـ٣، صـ١٠٠.

(٣)المصدر السابق، جـ٢، صـ٥١٢، جـ٣، صـ٢٣١.

(٤)المصدر السابق ، جـ٢، صـ٥٧٧.

(٥)المصدر السابق، جـ٣، صـ١٠٠.

٣ـــ مراقبة المكاييل والموازيين ومعاقبة من ينقصها[١].

٤ـــ الإشراف على نظافة الطرق من المخلفات ومعاقبة من يلوث الشوارع بالقمائم[٢].

٥ـــ حضور إقامة الحدود ومعاقبة الخارجين على الآداب الإسلامية.

٦ـــ مراقبة العملة التي يتعامل بها الناس في البيع والشراء، ومنع ما تراه الدولة ليس لها فائدة وتضر بالناس[٣].

٧ـــ جمع الأموال التي تجمعها الدولة رسوماً على البضائع التي تباع في الأسواق وخارجها[٤].

نواب المحتسب:

كان المحتسب بمكة ينيب عنه من يقوم بعمله وهذا يكون عادة إذا كان المحتسب يتقلد مناصب أخرى مما يجعله ينشغل عن بعض أعماله فينيب عنه، ومن ذلك عندما كانت الحسبة يتقلدها قضاة مكة وعلماؤها، ومن أشهر نواب المحتسبين بمكة الشيخ حسين[٥] بن يوسف بن يعقوب الحصنكيفي المكي، فقد ناب في الحسبة عن القاضي محب الدين النويري، ثم عن ابنه عز الدين النويري وقد توفي سنة ٨٠١هـــ ثم تقلد الإنابة ابنه

---

(١)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـــ١، صـــ٣١٨، جـــ٢، صـــ٦٨٤. وأحمد المراغي، الحسبة، مجلة نور الإسلام، العدد ٨، صـــ٦٩٣.

(٢)ابن فهد ، بلوغ القرى ، جـــ١، صـــ٤٢٧.

(٣)المصدر السابق، جـــ٢، صـــ٦٧٠.

(٤)ابن فهد، غاية المرام، جـــ٣، صـــ٢٣١.

(٥)هو حسين بن يوسف بن يعقوب الحصنكيفي المكي، ولد سنة ٧٣٤هـــ بمكة وسمع من عدد من العلماء، ناب بمكة في الحسبة عن المحب النويري وولده العز النويري وكان يؤذن بالمسجد الحرام، توفي سنة ٨٠١هـــ. السخاوي، الضوء اللامع، جـــ٣، صـــ١٦٠.

يوســف بن حسين بن يوسف الحصنكيفي حوالي خمسة عشر عــاماً حتى وفاته سنة ٨١٦هـــ[١].

ثم تقلد ابنه أحمد بن يوسف بن حسين ولقب بابن المحتسب وعمل إلى حوالي عام ٨٥٠هـــ[٢] واعتزل وسبب إعتزاله على الأرجح احتجاجاً لتولي غير العلماء حسبة مكة. وتتابع هؤلاء الثلاثة من أسرة واحدة يدل على أمانتهم وقيامهم بعملهم على أكمل وجه وعدم شكوى الناس منهم ويدل على انشغال المحتسبين بأعمالهم الأخرى من قضاء وخطابة ونظر.

ولم تكن الدولة بمغفل عن من يتعدى حدوده من المحتسبين ونواب المحتسبين فقد عُزل نائب المحتسب زين الدين المصري عام ٩٢٢هـــ فقد كان ينوب عن المحتسب الأمير قراقوز وكان يأخذ الرشوة وقد تعدى حدود عمله بالتشديد على أهل السوق فعزل من عمله وسجن[٣].

صور من الحسبة بمكة في العصر المملوكي:

كانت للمحتسب بمكة سلطة ظاهرة في القيام بعمله، فقد كان يراقب الطرقات والشوارع، ويأمر برفع القمائم من أمام المنازل والطرق.

---

(١)هو يوسف بن حسين بن يوسف بن يعقوب الحصنكيفي المكي، كان ينوب بالحسبة في مكة عن المحتسب العز النويري ثم ناب عن الجمال بن ظهيرة، وكان بجانب هذا يقرأ في المسجد الحرام وفي تجمعات الناس، مات سنة ٨١٦هـــ.

المصدر السابق، جـــ١٠، صـــ٣١١.

(٢)ابن فهد، الدر الكمين، جـــ١، صـــ٥٧٤.

(٣)ابن فهد، بلوغ القرى، جـــ٢، صـــ٧١٨. وابن فهد، غاية المرام، جـــ٣، صـــ٣٣٥.

ومن ذلك في عام ٩١٥هـ يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي القعدة، قام الأمير المحتسب خيربك[١] بجولة تفتيشية فوجد إهمال من بعض أصحاب المنازل فقام بضرب كل صاحب مترل أمام داره قمامة، ومن الذين ضُربوا ثابت بن حسن بن ثابت الزمزمي، حيث ضُرب تحت رجليه بعد وضعه على الأرض وهذا ما يؤيد أن المحتسب كان ينفذ أوامره بدون الرجوع لأحد أولاً بأول، ولم يسلم من تنفيذ الأوامر أحد حتى أصحاب الأربطة من العباد فقد ضرب المحتسب في نفس اليوم شيخ رباط الشريف حسن بن عجلان الشيخ أحمد الفقيه[٢] لوجود زبالة بجانب الرباط، فضرب مثل سابقه تحت رجليه أمام الرباط وأمام الناس مما جعل الناس يقومون بالإسراع برفع القمائم من أمام منازلهم والطرقات[٣].

ومن صور الحسبة بمكة أيضاً في عام ٩٢١هـ في الثاني من ربيع الأول قام الأمير المحتسب كسباي بحملة تفتيشية على موازين الباعة بالسوق، ووجد كثير منها غير موافقة للشروط فقام بتنفيذ العقوبة بالباعة من ضرب وتعزير، والتشهير بهم بالدوران بهم في السوق لكي يراهم الناس[٤] تنكيلاً بهم وردعاً لغيرهم.

وهذا الحزم في تنفيذ أعمال الحسبة يدل على قيام المحتسب بمهامه على خير وجه ومتابعة الدولة لأعمال البيع والشراء حفاظاً على سلامة الناس من الاستغلاليين.

---

(١)هو الأمير خيربك الأشرفي عين في نظر الحرمين مكة والمدينة وولي نيابة القدس بعد الأمير دقماق.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٠٨.

(٢)الشيخ أحمد الفقيه هو عبد المعطي بن عمر بن أبي بكر اليماني الأصل المكي يعرف بابن حسان، حفظ القرآن، وطلب العلم حيث سمع من عدد من العلماء، كان ذا فضيلة وفهم جيد.

المصدر السابق، جـ٥، صـ٨١.

(٣)ابن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤٢٧.

(٤)المصدر السابق، جـ٢، صـ٦٨٤.

الفصل الثالث:

العلوم الشرعية التي كانت تدرس بالمسجد الحرام ومدارس مكة.

المبحث الأول: القرآن الكريم وعلومه.

المبحث الثاني: الحديث الشريف.

المبحث الثالث: الفقه وأصوله وعلم المواريث.

المبحث الرابع:علوم اللغة العربية، وعلوم أخرى مثل (التاريخ).

المبحث الأول: القرآن الكريم وعلومه:

من أشهر العلوم التي كانت تُدرس في المسجد الحرام في العصر المملوكي تعليم القرآن الكريم، وتعليم القرآن الكريم بدأ بالمسجد الحرام منذ أن بعث الله سبحانه سيدنا محمد ﷺ هادياً ونذيراً حيث كان النبي ﷺ أول معلم للقرآن الكريم في المسجد الحرام فقد كان يعلمه لأصحابه ويقرؤه لمشركي مكة لكي يؤمنوا برسالته وبهذا يكون تعليم القرآن الكريم دُرِس في المسجد الحرام منذ العهد النبوي واستمر علماء المسلمين يعلمون القرآن الكريم وتفسيره في المسجد الحرام طيلة العهود الإسلامية، ومنها العهد المملوكي فقد كان المسجد الحرام يغص بالمقرئين يعلمون القرآن لطلبة العلم ، ويقرؤونه بأنفسهم تعبداً، ولكثرة المقرئين بالمسجد الحرام كان يبرز بينهم من يعتبر أكثرهم علماً بقراءة القرآن الكريم وقد برز عدد من العلماء أُطلق عليهم لقب شيخ القراء ومقرئي الحرم، ومن الذين أُطلق عليهم لقب شيخ القراء المقرئ الشيخ إبراهيم[1] بن مسعود بن إبراهيم بن سعيد الإربلي القاهري ويعرف ببرهان الدين المسروري فقد كان هذا الشيخ عالماً بالقراءات وقد توفي عام ٧٤٥هـ[2].

---

(١)هو الشيخ إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الإربلي القاهري، الشهير بالمسروري ولد سنة ٦٦٢هـ بالقاهرة، سمع من عدد من العلماء، وتعلم القراءات عن جماعة من المقرئين، أقام بمكة وصار شيخ المقرئين بها ثم انتقل إلى المدينة المنورة وأقراء الطلبة بالمسجد النبوي، توفي سنة ٧٤٥هـ بالمدينة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١٦٥.

(٢)المصدر السابق، جـ٣، صـ١٦٥. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٢٩.

والشيخ علي بن عبد الله بن إسماعيل[1] بن عبد القادر البحيري الديروطي المالكي فقد كان له علم واسع بالقراءات وأقرأ الطلبة بالمسجد الحرام وأصبح شيخ القراء بمكة وقد توفي عام ٨٧٢هـ[2].

والشيخ عمر بن محمد بن عبد الله العيني الحموي النجار[3]، فقد ذكر عنه أنه أحد مشايخ الإقراء والقراءات بمكة المكرمة وقد توفي عام ٨٧٣هـ[4].

والشيخ عبد الرحمن[5] بن أحمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن عياش المتوفى سنة ٨٥٣هـ فقد كان على درجة كبيرة من العلم وصار شيخ الإقراء بمكة، وكان يعلم القرآن ليلاً ونهاراً ولقب أيضاً مقرئ الحرم[6].

---

(١)هو علي بن عبد الله بن عبد القادر البحيري الديروطي المالكي المقرئ ولد بعد ٨٠٠هـ بيسير انتقل إلى مكة حوالي سنة ٨٤٠هـ وتلا القرآن على عدد من القراء ودرس الحديث الشريف، جلس لتعليم الناس القرآن فانتفع به الناس وطلبة العلم توفي سنة ٨٧٢هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٢٤٨.

(٢)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٠٣٧.

(٣)هو عمر بن محمد بن محمد بن عبد الله العيني الحموي النجار المقرئ الشافعي يُعرف بالشيخ عمر النجار ولد بحماة سنة ٨١٥هـ نزل مكة بعد سنة ٨٤٥هـ واشتغل بالقرآن الكريم وسمع القرآن والقراءات على عدد من المشايخ، واشتغل بتعليم القرآن الكريم واشتغل للكسب بالنجارة والنقش توفي سنة ٨٧٣هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ١٢٤.

(٤)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١١٢٤. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ١٢٤.

(٥)هو زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الشيخ شهاب الدين بن عياش المقرئ ولد بدمشق سنة ٧٧٢هـ وتعلم القراءات على أبيه وقد كان والده عالماً بالقراءات، قدم إلى مكة المكرمة واستوطنها وصار من أكابر المقرئين بها توفي سنة ٨٥٣هـ.

ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ٢٧٧.

(٦)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٥٩.

والشيخ عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله المخزومي المصري[1]، الشهير بعفيف الدين الدلاصي لقب شيخ القراءات وقد توفي عام ٧٢١هـ[2].

وهذه المشيخة التي ذُكرت من عدد من العلماء في المسجد الحرام كان على الأرجح يختص علماؤها بالتدريس بالمسجد الحرام ويتولاها أكثر العلماء معرفة بالقراءات المشهورة التي يقرأ بها كتاب الله تعالى، وفي نفس الوقت ورد عن مشيخة أخرى لقراء آخرين اشتهرت بمشيخة المقرئين في المحافل[3] واختص هؤلاء المقرؤون بالقراءة في المحافل سواء داخل المسجد الحرام أو خارجه وكان يتميز هؤلاء بعذوبة الصوت بالإضافة لقراءة القرآن وينشدون الأناشيد أيضاً في المحافل ومن الذين تولوا رئاسة هذه المشيخة نائب محتسب مكة المكرمة أحمد بن يوسف بن حسين الحصنكيفي، وقد كان هذا الرجل يؤذن أيضاً بمئذنة باب العمرة ويقرأ للناس وينشد في المحافل وقد توفي عام ٨٥٥هـ[4].

وبعد وفاته تولي المشيخة محمد بن أحمد بن علي[5] الشريفي المصري الشهير بالعطار المتوفى سنة ٨٦٥هـ[6]، ولم يرد عن هذه المشيخة أن قراءها كانوا يدرسون الطلبة بالمسجد الحرام، ولعل الدافع لهؤلاء هو الكسب المادي حيث أنهم يتلقون من أهل المحافل مبلغاً من المال لقاء قراءهم وإنشادهم.

---

(١)هو الشيخ عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق المخزومي المصري الدلاصي كان يعلم القرآن بمكة المكرمة فترة من الزمن وقد تعلم على يديه عدد كبير من طلبة العلم، وقيل أنه أقام بمكة المكرمة ستين سنة يقرئ القرآن الكريم بالمسجد الحرام توفي سنة ٧٢١.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ١٦١.

(٢)اليافعي، مرآة الزمان، جـ٤، صـ٢٦٥. وابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، جـ١، صـ٣٨٦.

(٣)يقصد بها الموالد والأعراس التي ينشد فيها المداحون المدائح.

(٤)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥٧٤.

(٥)هو محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله الشمس الحجازي الشريفي العطار، شيخ المقرئين بمكة، توفي في ذي القعدة سنة ٨٦٥هـ بمكة المكرمة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٧، صـ١٥.

(٦)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٢٥.

أما المقرؤون الآخرون فيظهر أنهم اقتصر عملهم على التدريس في المسجد الحرام للقرآن الكريم وعلومه وتركوا المحافل، وقد اشتهر عدد كبير من المقرئين منهم من أُطلق عليه مقرئ مكة مثل الشيـــخ يحيى بن أحمد بن صفـــوان[1] الغيني الأندلسي المتوفى سنة ٧٧٢هــ[2]، والشيخ محمد بن أحمد بن قيس الساوي[3] ومنهم من أطلق عليه لقب مقرئ فقط وهذا عدد كبير من القراء المدرسين للقرآن الكريم نذكر منهم:

الشيخ عبد الله بن موسى بن عمر بن موسى الزواوي المتوفى سنة ٧٣٤هــ[4][5].

والشيـــخ صالح بن محمـــود بن محمد بن إبراهيم الكـــرومي[6] الأصبهاني المتوفى سنة ٧٥٧هــ[7].

---

(١)هو يحيى بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيني الأندلسي المالقي المكي، أبو زكريا كان ماهراً في علم القراءات حيث قرأ القرآن بقراءات الأئمة السبعة ودرس الكتب التي تهتم بالقراءات، وكان على درجة من الزهد والعلم توفي سنة ٧٧٢هــ بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، جــ٦، صــ٢١٧.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جــ٣، صــ٣١٤.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جــ٢، صــ٧٤.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جــ٤، صــ٤٣٦.

(٥)هو عبد الله بن موسى بن عمر الزواوي أبو محمد المقرئ، تعلم على يد عدداً من علماء مصر ومن علماء مكة علم الحـــديث، كان مقرئاً صالحاً زاهداً تنقل بين مـــكة والمدينة وكان يحفظ عدد من كتب الحديث مات سنة ٧٣٤هــ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جــ٢، صــ٣٠٧.

(٦)هو صالح بن محمود بن محمد بن إبراهيم الكرومي الأصبهاني، يعتبر من أشهر المقرئين بالقراءات السبع والمدرس بالمسجد الحرام، ومع هذا كان إماماً في الحديث، حيث درس الحديث بجانب القرآن الكريم، ودرس على يديه عدد من طلاب العلم، توفي سنة ٧٥٧هــ بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، حــ٤ صــ٢٧١.

(٧)المصدر السابق، جــ٤، صــ٢٧١.

والشيخ محمد بن عبد الله[1] بن عبد الحق المخزومي ابن الشيخ عفيف الدين الدلاصي فقد جلس هذا الشيخ يدرّس القرآن الكريم بعد وفاة والده سنة ٧٢٣هـ[2].

والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد[3] بن موسى الدمشقي الشوبكي، كان عالماً بالقراءات توفي عام ٨٠٠هـ[4].

وقد كان عدد من المشايخ يجاورون بمكة المكرمة فترة من الزمن يقومون خلالها بتدريس القرآن الكريم بالمسجد الحرام بعدة قراءات ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل الدمشقي المشهور بابن الصعيدي، فقد جلس هذا الشيخ للتدريس بالمسجد الحرام وتوفي عام ٨٠٩هـ[5].

والشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزري[6] قاضي شيراز الملقب صدر القراء فعندما قدم

---

(١)هو محمد بن عبد الله بن عبد الحق المخزومي المكي المقرئ ابن الشيخ عفيف الدين الدلاصي المكي، حفظ القرآن الكريم وكتب الحديث وسمع عدد منها جلس لتعليم القرآن بعد والده وتوفي سنة ٧٢٣هـ بمكة.

المصدر السابق، جـ٢، صـ٢١١.

(٢)المصدر السابق، جـ٢، صـ٢١١.

(٣)هو أحمد بن محمد بن موسى الدمشقي شهاب الدين الشوبكي، كان عالماً بالفقه واللغة العربية موصوفاً بالدين والورع توفي سنة ٨٠٠هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ٣٠٤.

(٤)ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٣٦٤.

(٥)هو محمد بن أحمد بن إسماعيل الشمس الدمشقي المغربي، يعرف بابن الصعيدي من المجاورين بمكة عدد من السنين، جلس لتدريس القرآن الكريم، كان خيراً مباركاً، مات بمكة سنة ٨٠٩هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٢٩٥.

(٦)هو الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الشيرازي يعرف بابن الجزري ولد سنة ٧٥١هـ وحفظ القرآن وتعلم العلوم وتنقل في طلب العلم فدخل القاهرة ودمشق والأسكندرية وعدد من المدن الإسلامية وأصبح من العلماء الأفذاذ في القراءات والحديث، وتصدر للتدريس في القراءات، ودرّس في شيراز وتولى قضاءها، وقدم مكة المكرمة وجاور بها فترة من الزمن توفي سنة بشيراز ٨٣٣هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ٢٥٥.

مكة سنة ٨٢٣هـ درس على يديه عدد من طلبة العلم ومنهم الشيخ علي الجيلاني[١]، حيث جود القرآن الكريم ببعض الروايات[٢].

ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بن موسى التوزري الشوبكى المقرئ فقد قدم مكة بعد سنة ٧٩٠هـ وصار يُقرئ القرآن الكريم وتوفي عام ٨٠٠هـ بمكة[٣].

وكان بعض المقرئين يشتهر بعلم التجويد فيؤخذ عنه ومنهم الشيخ المقرئ عمر بن محمد بن علي[٤] الدينوري المتوفى عام ٧٥١هـ فقد اشتهر بعلمه في علم التجويد وأُخذ عنه وكان بارعاً أيضاً في علم القراءات والنحو والحديث[٥].

والشيخ أحمد الزبيدي[٦] فقد درس على يديه علم التجويد عدد من الطلبةوكان عالماً به[٧].

وقد كان كثير من المقرئين العلماء بالقراءات يعطون طلابهم الذين يقرؤون على أيديهم ويرون أنهم أتقنوا العلوم إجازات[٨] تدل على نبوغهم في علمهم وتجيزهم لتدريس

---

(١)علي الجيلاني هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الكريم بن حسن الخواجا جمال الدين حفظ القرآن الكريم وأم الناس في صلاة التراويح بالمسجد الحرام بمقام الأحناف، ثم اهتم بتجويد القرآن ببعض الروايات على عدد من المشايخ توفى سنة ٨٢٤هـ بمكة. الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٠١.

(٢)المصدر السابق، جـ٢، صـ٣٠١.

(٣)المصدر السابق، جـ٣، صـ١١٢.

(٤)هو عمر بن محمد بن علي الدينوري، سمع من عدد من العلماء، وجلس لعلم الحديث يحدث الناس وطلبة العلم، وبرع في عددمنالعلوم منها علم النحو وعلمالقراءاتفاستفاد منه عددكبير منطلبة العلم مات بمكة سنة ٧٥١هـ. ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، صـ١٢٢.

(٥)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١١٢٢.

(٦)هو الشيخ أحمد بن محمد بن أبي بكر الزبيدي، ولد سنة ٨٤٨هـ وطلب العلم في بلده ورحل في طلب العلم، ودرس بالمسجد الحرام القرآن الكريم واللغة العربية، عاد إلى اليمن سنة ٨٩٨هـ. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ١٠٨.

(٧)المصدر السابق، جـ٢، صـ١٠٨.

(٨)الإيجازة هي أن يأذن الشيخ لأحد طلبة إذا رأى تمكنه من العلم الذي درسه على يديه بالتدريس، ويكتب له بذلك ومنها الإيجازة بالفتيا. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ١٤، صـ٣٢٢.

هذا العلم ومن المشايخ الذين كانوا يعطون الإجازات الشيخ العفيف الدلاصي، والشيخ الرضى الطبري[1].

والشيخ البرهان المسروري كان يجيز الإقراء بالسبع القراءات وقد توفي عام ٧٤٩هـ[2].

والشيخ نور الدين بن سلامة، كان يجيز الإقراء بالسبع القراءات أيضاً[3].

وقد كان تعليم القرآن الكريم يستمر بشكل متكرر بحيث يختم الطالب القرآن الكريم مرات متعددة حتى يتقن جميع القراءات التي يريد تعلمها من شيخه[4].

وبعض الأحيان يقرأ الطالب على شيخه القرآن الكريم بعدة قراءات مجتمعة في ختمه واحدة، وأحياناً يكون ختم القرآن الكريم بالقراءات مجتمعة مرة واحدة[5].

وكان بعض مشايخ القرآن الكريم يدرس القرآن لجميع طلبة العلم من صغير وكبير بغير تمييز ومن هؤلاء الشيخ أحمد بن علي بن عمر الكلاعي الحميري اليمني الشوائطي[6].

وكان بعض الطلبة يقرأ القرآن الكريم على عدد من الشيوخ ولا يختص بشيخ واحد وهذا العمل يعطي الطالب معرفة واسعة بالقراءات وتمكن كبير من التلاوة والتجويد ومن هؤلاء

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ٣١٢.

(٢)المصدر السابق، جـ٦، صـ٢٣٦.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ١٦٠، جـ١، صـ٤٨٢.

(٤)المصدر السابق ، جـ٢، صـ٧٨٩. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٢١.

(٥)ابن فهد ، الدر الكمين ، جـ١، صـ٤٨٢.

(٦)هو أحمد بن علي بن عمر الكلاعي الحميري اليمني، ولد سنة ٧٨١هـ ببلاد اليمن، طلب العلم فحفظ القرآن، وسمع على عدد من العلماء، وأذن له العلماء في اليمن ومكة بالإقراء، فدرس بالمسجد الحرام، توفي سنة ٨٦٣هـ. المصدر السابق ، جـ١، صـ٤٨٠. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٢٨.

المقرئ محمد بن إسماعيل[1] بن يوسف بن عثمان الشهير بالجبلي المتوفى سنة ٨١٤هـ. فقد قرأ القرآن الكريم على أكثر من عشرين شيخاً وكتب ١٨٤هـ مصحفاً وربعة[2].

وقد كان بعض مشايخ القراءات يعلم القراءات في مكان مخصوص بالمسجد الحرام ولكي لا ينافسه أحد على الجلوس بالمكان الذي خصصه يأخذ موافقات حاكم مكة والقضاة فمنهم الشيخ محمد بن علي البكري المعروف بابن سكر المتوفى سنة ٨٠١هـ[3].

فقد كان يقرئ الطلبة عند إسطوانة بالمسجد الحرام بالقرب من باب أجياد[4]. والشيخ محمد الحبشي[5] اليماني، وقد جلس لتعليم القرآن الكريم للطلبة على مسطبة مجاورة لباب الزيادة[6].

وكان بعض المشايخ يتبرع بتعليم القرآن الكريم للأطفال الأيتام بالإضافة إلى تقديم ما يكفيهم من مؤونة وكسوة، ومنهم الشيخ الصالح برهان الدين إبراهيم المصري[7].

---

(١)هو إسماعيل بن يوسف بن عثمان الشمس الحلبي المقرئ، طلب العلم وحفظ القرآن الكريم، ودرس على عدد من العلماء، وتميز بكتابة العلوم وأشهرها كتابة القرآن الكريم، توفي بمكة سنة ٨١٤هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٧، صـ١٤٣.

(٢)الربعة: هي المصحف الشريف مقسم إلى ثلاثين جزء يطبع كل جزء على حده وتوزيع على ثلاثين شخصاً بحيث يقرأ القرآن الكريم في وقت واحد.

السباعي، تاريخ مكة، صـ٢٩٧.

(٣)هو محمد بن علي بن محمد بن علي بن ضرغام البكري شمس الدين أبو عبد الله بن سكر الحنفي المصري، ولد سنة ٧١٨هـ بالقاهرة تعلم الحديث والقراءات قدم مكة سنة ٧٤٩هـ، كان حريصاً على طلب العلم من جميع زوار مكة المكرمة اشتهر بتعليم القرآن الكريم بالقرب من باب أجياد عند اسطوانة بالمسجد الحرام . توفي سنة ٨٠١هـ.

ابن حجر، أبناء الغمر، جـ٤، صـ٨٧. الحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون، صـ٨٥.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٠١. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٩، صـ١٩.

(٥)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠،صـ١٢٠.

(٦)باب الزيادة يقع في الجهة الشمالية من المسجد الحرام في زيادة دار الندوة عندما أدخلت في المسجد الحرام.

محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم، جـ٤، صـ٤٤٧.

(٧)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٧٢.

ومن المشايخ الذين تبرعوا بتعليم الأطفال الأيتام القرآن الكريم بالمسجد الحرام الشيخ عبد الله بن عبد الملك[١] بن عبد الله البكري، المعروف بالمرجاني[٢].

وقد كان يتم تعليم القرآن الكريم في بداية اليوم بعد صلاة الفجر إلى وقت الضحى فينصرف الطلبة، وكان بعض المشايخ يدرس الطلبة أيضاً في آخر النهار والظاهر أنها بعد صلاة العصر إلى المغرب، ومن المشايخ الذين كانوا يدرسون أول النهار وآخره الشيخ أحمد بن علي بن عمر الكلاعي الحميري اليمني[٣]. وكان الشيخ العفيف الدلاصي يدرس الطلبة بعد صلاة الفجر إلى وقت الضحى حيث ذُكر أن الشيخ عفيف الدين يطوف كل يوم في الضحى بعد أن ينهي الطلبة قراءتهم عليه[٤].

مرتبات القراء:

كان عدد من القراء يُعلم القرآن الكريم رغبة في المثوبة والأجر من الله ولا يأخذ مقابل تعليمه مالاً أو أجراً ومنهم ما تم الحديث عنهم ممن كانوا يعلمون الأطفال الأيتام، وقد ذكر منهم الشيخ عفيف الدين الدلاصي مقرئ مكة أنه أقرأ القرآن الكريم أكثر من ستين سنة بغير أجر[٥].

---

(١)الحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون، صـ٧١.

(٢)هو عبد الله بن عبد الملك بن الشيخ عبد الله البكري التونسي الأسكندري المعروف بالمرجاني ، سمع على عدد من العلماء، ألف كتاباً في تاريخ المدينة المنورة، وكان أديباً له نظم، سافر إلى بلاد المغرب ولم يعد إلى مكة وكان خروجه من مكة سنة ٧٧٠هـ .

الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٣٨١.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٤٨٠ . والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٢٨.

(٤)اليافعي، مرآة الجنان، جـ٤، صـ٢٦٥.

(٥)الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٣٧٦.

وكان بعض القراء يعمل بصنعة أخرى يتكسب منها ويجعل تعليمه للقرآن عملاً خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى مثل الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله العيني الحموي النجار فقد كان يتكسب بصنعة النجارة وقد توفي عام ٨٧٣هـ[1].

وفي الوقت الذي كان عدد من القراء لا يأخذ أجراً نجد أن عدداً من القراء يأخذون من الصدقات ما خُصص لهم من قبل المتصدقين والموقفين ولكن هذا المال ليس لتعليم القرآن ولكن للقراءة التي يُقرها الموقف كي تُقرأ له ولمن يوصي به، ومن ذلك ما خصصه السلطان الأشرف شعبان من وقفه فقد خصص هذا السلطان لكل قارئ من ستة قراء مبلغ ٢٥درهماً في الشهر مقابل قراءة المصحف كل شهر مرة[2].

أما مرتب خاص لمن يقوم بتعليم القرآن الكريم فلم يُذكر شيء من ذلك بل كان تعليم القرآن في مجمله تطوعاً يُقصد به وجه الله تعالى.

أما تعليم القرآن في المدارس المحيطة بالمسجد الحرام فقد كان القراء المدرسون يأخذون ما خصص لهم من قبل أصحاب المدارس، فقد كان الشيخ زين الدين بن عياش يدرس عشرة قراء كل يوم في المدرسة الكلبرجية[3] [4].

هذا ولم يقتصر تعليم القرآن الكريم على الرجال فقط فقد شارك النساء العالمات بقراءات القرآن الكريم تدريسه للطالبات ومن هؤلاء المرأة الصالحة: تجار المصرية المكية أم محمد فقد كانت هذه السيدة تعلم القرآن الكريم في منزلها بشعب علي وقد توفيت عام ٨٦٢هـ[5].

---

(١)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١١٢٤. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ١٢٤.

(٢)راشد القحطاني، أوقاف السلطان، صـ٩٣.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٢٢.

(٤)انظر صـ٥٤ من البحث.

(٥)ابن فهد ، الدر الكمين ، جـ٢، صـ١٤٠٧. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ١٢، صـ١٦.

المبحث الثاني: علم الحديث:

من العلوم التي كانت تدرس بالمسجد الحرام في العصر المملوكي علم الحديث فقد كانت تعقد الحلقات وتدرس الدروس لتعليم طلبة العلم وتحديث الناس.

والحديث في اللغة: هو الخبر سواءً كان قليلاً أو كثيراً والجمع أحاديث[١].

وفي الشرع: الحديث هو ما ورد عن النبي ﷺ وقيل: ((هو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية))[٢].

وقد اهتم المسلمون بحديث الرسول ﷺ اهتماماً كبيراً، وخصوصاً في المساجد الكبيرة وأكبرها المسجد الحرام. ففي العصر المملوكي ظهر عدد كبير من العلماء الذين كانوا يعلمون الناس ويحدثونهم ويمكن القول أن علم الحديث قد ازدهر ازدهاراً كبيراً وذلك لكثرة العلماء الذين ظهروا في العصر المملوكي والذين اتخذوا من المسجد الحرام خاصة ومن مكة المكرمة عامة مدرسة كبيرة يتعلم فيها علم الحديث، فقد دُرست أغلب كتب الحديث بما فيها كُتب الصحاح المشهورة مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم، وموطأ الإمام مالك .[٣]

وقد شجع ازدهار علم الحديث إقبال أولي الأمر من حكام مكة على استماع الحديث في المسجد الحرام وفي ديوان الحكم، فالشريف علي بن حسن بن عجلان أمير مكة قُرئ عنده صحيح البخاري عدة مرات مما يدل على اهتمامه بعلم الحديث وكان يحضر بنفسه مجالس علم الحديث بالمسجد الحرام وقد أجاز له بعض العلماء[٤].

---

(١)ابن منظور، لسان العرب، جـ٣، صـ٧٦.

(٢)د.محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، صـ٢١.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٩٢.

(٤)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٤٨٨.

والشريف علي بن عنان بن مغامس فكان يسمع الحديث في المسجد الحرام على يد الشيخ علي[١] بن الجزري وقد توفي سنة ٨١١هـ[٢]، والشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة درس الحديث على يد عدد من المشايخ وحصل على إجازة بالتدريس من بعض شيوخه وحدث بمكة والقاهرة مما يدل على سعة علمه[٣].

وقد اشتهر عدد كبير من العلماء الذين كانوا يحدثون الناس بالمسجد الحرام ويدرسون الطلبة علم الحديث ومن أشهرهم:

١ـ الشيخ المحدث أحمد بن عبد الله[٤] بن محمد الطبري محب الدين، فقد كان يلقب محدث الحجاز، وقد درّس الحديث بالمسجد الحرام وألف الكثير من الكتب كان أغلبها في علم الحديث منها كتاب الأحكام وهو ثلاثة كتب سماها الأحكام الكبرى، والوسطى، والصغرى، وقد توفي سنة ٦٩٤هـ[٥].

٢ـ الشيخ محمد بن محمد بن أحمد القسطلاني[٦] القيسي الملقب أمير الدين المتوفى سنة ٧٠٤هـ بمكة، فقد كان علماً كبيراً في الحديث وسمى بشيخ الحديث بالحرم المكي[٧].

---

(١)هو الشيخ علي بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الدمشقي الشافعي المعروف بابن الجزري ولد سنة ٧٤٨هـ طلب العلم على يد عدد من العلماء، واشتغل بالفقه وقرأ الحديث وحدث سمع منه الفضلاء توفي سنة ٨١٣هـ بدمشق.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ١٥٧.

(٢)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٤٨٤.

(٣)المصدر السابق، جـ٢، صـ٣٩٢.

(٤)هو أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري شيخ الحجاز محب الدين طلب العلم فدرس على يد عدد من العلماء وبرع في علم الحديث والفقه أجاز له عدد من العلماء وألف كثيراً من الكتب توفي سنة ٦٩٤هـ بمكة.

اليافعي، مرآة الجنان، جـ٤، صـ٢٢٤.

(٥)ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، صـ٣٤. والفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٣٨. واليافعي، مرآة الجنان، جـ٤، صـ٢٢٤.

(٦)هو محمد بن محمد بن أحمد أمين الدين أبو المعالي بن قطب الدين القسطلاني ولد سنة ٦٣٥هـ بدار العجلة بمكة، سمع من عدد من العلماء، كان عالماً بالحديث درسه بالمدرسة المظفرية بمكة وبالمسجد الحرام توفي سنة ٧٠٤هـ. ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٤، صـ١٠٥.

(٧)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٥٢.

٣ـــ والشيخ رضي الدين إبراهيم بن محمد الطبري المالكي الذي كان له علم واسع برواية الحديث بالإضافة لعلوم أخرى مثل الفقه واللغة العربية وقد كان يحدث بجميع كتب الحديث وفي آخر عمره تخصص بتدريس صحيح البخاري(١).

٤ـــ الشيخ محمد بن عبد الله بن ظهيرة، فقد كان على درجة كبيرة من العلم في الحديث والفقه وقد ولي قضاء مكة، وكان يقرأ عليه الطلبة صحيحي البخاري ومسلم بالمسجد الحرام، وكان يجيز بالتدريس من يراه أهلاً للتحديث(٢).

٥ـــ الشيخ عمر(٣) بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي، كان على درجة كبيرة من العلم فحفظ عدداً كبيراً من كتب الحديث، ورحل في طلب العلم إلى مصر والشام، وكان يحدث بكتب الحديث الكبار مثل صحيح البخاري ومسلم، وقد توفي سنة ٨٨٥هـــ(٤).

وبالإضافة إلى علماء مكة المكرمة نجد أن المسجد الحرام كان ملتقى العلم والعلماء من شتى أقطار المعمورة، فكان العلماء القادمون للحج يعلمون أثناء مدة تواجدهم بمكة المكرمة فيستفيد من علمهم عدد كبير من طلاب العلم، ومن هؤلاء العلماء الذين كانوا يقضون مدة بسيطة يحدثون بها في المسجد الحرام. الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن طولوبغا التنكري المسمى بمسند الشام حج سنة ٨٢٤هـــ فحدث بمكة أثناء حجه وعاد لبلده دمشق ومات بها سنة ٨٢٥هـــ(٥).

---

(١)اليافعي، مرآة الجنان، جـــ٤، صـــ٢٦٧. والحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون، صـــ٦١.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـــ٢، صـــ٢٠٦.

(٣)هو عمر بن محمد بن محمد بن فهد القرشي الهاشمي المكي ولد سنة ٨١٢هـــ بمكة وحفظ القرآن وطلب العلم على عدد كبير من العلماء ورحل في طلب العلم إلى مصر والشام وكتب الكتب في الحديث والتاريخ ودرس بالمسجد الحرام توفي سنة ٨٨٥هـــ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـــ٦، صـــ١٢٦. عبد الله المعلمي، إعلام المكيين، جـــ١، صـــ١٦٧.

(٤)السخاوي ، الضوء اللامع ، جـــ٦، صـــ١٢٦.

(٥)ابن حجر، إنباء الغمر، جـــ٧، صـــ٤٧٦.

والشيخ محمد بن قاسم بن قاسم بن مخلوف الحسني العقيلي المعروف بالبترزتي المالكي كان يحدث بالمسجد الحرام أثناء تردده على مكة وقد توفي سنة ٧٩٤هـ[١].

وكان بعض العلماء يأتي لمكة المكرمة بقصد المجاورة، ويبدأ يدرس بالمسجد الحرام ويحدث الناس ومنهم:

الشيخ القاضي عز الدين[٢] بن جماعة سكن مكة بعد تركه للقضاء في مصر وصار يحدث الناس، ويُسمِع عليه طلبة العلم كتباً في الحديث وذلك سنة ٧٦٧هـ[٣].

والشيخ عثمان بن محمد[٤] بن عثمان التوزري المالكي كان من كبار العلماء في الحديث في مصر فقدم مكة سنة ٦٩٠هـ وصار يحدث بالمسجد الحرام حتى توفي سنة ٧١٣هـ[٥].

والشيخ عبد العزيز بن فهد المتوفى سنة ٩٢٢هـ فقد كان من علماء الحديث وقد كان يحدث ويقرأ عليه الطلبة حتى في سفره حيث يتم قراءة ما تيسر من كتب الحديث عليه في كل مترل يترله الشيخ في سفره[٦].

والشيخ علاء الدين بن شمس الدين النهروالي الذي قدم مكة عام ٩٢٠هـ من بلاد فارس وصار يدرّس علم الحديث بالمسجد الحرام[٧].

---

(١) الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٣٨.

(٢) هو القاضي عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الدمشقي المصري، ولي قضاء مصر تسعاً وعشرين سنة ثم طلب الإعفاء من القضاء وتوجه إلى مكة المكرمة وجاور بها إلى أن مات سنة ٧٦٧هـ وقد درّس وأفتى وحدث وألف الكتب الكثيرة وكان من خيرة العلماء.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١١، صـ٨٩. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢٠٩.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٩٣.

(٤) هو عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر التوزري المالكي نزيل مكة، ولد سنة ٦٣٠هـ طلب العلم فسمع من عدد من العلماء، برع في الحديث قرأ البخاري ثلاثين مرة، كان من كبار محدثي المسجد الحرام، توفي سنة ٧١٣هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ٤٤٩.

(٥) الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ١٧٧.

(٦) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤٠٠.

(٧) المصدر السابق، جـ٢، صـ٦٥٦.

طريقة تعليم الحديث:

كان بعض علماء الحديث يحدثون بكتب الحديث حيث يُقرأ الكتاب بين يدي الشيخ من قِبل أحد التلاميذ ثم يأخذ الشيخ في الشرح والتعليق، ومن هؤلاء الشيخ أحمد[1] ابن إبراهيم بن يعقوب الطبري المتوفى سنة ٧٢١هـ فكان يحدث من كتاب جامع الترمذي بقراءة بهاء الدين[2] بن خليل المكي[3].

والشيخ محمد بن إبراهيم بن علي بن ظهيرة كان قارئ الحديث بين يدي والده عندما كان والده يحدث بالمسجد الحرام[4]، وكان هذا الوضع يتم في دروس التحديث لجميع من يحضر حلقة الحديث من طلبة العلم والعامة ولم يكن لتعليم الحديث وقت محدد بل يقرأ الطلبة على شيخهم في أي وقت فقد ذكر عن الشيخ عبد العزيز بن فهد أن قُرئ عليه من كتب الحديث في سفره عام ٩١٥هـ وهو مسافر إلى الطائف[5] وكذلك في يوم عيد الفطر عام ٩١١هـ[6].

أما طلبة علم الحديث الذين يحرصون على أن يتقنوا هذا العلم فكان الطلبة يستمعون إلى شيخهم ويقومون بحفظ كُتب الحديث عن ظهر قلب ويسمعون على

---

(١)هو أحمد بن إبراهيم بن يعقوب بن أبي بكر الطبري يلقب بالمجد، طلب العلم فسمع كتب الحديث على عدد من العلماء، وحدث بالمسجد الحرام توفي سنة ٧٢١هـ بمكة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٧.

(٢)هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن خليل العسقلاني يكنى أبا محمد، ويلقب بهاء الدين ويعرف بابن خليل المكي، طلب العلم فدرس الحديث على يد عدد من علماء مكة رحل في طلب العلم فزار دمشق وحلب ومصر فسمع على عدد من العلماء، فكان محدثاً ومقرئًا ونحوياً توفي سنة ٧٧٧هـ بالقاهرة.

الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٤١٨. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ٢٩١.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٧.

(٤)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٢٦٤.

(٥)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤٠٠.

(٦)المصدر السابق، جـ١، صـ٢١٣.

شيخهم فيجيز الشيخ من يراه أهلاً للتحديث بحيث يصبح هذا الطالب عالماً بالحديث يدرسه لطلبة العلم(١).

وكان عدد من طلبة العلم يتعلمون علم الحديث بمكة فيسمعون من عدد من العلماء ثم ينتقلون في طلب العلم فيزورون عدة مناطق يأخذون العلم بها على يد عدد من علمائها ثم يعودون لمكة فيحدثون بها(٢)، وبهذا يكون قد اتسع علمه وزادت خبرته، وكان بعض الطلبة يعرضون ما حفظوه من كتب الحديث على أكثر من عالم بمكة وذلك زيادة في التوثيق في علم الحديث ومن ذلك عرض الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز بن فهد حفظ الأربعين النووية عام ٩١٣هـ على قضاة مكة ومشايخها(٣).

دروس الحديث بالمسجد الحرام:

كان بجانب الدروس التي يقوم بها علماء الحديث احتساباً ورغبة في نشر العلم دروساً تُقام من قبل بعض الملوك والأمراء وأصحاب الثروة القصد من إقامتها التقرب إلى الله بتدريس الحديث بالمسجد الحرام لتعليم الناس المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ألا وهو السنة المطهرة.

مما يظهر أن هذه الدروس التي أقيمت بالمسجد الحرام كانت عامة لجميع طلبة العلم فكانت عبارة عن حلقات يحضرها كل من أراد يتعلم شيئاً من السنة.

وتدل إقامة هذه الدروس على اهتمام الناس عموماً بالسنة المطهرة وعدم رفض الدولة في إقامة الدروس من قبل المتبرعين ومن هذه الدروس:

١ـ درس أقره السلطان الأشرف شعبان كل يوم جمعة من كُتب الصحاح ويكون تاريخ إقامة هذا الدرس بين عامي ٧٦٤هـ إلى ٧٧٨هـ وهي المدة التي حكم فيها الأشرف شعبان، وحدد للشيخ المحدث مرتباً قدره ٣٠ درهماً في الشهر يصرف من الأوقاف التي

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٩٤، جـ٣، صـ٧.

(٢)المصدر السابق، جـ٣، صـ٣٦.

(٣)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٣٠٢.

جعلها السلطان الأشرف لأعمال البر التي أقامها[1]، وقد درّس بهذا الدرس الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم المصري المعروف بالأميوطي[2] [3].

٢ــ درس أقامه الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري حيث أمر بقراءة صحيح البخاري في المسجد الحرام، ولم يرد من الشيخ الذي قُرر لتدريس هذا الدرس ويكون إقامة هذا الدرس في المدة التي حكم بها السلطان جقمق والتي امتدت بين عامي ٨٤٢هــ ــ ٨٥٧هــ[4].

٣ــ درس حدده السلطان شاه شجاع ودرّس به أيضاً الشيخ نور الدين الفوي[5]، وقد كان يتقاضى مبلغ ٢٠٠مثقال لقاء تدريسه والظاهر أن هذا المبلغ سنوياً. والأرجح أن تاريخ إقامة هذا الدرس سنة ٧٧١هــ وهي السنة التي أوقف السلطان رباطه بمكة[6].

---

(١)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، صــ٩٣.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جــ٣، صــ١٦٢.

(٣)هو إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم المصري جمال الدين الأميوطي ولد سنة ٧١٥هــ، طلب العلم فسمع علم الحديث من عدد من العلماء في مصر وفي مكة المكرمة ودرس علم الفقه أيضاً، درس بمكة للسلطان الأشرف شعبان توفى سنة ٧٩٠هــ.

المصدر السابق، جــ٣، صــ١٦٢. وابن حجر، الدرر الكامنة، جــ١، صــ٦٠.

(٤)ابن فهد، الدر الكمين، جــ١، صــ٦٧٠.

(٥)هو علي بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد الكناني المدلجي الفوي، طلب العلم فدرس الحديث الشريف على عدد من العلماء في دمشق، والمدينة ومكة ودرس الحديث بمكة المكرمة، توفي سنة ٧٨٢هــ.

شذرات الذهب، جــ٦، صــ٢٧٥.

(٦)ابن فهد، إتحاف الورى، جــ٣، صــ٣١١.

مرتبات المحدثين:

لم يكن محدثي المسجد الحرام يتقاضون على علمهم وتدريسهم لعلم الحديث مرتباً من الدولة ما عدا الدروس التي أقامها المتبرعون، بل كان جل تعليمهم احتساباً لوجه الله تعالى وحفظاً لسنة نبيه، ويدلنا على ذلك أن عدداً من المشايخ كانوا بجانب تحديثهم لطلبة العلم يعملون بأعمال يتكسبون بها[1].

ومع قيام بعض المشايخ بالتدريس احتساباً لوجه الله نجد من العلماء من يعطي من ماله لطلبة العلم مكافآت وهذا يدل على أن الدولة لم تكن تمنح طلبة العلم مرتبات، فالشيخ أحمد[2] بن محمد بن أحمد الكيلاني كان عالماً وصاحب مال لاشتغاله بالتجارة، وعندما كان يحدث بالمسجد الحرام منح طلبته مكافآت شهرية مما جعل الطلاب يكثرون لديه والأخذ منه[3].

ومع وجود مشايخ يحدثون تصدقاً واحتساباً نجد من المشايخ من يأخذ بعض المال على الحديث فالشيخ إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي المعروف بابن صديق الصوفي[4]، كان يأخذ بعضاً من المال على التحديث وذلك لم يحصل منه إلا عندما تقدمت به السن واحتاج حيث لم يستطيع العمل والتكسب[5].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٧٠، صـ٣٩٢.

(٢)هو أحمد بن محمد بن أحمد الكيلاني الشافعي، يُعرف بقادان، أخذ العلم عن عدد من العلماء وكان محباً لمذاكرة العلماء، عمل مجلس للتدريس بالمسجد الحرام توفي سنة ٨٦١هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٩٤.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥١٥.

(٤)هو إبراهيم بن محمد بن صديق بن إبراهيم الدمشقي المعروف بابن صديق ولد حوالي ٧٢٠هـ بدمشق، طلب العلم فسمع على عدد من العلماء علم الحديث حصل على إجازات عدة من عدد من العلماء حدث بدمشق ثم بالحرمين، توفي بمكة سنة ٨٠٦هـ برباط ربيع.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ١٤٧.

(٥)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١٥٧.

المحدثات بمكة في العصر المملوكي:

مع وجود عدد كبير من علماء الحديث بمكة خلال العصر المملوكي كان يوازي ذلك عدد لا بأس به من المحدثات العالمات اللاتي كن يقمن بنشر علم الحديث وإفادة طلبة وطالبات العلم، والغالب أن المحدثات كن يحدثن من يأتي لهن في منازلهن من طلبة العلم من الرجال من وراء حجاب ومن طالبات العلم من النساء، والغالب أن المحدثات كن من بنات العلماء والمشايخ حيث تلقين العلم في البداية من علماء أُسرهن، ويعلمون في الغالب أبناء أُسرهن ، ونذكر من المحدثات من اشتهرن بتعليم علم الحديث حيث استمع لهن طلبة العلم وطالبات العلم وسمعوا عليهن كتب الحديث ومنهن ما يلي:

١ــ المحدثة أم الحسن فاطمة(١) بنت أحمد بن محمد بن عبد المعطي الأنصارية كانت من محدثات مكة وقد تلقت علم الحديث عن المحدثة حسنة(٢) بنت محمد بن كامل الحسني بمترلها بمكة(٣).

٢ــ المحدثة صفية بنت إبراهيم بن أحمد الزبيدي المكية، روت عن عدد من العلماء، وحدثت بمكة سنة ٧٤٢هــ وسمع منها عدد من طلبة العلم وكانت تجيز بالتحديث(٤).

٣ــ المحدثة فاطمة(٥) بنت محمد بن عبد المنعم البهنسي، سمعت من عدد من العلماء وحدثت وكان يقرأ الكتاب بين يديها المحدث صدر الدين أحمد بن بهاء الدين وسمع

---

(١)هي فاطمة بنت الشيخ أحمد بن محمد بن عبد المعطي الأنصارية الخزرجية المكية زوجة الإمام محب الدين الطبري، كانت عالمة بالحديث توفيت سنة ٨٢٤هــ بمكة، وكان مولدها سنة ٧٤٤هــ.
الفاسي، العقد الثمين، جــ٦، صــ٤٤٨.

(٢)هي حسنة بنت محمد بن كامل بن يعسوب الحسنية أم محمد المكية طلبت العلم على عدد من العلماء منهم الشيخ التوزري، والرضى الطبري، والصفي الطبري وسمع منها عدد من العلماء، توفيت سنة ٧٦٥هــ بمكة.
المصدر السابق، جــ٦، صــ٣٧٧.

(٣)المصدر السابق، جــ٦، صــ٤٤٨.

(٤)المصدر السابق، جــ٦، صــ٤١٠.

(٥)هي فاطمة بنت محمد بن عبد المنعم البهنسي، سمعت من عدد من العلماء وحدثت سمع منها عدد من العلماء وكتبت بخطها الكثير من كتب الحديث والعلم، وقد اشتهرت بالصلاح والزهد ولم يعرف تاريخ وفاتها ولكنها كانت حية سنة ٧٧٠هــ.
المصدر السابق، جــ٦، صــ٤٢٦.

الحديث عليها مع ولدها وكانت تجيز بالعلم فقد أجازت للشريف أحمد[1] بن علي الفاسي وغيره من المحدثين[2].

٤ـــ المحدثة سيدة بنت إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري رضي الدين فقد تلقت العلم على يد سيدة بنت المارايي هي وأختها ست الكل وسمعت أيضاً من أبيها، وحدثت وأجازت وتوفيت سنة ٧٥٧هـــ بمكة[3].

٥ـــ المحدثة فاطمة[4] بنت أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الحرازي كانت تلقب مسندة مكة لغزارة علمها، أجاز لها عدد من العلماء وكانت قد تلقت العلم من جدها لأمها الإمام رضي الدين الطبري حيث درست على يديه الكتب الستة الصحاح، وكثير من كتب الحديث، وحدثت وقد سمع منها عدد كبير من طلبة العلم[5].

---

(١)الشيخ أحمد بن علي بن محمد الحسني الفاسي، ولد سنة ٧٥٤هـــ بمكة، طلب العلم فسمع على عدد من علماء مكة ومصر، حفظ عدد من كتب العلم وبرع في الحديث والفقه وجلس لتعليم العلوم بالمسجد الحرام والمشاعر المقدسة ناب عن قاضي مكة سراج الدين الحنبلي وعن جمال الدين بن ظهيرة توفي سنة ٨١٩هـــ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـــ٢، صـــ٣٥.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـــ٦، صـــ٤٢٦.

(٣)المصدر السابق، جـــ٦، صـــ٤٠٥. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـــ٢، صـــ١٨٢.

(٤)هي فاطمة بنت أحمد بن قاسم الحرازي المكية، محدثة ولدت بمكة بعد سنة ٧١٠هـــ، سمعت على جدها لأبيها الرضي الطبري الكثير من علم الحديث وعلى أخيه الصفي الطبري، حصلت على إجازات من عدد من العلماء، توفيت سنة ٧٨٣هـــ بالمدينة النبوية.

عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـــ٤، صـــ٢٩.

(٥)الفاسي، العقد الثمين، جـــ٦، صـــ٤٢٩.

المبحث الثالث: علم الفقه:

من العلوم التي كانت تدرس بالمسجد الحرام خلال العهد المملوكي علم الفقه. والفقه في اللغة هو العلم والفهم بالشيء ومنه قوله تعالى: ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [1]الآية، أي يفهموه ويكونوا علماء به[2]، والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العلمية من أدلتها التفصيلية[3].

وقد ازدهر علم الفقه بمكة المكرمة خلال العهد المملوكي يدلنا على ذلك وجود عدد كبير من العلماء المتخصصين في هذا العلم وتدريسهم له في المسجد الحرام والمدارس المحيطة به، ومن أشهر علماء الفقه الذين درّسوا علم الفقه وأصوله بالمسجد الحرام خلال العهد المملوكي نذكر منهم:

الشيخ عمر بن عبد الله[4] الهندي الذي كان عالماً في الفقه وأصوله ومكث أكثر من ٤٠ سنة يعلم الناس ويفقههم وقد توفي عام ٨١٥هـ[5].

والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر الأنصاري، فقد كان من علماء الفقه بمكة المكرمة، وقد استفاد منه طلبة العلم حيث درّس الفقه بالمسجد الحرام وكان مشهوراً به[6].

---

(١)التوبة : ١٢٢.

(٢)ابن منظور، لسان العرب، جـ١٠، صـ٣٠٥.

(٣)المنجد، في الأعلام واللغة، جـ١، صـ٥٩١.

(٤)هو الشيخ عمر بن عبد الله السراج الهندي الفأفاء، كان يكثر النطق لحرف الفاء فلقب بذلك، كان عالماً بالفقه وأصوله واللغة العربية، علم الناس بمكة أكثر من ٤٠سنة.

السخاوي، ا لضوء اللامع، جـ٦، صـ٩٨.

(٥)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١١١٢.

(٦)هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الأنصاري الذروي المكي الشافعي يعرف بابن الجمال المصري ولد بمكة ونشأ بها ودرس علم الفقه على عدد من العلماء وأجاز له عدد منهم واشتغل بتدريس الفقه واشتهر بمعرفته، انتفع به عدد كبير من طلبة العلم توفي سنة ٨٣٤هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ١٢٦.

والشيخ محمد بن أحمد بن عبد المعطي الأنصاري المكي المتوفى سنة ٧٩٨هـ، فقد كان يدرّس الفقه بعد والده بالمسجد الحرام[١].

والشيخ أحمد بن قاسم[٢] بن عبد الرحمن الحرازي، وابنه الشيخ محمد[٣] كانا من علماء مكة في الفقه، حيث درّسا وأفتيا، واستفاد من علمهما عدد كبير من طلبة العلم[٤].

وكان من أبرز علماء الفقه بمكة المكرمة قضاتها، فقد كان منصب القضاء لا يتقلده إلا من يكون متقناً لعلم الفقه، وقد عمل قضاة مكة في تدريس الفقه بالمسجد الحرام وأخذ منهم هذا العلم عدد كبير من طلبة العلم ومن أشهر القضاة الذين عملوا بتدريس الفقه بجانب قيامهم بعملهم بالقضاء.

الشيخ القاضي جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة، فقد درس على يديه عدد من طلبة العلم منهم الشيخ أبو بكر بن محمد بن أبي بكر الذروي[٥].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٨٣.

(٢)هو الشيخ أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي العمري الحرازي ولد سنة ٦٧٥هـ ببلدة حرازة من اليمن طلب العلم فقدم مكة وسمع من عدد من العلماء وأصبح من كبار علماء الفقه، وانتهت إليه رئاسة الفتوى بمكة توفي سنة ٧٥٥هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ٢٣٥.

(٣)هو الشيخ محمد بن أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الحرازي، ولد سنة ٧٠٦هـ، طلب العلم فسمع من جده لأمه الرضي الطبري وأخيه الصفي، ودرس الفقه على والده، درّس وأفتى تولى قضاء مكة بعد القاضي شهاب الدين الطبري وخطابة المسجد الحرام توفي سنة ٧٦٥هـ.

المصدر السابق، جـ٣، صـ٣٤٨.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٧٣.

(٥)هو أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الذوري المكي الشافعي طلب العلم فحفظ عدد من كتب العلم، عمل بالفقه والنحو واهتم بدراسة الأدب وكان بارعاً فيه، وكان ناظماً، تنقل بين مكة واليمن لطلب الرزق توفي سنة ٨٢٠هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـ٧٤.

وقاضي مكة كمال الدين أبي الفضل النويري، كان يدرس الفقه وأصوله ومن طلبته الشيخ محمد بن أبي بكر بن علي المرجاني[1].

والقاضي تقي الدين الفاسي فقد كان بجانب توليه قضاء مكة يعمل بتدريس الفقه بالمسجد الحرام وكان ممن حضر دروسه في الفقه الشيخ عبد القادر بن أبي القاسم الأنصاري الخزرجي[2].

والقاضي أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد الصاغاني فقد كان من علماء الفقه النابهين فكان يدرس الفقه بالمسجد الحرام[3].

هذا وكان بجانب قضاة مكة علماء عديدون يقومون بتدريس الفقه نذكر منهم الشيخ عبد الرحمن بن أبي الخير[4] محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني المكي بأبي الفضل الفاسي، فقد كان من أشهر علماء مكة في الفقه وكان يدرّسه بالمسجد الحرام أكثر من أربعين سنة، وكان يفتي لتبحره في علم الفقه وقد توفي سنة ٨٥٠هـ[5].

---

(١)هو الشيخ محمد بن أبي بكر بن علي النجم الأنصاري الذروي المكي ولد سنة ٧٦٠هـ بمكة، طلب العلم فسمع على عدد من العلماء، وبرع في الفقه واللغة العربية وخصوصاً الأدب العربي، درس بالمدرسة المنصورية بمكة توفي سنة ٨٢٧هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٧، صـ١٨٢. ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٨، صـ٥٩.

(٢)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٨٦١.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١٠٧.

(٤)هو عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي المكي المالكي ولد سنة ٧٤١هـ بمكة، طلب العلم فسمع على يد عدد من العلماء درس وأفتى بمكة وانتفع به الناس وطلبة العلم، وكان بارعاً في الفقه توفي سنة ٨٥٠هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ١٤٩.

(٥)ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٥، صـ١٠٥.

هذا وكان عدد من علماء الفقه يتخصصون بدراسة الفقه على مذهب واحد فيكون عالماً بالفقه على مذهب معين ومنهم:

الشيخ عبد الرحمن[١] بن أحمد بن عبد الملك القرشي العمري الهندي الملقب وجيه الدين، فقد كان عالماً بالفقه على مذهب أبي حنيفة وقد توفي سنة ٨٢٧هـ[٢].

والشيخ أحمد بن ناصر[٣] بن علي الكناني المكي الحنبلي، فقد كان عالماً بالفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وقد درّس هذا المذهب وتوفي سنة ٨١٢هـ[٤]. والشيخ لطف الله[٥] بن يعقوب بن إسماعيل الهمذاني التبريزي، كان يدرس مذهب أبي حنيفة بالمسجد الحرام[٦]، وهذا يدلنا على أن معظم العلماء الذين يدرسون الفقه كانوا يدرسون الفقه كل على مذهبه حيث يكون الإمام عالماً بالمذاهب الأخرى ولكن تدريسه يكون وفق مذهبه الذي يرى أنه الأصح بين المذاهب، وقد كان أغلب علماء وفقهاء مكة المكرمة على المذهب الشافعي مما يدل أن أغلب الدروس وطلبة العلم كانوا يدرسون الفقه الشافعي بالمسجد الحرام وعلى قضاة مكة المكرمة.

---

(١)هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك القرشي العمري الهندي الحنفي، اهتم بدراسة الفقه قدم مكة من بلاد الهند سنة ٧٧٥هـ واستقر بمكة كان ينوب عن القضاة في عقد الأنكحة توفي سنة ٨٢٧هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٥٣.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ١٢.

(٣)هو الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر بن علي الشهاب الكناني المكي، ولد قبل ٧٥٠هـ بمكة طلب العلم فسمع على عدد من العلماء منهم القاضي العز بن جماعة ورحل في طلب العلم فزار حلب وحماة، والقاهرة، كان خيراً فاضلاً درس الحديث والفقه، توفي سنة ٨١٢هـ.

ابن حميد، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، جـ١، صـ٢٤٦. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ٩٠.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١١٢.

(٥)هو الشيخ لطف الله بن يعقوب بن إسماعيل بن إسحاق الهمذاني التبريزي الشافعي نزيل مكة ولد سنة ٨٤٥هـ بهمدان، ثم هاجر إلى تبريز ثم مكة وعمل بتدريس العلوم لطلبة العلم وخصوصاً علم الفقه، وكان عارفاً بالطب يعالج المرضى احتساباً لوجه الله.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٢٣٣.

(٦)المصدر السابق، جـ٦، صـ٢٣٣.

ومع تواجد عدد كبير من علماء مكة المكرمة وفقهائها وعملهم في نشر العلم بالتدريس والإفتاء بالمسجد الحرام، كانت مكة تستضيف علماء آخرين من أقطار العالم الإسلامي يقدمون إليها لهدفين:

الأول: العبادة وقضاء النسك من عمرة وحج.

والثاني: السكن بمكة بجوار المسجد الحرام للعبادة والعلم.

وبهذا كانت مكة جامعة كبرى للعلوم بحكم التواجد الكبير من العلماء وكان هؤلاء العلماء المجاورون يأخذون في تعليم طلبة العلم من العلوم التي يحملونها فيجيزون من يرونه أهلاً من الطلبة الذين يتلقون العلم على يديهم.

ومن علماء الفقه الذين جاوروا بمكة ودرّسوا هذا العلم :

الشيخ أحمد بن يونس(1) بن سعيد الحميري المغربي القسنطيني فقد حج هـذا الشيخ سنة ٨٦٤هـ ثم أقام بمكة ودرّس الفقه وعدد من العلوم، فاستفاد من علمه عدد كبير من طلاب العلم(2).

والشيخ برهان الدين الأبناسي(3) الذي كان أشهر علماء المذهب الشافعي بمصر فعندما زار هذا الشيخ مكة المكرمة سنة ٨٠١هـ استغل القاضي عز الدين النويري مجيئه فقرأ عليه كتاب الحاوي في الفقه وحصل على إجازة بالتدريس والإفتاء(4).

---

(١)هو الشيخ أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى الحميري القسنطيني المغربي المالكي يعرف بابن يونس ولد سنة ٨١٣هـ بقسنطينه، فحفظ القرآن وطلب العلم على يد عدد من العلماء، قدم لمكة فحج وجاور بها وسمع العلم على مشايخها كان عالماً بالفقه و اللغة العربية والحساب والمنطق توفي سنة ٨٧٨هـ بالمدينة المنورة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٢٥٢.

(٢)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥٧٦.

(٣)هو الشيخ إبراهيم بن موسى بن أيوب البرهان الابناسي ولد سنة ٧٢٥هـ حفظ القرآن وطلب العلم على عدد كبير من العلماء بمصر ومكة المكرمة، أصبح من كبار العلماء بمصر، حدث وتولى مشيخة الحديث وأفتى ودرس حاولت الدولة تعيينه قاضياً فرفض، لقب بشيخ الشيوخ بالديار المصرية ودرس بالأزهر له الكثير من المؤلفات، قدم للحج فحدث واقرأ طلبة العلم سنة ٨٠١هـ، توفي سنة ٨٠٢هـ في الطريق إلى مصر.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ١٧٢.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٧٧.

والشيخ شهاب الدين الغزي[1] الدمشقي المتوفى سنة ٨٢٢هـ فقد جاور بمكة فترة من الزمن تقارب ثلاث سنوات كان يدرس خلالها بالمسجد الحرام في أصول الفقه لطلبة العلم.

وكان يتم تعليم الفقه عن طريق قراءة كتاب أو عدة كتب على الشيخ الفقيه وقد يكون الكتاب المقروء من تأليف الشيخ أو من الكتب التي أُلفت سلفاً في علم الفقه فالشيخ عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي[2] قرأ على الشيخ النجم الطبري كتاب الحاوي وكتاب التنبيه[3].

والشيخ علي[4] بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الهاشمي النجار، حفظ كتاب التنبيه وعرضه على الشيخ الجمال بن ظهيرة وغيره من العلماء[5].

والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الجوهري فقد قرأ في علم الفقه كتاب مختصر الوجيز الذي ألفه الأمين أبو العز مظفر بن أبي الخير الواراني التبريزي على الشيخ البرهان الأبناسي سنة ٧٨١هـ وكتاب الحاوي أيضاً[6].

---

(١)هو الشيخ شهاب الدين أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن بدر العامري الغزي الدمشقي ولد بغزة سنة بضع وستين وسبعمائة، طلب العلم فدرس على عدد من العلماء، مهر في الفقه والأصول جاور بمكة ومات بها سنة ٨٢٢هـ.
ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ١٥٣. وابن تغري بردي، الدليل الشافي، جـ١، صـ٥٥.

(٢)هو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي شيخ الحجاز عفيف الدين ولد قبل السبعمائة طلب العلم منذ صغره في بلده عدن فأخذ عن عدد من العلماء ونزل مكة وأخذ العلم على علمائها، ألف عدة كتب في عدد من العلوم، كان يجيد الشعر فنظم به العلوم توفي بمكة سنة ٧٦٨هـ.
ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، جـ٣، صـ٩٥.

(٣)السخاوي، التحفة اللطيفة، جـ٢، صـ١٨.

(٤)هو علي بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الغنومي المكي النجار، ولد سنة ٧٨٨هـ حفظ القرآن الكريم على يد عدد من المقرئين وحفظ عدة كتب في علم الفقه حصل على إجازة بالتدريس عمل بصنعة النجارة للتكسب والتعليم احتساباً توفي سنة ٨٥٤هـ. ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٠٤٩.

(٥)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٢٨٠.

(٦)هو محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الشمس أبو عبد الله الجوهري الشافعي، حفظ القرآن الكريم واهتم بدراسة علم الفقه ودرسه على العلماء ولازمهم ولازم الشيخ البرهان الأبناسي وقرأ عليه عدد من كتب العلم توفي سنة ٨٢٣هـ.
السخاوي، الضوء اللامع، جـ٨، صـ٤٦.

وكان بعض طلبة العلم يأخذون العلم عن عدد من العلماء وليس اقتصاراً على عالم واحد فالشيخ محمد بن أحمد بن قاسم الحرازي أخذ علم الفقه عن والده الشيخ أحمد ثم درس الفقه أيضاً على الشيخ نجم الدين الأصفواني[١].

وقد كان العلماء إذا آنسوا من طالب النبوغ والفهم الواسع ومقدرة في استنباط الأحكام أجازوه بالتدريس والإفتاء، فالشيخ تقي الدين الفاسي درس على يد الشيخ الشريف عبد الرحمن الفاسي علم الفقه فأجازه الشيخ في الإفتاء والتدريس لما رأى فيه من مقدرة علمية، وصورة الإجازة على النحو التالي: ((قرأ علي كتابي الشامل قراءة بحث وتفهم وقد أفاد في ذلك أكثر مما استفاد، وقد أذنت له أن يرويه عني مع جميع ما ألفته في الفقه والنحو والأصول من منظور ومنثور، وفي الفرائض والعروض وغير ذلك وما قرأته على الأشياخ أو سمعته من حديث وتفسير وغير ذلك من العلوم وأجزته بالفتيا والتدريس في جميع ذلك لعلمي أنه أهل لذلك مستحق أن ينظم في سلك أهل العلم))[٢].

وكان غالب التعليم يتم عن طريق حفظ كتب العلم عن ظهر غيب ثم تسميعها على العلماء، وقد كان العلماء يحفظون عدداً كبيراً من كتب العلم في الفقه وغيره فالشيخ أبو بكر بن محمد بن أبي بكر الذروي حفظ كتاب المنهاج في الفقه وكتاب مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه، وعدداً آخر من الكتب العلمية[٣].

---

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، صـ٣٥٠.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٤٨.

(٣)المصدر السابق، جـ٦، صـ٢٧٢.

أصول الفقه:

ومع تدريس الفقه كان يُدرس علم ملازم له وهو علم أصول الفقه وكان علماء الفقه محيطين بهذا العلم ومن المشايخ الذين درّسوا هذا العلم الشيخ كمال الدين[1] بن الهمام فقد ألف كتاب سماه التحرير وكان يدرّسه لطلبة العلم[2]، والشيخ محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة فقد درّس الفقه وأصوله بالمسجد الحرام واستفاد منه طلبة العلم[3].

والشيخ إبراهيم الكردي[4] فقد كان عالماً في أصول الفقه وكان يدرّسه من كتاب المنهاج في أصول الفقه[5].

علم الفرائض:

هذا العلم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الفقه، وهو يختص بتقسيم تركة المتوفى وكان لابد للعالم الذي يتقن هذا العلم أن يكون ماهراً في علم الحساب وكان الفقهاء هم أكثر العلماء معرفة بهذا العلم ؛ وكان هذا العلم أيضاً يدرسه الفقهاء بمكة مثل الفقه وأصوله.

---

(١)هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود بن الهمام السيواسي القاهري ولد سنة ٧٩٠هـ نشأ في بيت علم وفقه فوالده كان قاضي الأسكندرية تعلم على يد عدد كبير من العلماء وكان ذكياً تام العقل فبرع في الفقه، قرره السلطان الأشرف برسباي شيخاً في مدرسته مات سنة ٨٦١هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٨، صـ١٢٧.

(٢)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٢٣٦.

(٣)المصدر السابق، جـ١، صـ٣٧٤.

(٤)هو الشيخ إبراهيم بن محمد العقري الكردي، كان من أهل العبادة، ولي مشيخة البيمارستان بمكة المكرمة سنة ٨٤٠هـ واهتم بتجديد أوقاف البيمارستان توفي سنة ٨٥٣هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ١٧٠.

(٥)ابن فهد ، الدر الكمين ، جـ١، صـ٢٣٦.

ومن العلماء الذين درسوا هذا العلم وبرزوا فيه الشيخ بدر الدين[1] حسين بن علي الزمزمي، فقد درس على يديه ابن أخيه علي[2] بن أحمد بن علي، وكان يدرسه لطلبة العلم بمكة وألف فيه الكتب وكان يعرض ما صنفه على علماء عصره[3].

والشيخ محمد الأريصي فقد كان عارفاً بهذا العلم فقد درسه على يد الشيخ القاضي شهاب الدين أحمد بن ظهيرة[4].

ومن العلماء الذين تخصصوا في علم الفرائض الشيخ إبراهيم بن أبي بكر[5] بن محمد البرلسي الحسني المصري وقد عُرف بالفرضي لتبحره في هذا العلم، وكان يدرّس الفرائض والحساب بالمسجد الحرام[6].

والشيخ محمد بن أحمد بن خليل[7] القرافي القاهري، فقد قدم إلى مكة ودرس بها الفرائض وغيرها من العلوم[8].

---

(١)هو بدر الدين أبو عمر حسين بن علي بن محمد البيضاوي الأصل المكي المعروف بالزمزي ولد قبل ٧٧٠هـ، طلب العلم على يد عدد من العلماء وحصل على أجازة منهم، اشتغل بالعلم ومهر في الفرائض والحساب وفاق الأقران حدث قليلاً مات سنة ٨٢١هـ.

ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ١٤٩.

(٢)هو علي بن أحمد بن علي بن محمد البيضاوي الزمزمي، ولد ببلاد الهند وحُمل إلى مكة صغيراً حفظ القرآن وكتباً في الفقه وغيره من العلوم، حصل على إجازات من عدد من العلماء ، برع في الفرائض والحساب والفقه، مات غرقاً في بحر الهند سنة ٨٢٤هـ. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ١٧٥.

(٣)ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٧، صـ٣٣١. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ١٥١.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٤٤٢.

(٥)هو الشيخ إبراهيم بن أبي بكر بن محمد برهان الدين البرلسي الحسني القاهري المصري جاور بمكة ما يقارب عشرين سنة ودرس بها الفرائض والحساب وكان بارعاً فيها، توفي بمصر سنة ٨٠٢هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ٣٥.

(٦)ابن حجر، إبناء الغمر، جـ٤، صـ١٤٣.

(٧)هو محمد بن أحمد بن خليل الشمس أبو عبد الله القرافي، طلب العلم على يد علماء مصر وأذن له بالإفتاء والتدريس برع في الفرائض والفقه والحساب، جلس للتدريس جاور بمكة درّس بها وانتفع به طلبة العلم، مات سنة ٨١٦هـ بالقاهرة. السخاوي، الضوء الامع، جـ٦، صـ٣٠٧.

(٨)المصدر السابق، جـ٦، صـ٣٠٧.

مرتبات الفقهاء:

علماء الفقه الذين لم يتولوا وظائف في الدولة مثل القضاة وغيرهم كانوا لا يحصلون على مبالغ مالية من الدولة فقد كان تعليمهم في المسجد الحرام احتساباً لله ومما يدل على ذلك أن بعض هؤلاء العلماء كانوا يعملون بأعمال غير العلم لكي يعيشوا بدخلها ومنها التجارة فالشيخ عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر الأنصاري كان يسافر للتجارة إلى اليمن[١]. والشيخ علي بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الهاشمي النجار، كان بجانب علمه في الفقه يعمل صنعة السروج ويرتزق منها[٢].

هذا ومع تواجدهم في مكة المكرمة كان ينالهم الكثير من الصدقات التي كانت تُرسل من جميع أقطار العالم الإسلامي فقد كانت كثير من الصدقات توزع على علماء مكة المكرمة وأعيانها من القضاة والفقهاء ورجال العلم.

ومن ذلك في عام ٨٠٠هـ وصلت هدية من السلطان غياث الدين ملك بنغالة فرقت على أهل العلم من القضاة والفقهاء وغيرهم[٣].

ومن تلك الصدقات ما كان يرسله حكام الدولة العثمانية وقد وصلت إلى مكة المكرمة صدقات من السلطان بايزيد[٤] عام ٩١٥هـ فرقت على العلماء والقضاة والفقهاء[٥] وقد كانت هذه الصدقة مستمرة كل عام.

أما الدروس المُقامة من قبل السلاطين أو بعض الموسرين فقد كان يُصرف لمعلميها مبالغ مالية على شكل مرتب سنوي مثل دروس السلطان الأشرف شعبان، فقد خصص

---

(١)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٨١٩. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ١٢٦.

(٢)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٢٨٠.

(٣)أحمد دحلان، أمراء البلد الحرام، صـ٥٥.

(٤)هو السلطان بايزيد بن السلطان محمد الفاتح العثماني، ولد سنة ٨٥١هـ وكان أكبر أبناء السلطان محمد تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ٨٨٦هـ، كان محباً للعلوم والآداب، انشغل في بداية توليه الحكم بحروب أخيه جما، وفي عهده بدأت العلاقات مع دول أوربا، تنازل لابنه سليم سنة ٩١٨هـ.

محمد فريدبك المحامي، تاريخ الدولة العلمية العثمانية، صـ١٧٩.

(٥)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤٣١، ٤٨٩.

١٢٠٠ درهمٍ في السنة لمدرس الفقه وخصص أيضاً مرتبات للطلبة بواقع ١٨٠ درهماً في السنة[١].

دروس الفقه المقامة بالمسجد الحرام:

كان في العصر المملوكي تُقام بالمسجد الحرام دروسٌ في الفقه يتكفل بإقامتها بعض محبي العلم من السلاطين والأمراء والموسرين، ومنهم سلطان مصر الملك الأشرف شعبان، فقد أقام درساً للفقه بالمسجد الحرام عام ٧٧٧هـ شمل المذاهب الأربعة حيث خصص لكل مذهب فقيهاً يعلم فقه مذهبه وحدد لكل مذهب عدداً من طلبة العلم وخصص للفقهاء المعلمين مرتباً قدره ١٢٠٠ درهمٍ في السنة، ولطلبة العلم لكل طالب ١٨٠ درهماً سنوياً. وكان يصرف على هذا الدرس من أوقاف السلطان التي حددها السلطان للإنفاق على أعمال البر التي أقامها[٢].

درساً في الفقه أمر به القاضي ناصر الدين بن سلام[٣] الأسكندري وقد درس به الشيخ أحمد بن محمد بن عبد المعطي الأنصاري الخزرجي[٤] وذلك قبل عام ٧٥٨هـ حيث توفى الشيخ[٥]، والظاهر أن الشيخ أحمد كان أول مدرس بهذا الدرس حيث درس بعده ابنه

(١)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، صـ٢٣٣.

(٢)المصدر السابق، صـ٢٣٣.

(٣)هو محمد بن أحمد بن سلام ناصر الدين بن الشهاب، كان والياً لدمياط سنة ٨٤٢هـ وعُزل عنها سنة ٨٤٣هـ بسبب حادثة بين أهل دمياط وبعض النصارى.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٣١٠.

(٤)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٩٦.

(٥)هو أحمد بن محمد بن عبد المعطي بن أحمد الأنصاري المكي المالكي ولد سنة ٧٠٩هـ، اشتغل بالعلم ومهر في علوم اللغة العربية وشارك في الفقه وأخذ عن عدد من العلماء كان عالماً بمذهب المالكية توفي سنة ٧٨٨هـ بمكة.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ٢٧٧.

الشيخ محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري[١]، ثم بعده الشيخ عبد القادر بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد الأنصاري[٢].

درس أقامه الأمير خايربك في الفقه، درّس به الشيخ عبد القادر بن عبد اللطيف الحسني الفاسي الحنبلي المتوفى سنة ٨٩٧هـ[٣] والشيخ عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن زيد الشيرازي المتوفى سنة ٨٩٣هـ[٤]، و لم يُعرف تاريخ إقامة هذا الدرس إلا أنه كان قبل عام ٨٨٧هـ حيث توفي الأمير بمكة.

درس أقامه الأمير يلبغا[٥] الخاصكي الأتابكي سنة ٧٦٣هـ، وبدأ التدريس به الشيخ ضياء الدين محمد بن محمد بن محمد بن سعيد الهندي الصغاني[٦] ثم درس به ابنه الشيخ أحمد بن محمد بن محمد الهندي الصغاني[٧].

هذا وكان التدريس بالمسجد الحرام يتم في جميع شهور السنة ما عدا شهر رمضان وأيام موسم الحج حيث يترك العلماء التدريس لانشغالهم بالعبادات[٨].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٨٣.

(٢)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٨٦١، ١٣٢٧. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٤، صـ٢٨٣.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٨٦٧.

(٤)المصدر السابق، جـ٢، صـ٩١٧.

(٥)هو يلبغا بن عبد الله الخاصكي الناصري الأمير الكبير أمّره الناصر حسن، كان له صدقات كثيرة على طلبة العلم ومعروف كثير في بلاد الحجاز وهو الذي حط المكس عن الحجاج بمكة وعوض أمراءها بلداً بمصر، كان يتعصب للحنفية حتى كان يعطي لمن يتمذهب لأبي حنيفة العطاء الجزيل.

ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢١٢.

(٦)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٩٦.

(٧)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١٠٧.

(٨)المصدر السابق، جـ٢، صـ٢٤٦.

المبحث الرابع: علوم اللغة العربية:

اهتم المسلمون منذ القدم بعلوم اللغة العربية فألفوا فيها الكتب، وجلس علماؤها لتدريس طلبة العلم، وفي العصر المملوكي برز عدد كبير من علماء اللغة العربية اهتموا بدراستها وحفظها ومن أشهر مدارس اللغة العربية في العصر المملوكي المسجد الحرام الذي كان علماء اللغة يدرسونها فيه بجانب العلوم الشرعية لما للغة من أهمية في حفظ العلوم وفهم نصوص الشرع.

وكان طلبة العلم يقبلون على تعلم اللغة العربية وآدابها شأنها في ذلك شأن باقي العلوم، وقل أن نجد عالماً في أحد فروع العلوم الشرعية إلا ويتقن اللغة العربية بدراستها على مشايخ اللغة وعلمائها.

وقد برز عدد كبير من علماء اللغة العربية في مكة المكرمة في العصر المملوكي كانوا يدرسونها في المسجد الحرام نذكر منهم:

الشيخ أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد المعطي، فقد أخذ عدد كبير من طلبة العلم على يديه علوم اللغة، وخاصة علم النحو حيث كان يلقب نحوي مكة لبراعته في هذا الجانب[1].

والشيخ محمد بن أبي بكر بن علي نجم الدين المرجاني، كان من علماء اللغة العربية وبرع في الأدب وألف الكتب وكان شاعراً مجيداً نظم قصيدة تجمع بعض علوم اللغة العربية سماها مساعد الطلاب في الكشف عن قواعد الإعراب، وكان يحفظها طلبة العلم ويسمعونها عليه[2].

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٣٧٦.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٢٦. ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٨، صـ٥٩. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ١٨٢.

والشيخ أحمد ين يوسف بن سعيد بن عيسى الحميري القسنطيني، كان يدرس علوم اللغة العربية بالمسجد الحرام[1].

والشيخ عبد الله[2] بن محمد بن محمد بن محمد العفيف الحسني الرميثي البخاري، كان يدرس علوم اللغة العربية بالمسجد الحرام[3].

والشيخ عبد القادر بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد المعطي الأنصاري كان يلقب نحوي مكة لبراعته في علم النحو[4]، وكان يعقد دروساً في علم النحو بالمسجد الحرام يحضرها طلاب العلم[5].

والشيخ إبراهيم الهندي كان عالماً بعلوم اللغة العربية من نحو وأدب ومعان وبيان، وقد أخذ عنه عدد كبير من طلاب العلم منهم الشيخ برهان الدين بن ظهيرة[6].

ومن علماء اللغة الذين تخصصوا في علمي البلاغة والبيان الشيخ إبراهيم[7] بن عبد الكريم الكردي الحلبي، فقد استفاد منه طلبة العلم ومع سعة علمه كان يحسن التعامل مع طلبة العلم بحيث كان يحبب لهم طلب العلم، فاستفادوا منه كثيراً وأقبلوا عليه[8] ينهلون من علومه.

---

(١)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٢٥٢.

(٢)هو عبد الله بن محمد بن محمد العفيف الحسني الرميثي البخاري الأصل المكي ولد سنة ٨٧٢هـ بمكة ونشأ بها طلب العلم فأخذه على عدد من العلماء، صلى بالناس التراويح بالمقام الحنفي، وقد درس العربية وغيرها.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٦٦.

(٣)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٦٦.

(٤)ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ٣٢٩.

(٥)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٣٧٤.

(٦)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ١٩٠.

(٧)هو الشيخ إبراهيم بن خليل بن محمد بن علي الشوساري الكردي الحلبي نزيل مكة المشرفة، قدم مكة بعد الثلاثين وثمانمائة ودرّس بها وأفتى، كان حسن الخلق كثير البشر بالطلبة أنتفع به الطلبة في علم اللغة وخصوصاً البيان توفي سنة ٨٤٠هـ.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٥٩٥. وابن حجر، إنباء الغمر، جـ٨، صـ٤٣١.

(٨)ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ٢٣٣.

وكان بعض علماء اللغة العربية يتخصصون بتعليم الطلبة المبتدئين في تعلم علوم اللغة العربية نذكر منهم الشيخ[1] محمد بن محمد بن يوسف أبا العز القدسي الحلاوي، فقد كان من الذين سكنوا مكة ودرسوا علم النحو للمبتدئين[2].

ومن أشهر علماء اللغة بمكة بجميع فروعها كان الشيخ عبد الواحد بن إبراهيم بن أحمد المرشدي الفوي[3]، فقد درس على يديه عدد لا يحصى من طلبة العلم. وقد استفاد طلبة العلم بمكة من علماء اللغة العربية الذين يأتون لمكة المكرمة بحيث يجاورون مدة من الزمن ثم يغادرون وقد يعودون في فترات أخرى ومن أشهر العلماء في اللغة الذين جاوروا مدة من الزمن بمكة واستفاد منهم طلبة العلم العالم الجليل إمام أهل اللغة العربية محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي الشيرازي فقد قدم إلى مكة سنة ٧٦٠هـ بعد أن طاف بعدد من بلاد المسلمين يطلب العلم على علمائها، وكان من سعة علمه وحبه له يصطحب معه أحمالاً من الكتب يخرجها في كل مترل، وكان أشهر مؤلفاته كتابه الشهير في اللغة القاموس المحيط، ومع أن هذا العالم لم يمكث بمكة مدة طويلة لتردده بين مدن الحجاز واليمن إلا أن تردده على مكة يعطينا دليلاً أن طلبة العلم قد استفادوا من علمه الغزير وكتبه[4]، وكان أبرز أعماله أنه درّس بالمسجد الحرام بأمر السلطان الأشرف شعبان وحدد له مرتباً قدره ألف درهم على أن يدرّس كل يوم مثل المعلمين الآخرين في العلوم الأخرى، والأرجح أن درسه كان في اللغة العربية لتخصصه في هذا العلم واختصاصه به ولكن تدريسه لهذا الدرس لم يدم وذلك لتنقل الشيخ بين اليمن والحجاز[5].

---

(١)هو محمد بن محمد بن يوسف الشمس أبو العزم القدسي الحلاوي، ولد سنة ٨١٩هـ ببيت المقدس، طلب العلم فأخذه عن عدد من العلماء من عدد من أقطار العالم الإسلامي وحصل على إجازات من عدد من العلماء، قدم مكة فسكنها وصار يدرس النحو بها للمبتدئين توفي سنة ٨٨٣هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠، صـ٣٥.

(٢)المصدر السابق، جـ١٠، صـ٣٥.

(٣)ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٨، صـ٣٦٤.

(٤)ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ١٢٦. والحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون، صـ٩٠.

(٥)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، صـ٢٤٣.

هذا وكان طلبة العلم يقبلون على تعلم اللغة العربية وآدابها وكانت غالباً دراستهم تبدأ بحفظ ألفية[1] ابن مالك في علم النحو فكان الطلبة يحفظون الألفية عن ظهر القلب ويعرضونها على علماء اللغة. وكان أيضاً يتم التدريس بقراءة كتاب أو عدة كتب على علماء اللغة[2] من قبل طلبة العلم، فالشيخ أبو بكر[3] بن علي بن محمد بن ظهيرة قرأ كتاب الكافية لابن الحاجب على الشيخ أبي الفتح[4] الكالغي الهندي، وقرأ عليه أيضاً كتاب ألفية الشيخ أبي الفتح نفسه، وألفية ابن مالك على الشيخ أحمد بن يونس المغربي[5].

وكان طلبة العلم يحفظون القصائد التي تحتوي على حفظ العلوم حيث كان علماء اللغة العربية ينظمون القصائد في علوم اللغة فيسمعها عليهم طلبة العلم ثم يشرحونها، مثل الشيخ محمد بن أبي بكر بن علي الذروي نجم الدين المرجاني، فقد نظم قصيدة سماها

---

(١)هي عبارة عن أرجوزة تبلغ ألف بيت من الشعر جمع فيها جمال الدين محمد بن مالك علم النحو وقد ذكر فيها قوله:

استعين الله في ألفية مقاصد النحو بها محوية.

وقد سميت أيضاً الخلاصة ولكن شهرتها بالألفية، وكانت دستوراً لطلاب علم اللغة فقد أقبل علماء اللغة على حفظها وتحفظيها لطلبة علم اللغة العربية وقد قيل أنها طوت الكتب التي ألفت قبلها.

ابن عقيل، شرح ابن عقيل، جـ١، صـ٥.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٤٤.

(٣)هو أبو بكر بن علي بن أبي البركات محمد بن أبي السعود محمد بن حسين بن ظهيرة ولد سنة ٨٣٨هـ بمكة ونشأ بها فحفظ القرآن وغيره من كتب العلم، وطلب العلم على يد عدد من العلماء من أهل مكة والواردين عليها، ودرس بالمسجد الحرام في درس خيربك والنظر على بعض الأربطة، توفي سنة ٨٨٩هـ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـ٥٨.

(٤)هو أبو الفتح بن علي الكالغي الهندي، قدم مكة سنة ٨٦١هـ فأخذ عنه أبو بكر بن ظهيرة النحو وله فيه مؤلف والصرف والمعاني والبيان وغيرها.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـ١٢٤.

(٥)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١٢٨٠.

مساعد الطلاب في الكشف عن قواعد الإعراب[1]، وكان الطلبة يحرصون على قراءة كتب اللغة العربية على العلماء القادمين لمكة وزيادة في العلم والمعرفة فالشيخ محمد[2] بن عبد القادر الحنبلي الفاسي، قرأ على الشيخ نجم الدين الواسطي[3] السكاكيني مقدمة في علم النحو ألفها الشيخ نجم الدين سماها تحفة الطلاب في معرفة البناء والإعراب وأجازه بتدريسها لطلاب العلم[4]، وهذا يدل على حرص الطلبة على قراءة الكتب على مؤلفيها زيادة في المعرفة والتحصيل.

ومن كتب اللغة العربية وآدابها التي كان يدرسها طلاب العلم كتاب مقامات[5]

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٢٦. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ١٨٢.

(٢)هو أبو الفتح محمد بن عبد القادر بن أبي الفتح محمد بن أحمد الفاسي الحسني الحنبلي ولد بمكة سنة ٨١٣هـ، طلب العلم على يد عدد من العلماء بمكة والواردين عليها ناب عن عمه السراج عبد اللطيف في القضاء والإمامة بمقام الحنابلة توفي سنة ٨٤٢هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، صـ١٢٦.

(٣)هو محمد بن عبد القادر بن عمر السنجاري الأصل الشيرازي ثم الواسطي الشهير بالسكاكيني ولد سنة ٧٥٧هـ طلب العلم فدرس على عدد من العلماء، ورحل لطلب العلم فزار بغداد وأخذ عن العلماء ثم زار مكة والشام ثم أخذ يتردد بين مكة والمدينة النبوية حتى توفي بمكة سنة ٨٣٧هـ. له عدد من المؤلفات منها شرح المنهاج في الأصول للبيضاوي وغيره، وقد درّس بالحرمين وأفتى وانتفع به طلبة العلم.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ١٥٩. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ٨،صـ٦٧.

(٤)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ١٦٥.

(٥)المقامة هي رواية تقال في مقام معين وتشمل على الكثير من دروس اللغة وفرائد الأدب والحكم والأمثال والأشعار النادرة التي تدل على سعة وغزارة مادة وطول باع وعلو مقام في عالم الأدب وقد ابتكرها بديع الزمان الهمذاني المتوفى عام ٣٩٨هـ وبعده الحريري المتوفى سنة ٦١٥هـ.

الهاشمي، جواهر الأدب، جـ١، صـ٣٨٨.

الحريري[1]، فقد سّمعها الشيخ محمد بن عبد الله بن ظهيرة على الشيخ الكمال محمد بن عمر بن حبيب[2] الحلبي[3].

هذا ولم يرد أن علماء اللغة العربية الذين كانوا يدرسونها بالمسجد الحرام كانوا يأخذون مرتبات لقاء ما يقدمونه من علم لطلبته عدا الدرس الذي كان يقوم به الإمام الفيروز آبادي من قبل الملك الأشرف شعبان.

---

(١)هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحرافي الحريري، اهتم بطلب العلم منذ صغره بالبصرة وبغداد على عدد من العلماء في علم اللغة العربية والأدب، ألف المقامات وكتاب درة الغواص في وهم الخواص وغيره من الكتب في الأدب. توفي سنة ٥١٦هـ بالبصرة، وكانت ولادته سنة ٤٤٦هـ .

ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٣، صـ٤٩٢. والذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٩، صـ٤٦٠.

(٢)هو محمد بن عمر بن حسن بن عمر بن حبيب الدمشقي الحلبي كمال الدين ولد سنة ٧٠٣هـ وطلب العلم على عدد من العلماء، كتب في ديوان الإنشاء بحلب، وحدث بالكثير وأخذ عنه أهل مكة حين جاور بها سنة ٧٧٣هـ، توفي بالقاهرة سنة ٧٧٧هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٤، صـ١٠٤. وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، صـ٢٥٥.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٢٠٣.

المبحث الرابع: علم التاريخ:

من العلوم التي اهتم بها العلماء في العصر المملوكي في مكة المكرمة علم التاريخ.

والتاريخ لغة: هو الإعلام بالوقت ((تعريف الوقت))[1].

واصطلاحاً: التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد ووفاة وصحة ورحلة وتوثيق ...الخ، والحاصل أنه العلم الذي يناقش عن وقائع الزمان من وقت حدوثها وأسبابها[2].

وقد اهتم العلماء بمكة المكرمة بعلم التاريخ مثل اهتمامهم بالعلوم الأخرى فألفوا فيه الكتب ودرسوه لطلبة العلم وقد أخذت السيرة النبوية النصيب الأكبر من اهتمام علماء التاريخ فكانت تدرس في المسجد الحرام بالإضافة لتدريس بعض الكتب التاريخية وخصوصاً الكتب التي ألفها العلماء في ذلك العصر وكان الاهتمام على النحو التالي:

دراسة السيرة النبوية:

اهتم العلماء بمكة بتاريخ السيرة النبوية فقد كانت تدرس في المسجد الحرام وكان طلبة العلم يقرؤون كتباً في السيرة النبوية على العلماء ومن أشهر العلماء الذين كانوا يدرسون السيرة النبوية بالمسجد الحرام:

١ـــ الشيخ فتح الدين محمد[3] بن سعيد الفاسي اليعمري المتوفى سنة ٧٣٤هـــ فقد ألف هذا الشيخ كتاباً في السيرة النبوية سماه نور العيون في سيرة الأمين المأمون[4].

---

(١)ابن منظور، لسان العرب، جـــ١، صـــ١١٣.

(٢)السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، صـــ١٤.

(٣)هو أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن سيد الناس الفاسي الشافعي اليعمري الأندلسي الأشبلي ولد سنة ٦٧١هـــ بالقاهرة، نشأ محباً للعلم وطلبة على عدد من العلماء، صنف كتباً نفيسة منها السيرة الكبرى سماها عيون الأثر في مجلدين واختصره في كراريس سماها نور العين واهتم بعلم الحديث وبرع فيه وفي الفقه والنحو والسير والتاريخ توفي عام ٧٣٤هـــ بالقاهرة.
شذرات الذهب، جـــ٦، صـــ١٠٨. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـــ٤، صـــ٢٠٨.

(٤)ابن أياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـــ١، صـــ٤٦٩.

٢ـــ الشيخ تقي الدين المقريزي[١] فقد درس تاريخ السيرة النبوية عندما زار مكة المكرمة من كتاب إمتاع الأسماع[٢] بالمسجد الحرام وكان يحضر مجلسه طلبة العلم[٣] .

٣ـــ الشيخ محمد[٤] بن محمد بن محمد المخزومي الإسكندراني، فقد درس السيرة النبوية لابن هشام بمكة المكرمة[٥].

٤ـــ الشيخ عبد العزيز[٦] بن فهد، فقد درس السيرة النبوية بالمسجد الحرام من كتاب ابن سيد الناس نور العيون في سيرة الأمين المأمون[٧].

---

(١)هو أحمد بن عبد القادر بن محمد الحسيني العبيدي يُعرف بابن المقريزي ولد سنة ٧٦٦هـــ بالقاهرة ونشأ بها محباً للعلم فسمع على عدد من العلماء بمصر وبالحجاز، وولي الحسبة بالقاهرة، حج أكثر من مرة وجاور بمكة وكان عالماً بالحديث والفقه واشتهر بالتاريخ وألف فيه الكتب العديدة توفي سنة ٨٤٥هـــ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـــ٢، صـــ٢١.

(٢)هذا الكتاب يحمل اسم إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع، وهو موجود في الوقت الحاضر، وقد صححه وشرحه السيد محمود محمد شاكر، ونشرته مكتبة ابن تيمية.

عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـــ١، صـــ٥٠٧.

(٣)ابن فهد، الدر الكمين، جـــ١، صـــ١٣٤، صـــ٢٨٩، جـــ٢، صـــ١٣٤٢.

(٤)هو محمد بن محمد بن محمد فتح الدين القرشي المخزومي السكندري ولد سنة ٧٥٩هـــ، وسمع من ابن نباتة سيرة ابن هشام وحدث بها عنه بمكة، سمع من الفضلاء، وكان يعمل بالتجارة وسُرق مرة فبقي فترة باليمن يكتب للملك الأشرف وحصل على ما أحسن حاله وعاود التجارة وربح وعاد لمكة توفي سنة ٨١٧هـــ بالطور.

السخاوي، الضوء اللامع، جـــ١٠، صـــ١٣.

(٥)ابن حجر، إنباء الغمر، جـــ٧، صـــ١٥٩.

(٦)هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي ولد بمكة المكرمة سنة ٨٥٠هـــ حفظ القرآن وعدد من كتب العلم ورحل في طلب العلم إلى عدد من بلاد المسلمين، برع في علم الحديث واهتم بالتاريخ، ألف فيه عدد من الكتب منها بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى، وغاية المرام بأخبار سلطنة البيت الحرام ...الخ، توفي سنة ٩٢٢هـــ.

ابن العماد، شذرات الذهب، جـــ٨، صـــ١٠٠. وعبد الله المعلمي، أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع الهجري، جـــ١، صـــ١٦٤.

(٧)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـــ١، صـــ٥٠٧.

٥ـ الشيخ شمس الدين[١] بن محمد بن عبد الرحمن السخاوي، فقد درس السيرة النبوية في مكة المكرمة من كتاب ابن سيد الناس وذلك عندما كان يقيم بمكة سنة ٨٩٧هـ[٢].

تاريخ مكة المكرمة:

ومع اهتمام المؤرخين بتاريخ السيرة النبوية اهتموا أيضاً بتاريخ مكة المكرمة تدريساً وتأليفاً حيث كانت تُعقد مجالس لتدريس تاريخ مكة المكرمة وكانت غالباً تدرس تاريخ مكة من الكتب التي أُلفت عن مكة المكرمة مثل أخبار مكة للشيخ أبي الوليد[٣] محمد بن عبد الله الأزرقي ومن العلماء الذين درسوا هذا الكتاب في مجالس المسجد الحرام: الشيخ عبد العزيز[٤] بن فهد والشيخ عبد الرحمن بن ديلم الشيبي الحجبي المكي[٥].

ومن الكتب التي كانت تدرس أيضاً كتاب غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام وكان يُدرسه مؤلفه الشيخ عبد العزيز بن فهد[٦].

---

(١)هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، ولد بالقاهرة سنة ٨٣١هـ، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير وطلب العلم فدرس على عدد من العلماء، وحفظ عدد من كتب العلم، وبرع في الفقه والعربية والقراءات والحديث والتاريخ وشـارك في الفرائض والحساب وغيره من العلوم وحصل على إجازات من عدد من العلماء، حج سنة ٧٨٥هـ وجاور بمكة وحدث بالمسجد الحرام وتكررت الزيارة للحج وللمدينة النبوية، وألف العديد من الكتب في الحديث والتاريخ توفي بالمدينة النبوية سنة ٩٠٢هـ.

ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٨، صـ١٥. والزركلي، الأعلام، جـ٦، صـ١٩٤.

(٢)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، صـ٢٩٠.

(٣)هو محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي الغساني المكي أبو الوليد، عاش هذا المؤرخ في مكة المكرمة خلال القرن الثالث الهجري، وقد روى الحديث وجمع منه مسنداً، وقد أخذ عن أئمة منهم الإمام أحمد بن حنبل والمؤرخ ابن سعد صاحب الطبقات، يرجح وفاته سنة ٢٤٤هـ.

الحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون بمكة، صـ١٥.

(٤)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٥٢٩.

(٥)الفاسي، العقد الثمين، جـ٥، صـ٢٠.

(٦)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٦٩٥.

المؤرخون بمكة في العصر المملوكي:

اهتم العلماء في العصر المملوكي بعلم التاريخ وبرز منهم مؤرخون عديدون أشهرهم:

١ــ الشيخ تقي الدين الفاسي، فقد ألف أشهر كتبه عن مكة المكرمة وهو شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، وكتابه في التراجم العقد الثمين بتاريخ البلد الأمين[١].

٢ــ الشيخ النجم عمر ويسمى أيضاً محمد بن محمد تقي الدين بن فهد الهاشمي المكي المتوفى سنة ٨٨٥هــ، فقد كان من مؤرخي مكة المكرمة بالإضافة إلى علوم الشرع التي برع فيها ومن مؤلفاته في التاريخ كتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى، وكتاب بذل الجهد فيمن سمي بفهد وابن فهد، وكتاب الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين[٢].

٣ــ الشيخ عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الملقب بالعز، فقد ألف كتابه بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، وكتاب غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام[٣].

٤ــ الشيخ محمد بن عبد القوي[٤] بن محمد البجائي المغربي المكي المالكي المتوفى عام ٨٥٢هــ وكان هذا العالم من علمه الغزير في الحديث والفقه يمارس تدريس التاريخ من ذاكرته حيث كان يمتلك حافظة قوية فكان يروي الأحداث في مكة المكرمة مما يدل على

---

(١)ابن العماد، شذرات الذهب، جــ٧، صــ١٩٩.

(٢)السخاوي، الضوء اللامع، جــ٦، صــ١٢٦. والحبيب الهيلة، التاريخ و المؤرخون، صــ١٤٧. والزركلي، الأعلام، جــ٥، صــ٦٣.

(٣)السخاوي، الضوء اللامع، جــ٤، صــ٢٢٤. والحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون، صــ١٧٠.

(٤)هو محمد بن عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي المغربي المكي المالكي، ولد سنة ٧٨١هــ بمكة المكرمة ونشأ بها وحفظ القرآن وعدد من كتب العلم وتعلم الفقه على يد علماء مكة ودرس الحديث الشريف، وتعانى الشعر فتميز فيه وأكثر من مطالعة التاريخ بحيث صار يحفظ منه كثيراً لا سيما تواريخ الحجاز وتميز في الأنساب وبرع في الأدب وكان يعرف المواقع وما ورد فيها من تاريخ مكة، توفي سنة ٨٥٢هــ.
السخاوي، الضوء اللامع، جــ٨، صــ٧١.

قوة حافظته، وكان أيضاً يحفظ الأشعار وقد كُتب عنه مجلد مما يحفظ من التواريخ والأشعار[١].

٥ــ الشيخ محمد[٢] بن محفوظ بن محمد بن غالي الجهني الشبيكي المكي المتوفى سنة ٧٧٠ هــ تقريباً، فقد ألف هذا الشيخ كتاباً في التاريخ، استفاد منه تقي الدين الفاسي في كتاباته التاريخية، وقد فُقد هذا الكتاب في العصر المملوكي وذلك يعود على الأرجح لعدم كتابة نُسخ منه[٣].

هذا و لم تكن الكتابة التاريخية بمكة المكرمة بمنأى عن الرقابة من الدولة حيث ورد أن السلطة في مكة المكرمة تمنع مالا يروق لها كتابته بل وتعاقب من يكتب الأحداث التي لا تُرضى عنها من يقرؤها ومن ذلك موقف ممثل سلطة المماليك بمكة المكرمة من المؤرخ الشيخ محمد[٤] بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة فقد جلد هذا المؤرخ على بعض تعاليقه التاريخية حتى ترك الكتابة التاريخية كلياً، وصار يوصي غيره من المؤرخين بكتابة الأحداث جميعاً مما يدل على أنه ممنوع من الكتابة[٥].

---

(١)ابن فهد، الدر الكمين، جــ١، صــ١٦٥.والحبيب الهيلة، صــ١٢٩.

(٢)هو محمد بن محفوظ بن محمد بن غالي الجهني الشبيكي المكي، مؤرخ مكي ترجم له الفاسي استفاد من كتاب له، كانت له عناية بالتاريخ، وكان له نظماً، كتب بخطه كثيراً وكان خــطه جيداً، ونسخ بالأجرة، توفي سنة ٧٧٠هــ.

الحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون، صــ٧٢.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جــ٢، صــ٣٤٨. ابن فهد، اتحاف الورى، جــ٣، صــ٣٠٩. والسخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، صــ٣٠٧.

(٤)هو محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة نجم الدين بن ظهيرة الشافعي ولد سنة ٧٩١هــ بمكة ونشأ بها وسمع من عدد من علمائها، حدث الحديث وسمع منه طلبته العلم، ناب في القضاء بمكة عن أخيه ابي السعادات، اهتم بالتاريخ فحفظ منه جملاً وعلق عليه توفي سنة ٨٦١هــ.

السخاوي، الضوء اللامع، جــ٩، صــ٢١٧.

(٥)السخاوي، الضوء اللامع، جــ٩، صــ٢١٧. والسخاوي، التبر المسبوك، صــ٦٠. والحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون، صــ١٢٨.

ومن هذا نستشف أن الكتابة التاريخية بمكة المكرمة في العصر المملوكي لم تكن بمعزل عن العلوم الشرعية فكان المؤرخون علماء شرعيين ودراستهم لكتب التاريخ تتم بجانب دراستهم للعلوم الشرعية الأخرى.

الفصل الرابع:

المظاهر الدينية المشروعة وغير المشروعة.

المبحث الأول: الاهتمام بالحج وشعائره ومنافعه.

المبحث الثاني: الاحتفال بدخول شهر رمضان المبارك وعيد لفطر والدعاء للحاكم من على قبة زمزم.

المبحث الثالث: ظاهرة التصوف.

المبحث الرابع:الاحتفال بالمولد النبوي.

المبحث الخامس: بعض المظاهر الأخرى، مثل:

- أناشيد المؤذنين.
- الطواف بالجنائز حول الكعبة المعظمة.
- البناء على القبور .
- قراءة القرآن عند القبور ، والكتابة عليها .
- بدعتا الكعبة المعظمة : بدعة العروة الوثقى ، بدعة سرة الدنيا .

المبحث الأول: الاهتمام بالحج:

كان على حكومة المماليك مهمة كبرى في الإشراف على موسم الحج بحكم أنها السلطة السياسية التي تحكم الأماكن المقدسة، لذا كان على حكومة المماليك الاهتمام بعدة أمور مرتبطة بالحج والحجاج منها:

١ـــ توفير الأمن للحجاج في الطرق المؤدية للمشاعر المقدسة في مكة المكرمة،وتوفير الأمن في داخل مكة المكرمة.

٢ـــ توفير مياه الشرب سواءً في الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة أو في مكة والمشاعر المقدسة.

٣ـــ توفير الأمن الغذائي للحجاج في مكة المكرمة ويتطلب ذلك تسهيل وصول المواد الغذائية للحجاج والمقيمين بمكة المكرمة.

هذا ونأخذ كل أمر من هذه الأمور بالشرح حيث يتبين جهود الدولة في ذلك:

أولاً: توفير الأمن للحجاج في الطرق المؤدية للمشاعر المقدسة وفي مكة المكرمة ذاتها. كانت الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة سواءً من العراق والشام، ومصر واليمن تحفها المخاطر وذلك أن هذه الطرق تمر بمناطق صحراوية مقفرة يندر فيها الماء ويسكنها قبائل بدوية تضعف لديها الناحية الدينية بحكم حياتها غير المستقرة، وتحترف هذه القبائل مهنة الرعي وإذا قلت لديها المؤن تغير على قوافل الحجاج القادمة للأماكن المقدسة فتقتل وتسلب لايردها عن فعلها هذا شيء، ومع صعوبة جغرافية المنطقة تضعف سيطرة الدولة عليها، وقد كانت هذه القبائل تعمل من الأعمال الشنيعة بالحجاج ما يندى له الجبين ويسبب عادة في انقطاع الحج لمدد زمنية متفاوتة، ومن ذلك مهاجمة أفراد من قبيلة بلي [1]

---

(١)هي قبيلة تنسب إلى بلي بن عمرو وهي من قبائل قضاعة القحطانية مساكنها بين المدينة ووادي القرى، من مقطع دار جهينة إلى حد دار جذام بالنبك على البحر الأحمر إلى تبوك وإلى جبال الشراة ومعان بالأردن ثم إلى أيله. عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـــ١، صـــ١٠٤. وابراهيم الشريفي، الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبة الجزيرة العربية، جـــ٢، صـــ٧١٥.

لقوافل الحجاج عام ٨٤١هـ عند عودتها من مكة وطلبوا من الحجاج مبالغ من الذهب وعندما امتنع بعضهم مالوا عليهم يقتلون ويأسرون واستولوا على حوالي ثلاثة ألاف جمل بأحمالها ومن سلم من الحجاج فر هارباً على وجهه سعياً على الأقدام فمات منهم من العطش عدد كبير[١].

وفي عام ٨٨٥هـ هاجم أفراد من قبيلة صُبح إحدى بطون قبيلة حرب[٢] مماليك للسلطان قايتباي فقتلوهم واستولوا على مامعهم من أموال[٣].

ومن القبائل التي كانت تهاجم قوافل الحجاج قبيلة بني سالم وهي أيضاً[٤] من بطون قبيلة حرب فقد هاجمت قافلة تحمل صدقات قاصدة المدينة المنورة فنهبتها[٥].

وفي سنة ٨٨٨هـ هاجمت بعض قبائل هذيل قافلة لبجيلة وقتلوا عدداً من رجالها ونهبوا الأموال جميعها[٦].

وبالإضافة إلى هجمات القبائل البدوية، كان بعض أمراء المناطق يطمع في قوافل الحجاج فيقطع عليها الطريق ولا يسمح بمرورها إلا بمبلغ من المـــال، ومن ذلك في عام ٧٨٥هـ خرج الشريف[٧] سعد بن أبي الغيث الحسني الذي كان أميراً على بلدة ينبع

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ١١٧.

(٢)حرب قبيلة أكثرها من العدنانية وهي غير منحدرة من سلالة واحدة بل هي مجموعة أحلاف تقع أماكنها في نجد والحجاز فتمتد من جنوبي ينبع إلى القنفذة على محاذاة الساحل وحول المنطقة الجبلية من المدينة إلى مكة وقسماً من عشائر هذه القبيلة يوجد في نجد ويدخل العراق.

عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـ١، صـ٢٥٩. وإبراهيم الشريفي، الموسوعة الذهبية في أنساب وقبائل وأسر شبه الجزيرة العربية، جـ٣، صـ١٥٧، ١٥٨.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٦٥٤.

(٤)إبراهيم الشريفي، الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية، جـ٣، صـ١٠٩٨.

(٥)المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٢،صـ٣٧٨. ك.سنوك،صفحات من تاريخ مكة،جـ١،صـ٢٠٠.

(٦)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٥٤٢.

(٧)هو سعد بن أبي الغيث بن قتادة بن إدريس بن حسن الحسني الينبعي أميرها ولي مدينة ينبع أكثر من مرة وعزل مات سنة ٨٠٤هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٢٤٨.

على قافلة حجاج المغرب بوادي العقيق[1] وطلب منهم أموالاً وعندما قاوموا استنجد عليهم بأفراد من قومه وقتلوا الحجاج، وفي نفس السنة هاجم قريش بن مهنا بجيش قدره ثمانية آلاف فارس حج العراق فأخذ ما معهم من الأموال واللؤلؤ وقتل منهم عدداً كبيراً ومن سلم منهم قدم إلى مكة عارياً حافياً مع ركب آخر من العراق[2] ومع هذا الوضع المضطرب على طريق الحجاج وبتباعد الحواضر الإسلامية للطبيعة الجغرافية القاحلة نجد حكومة المماليك كانت تقوم بأعمال جيدة لتيسير طُرق الحج ونشر الأمن ومن ذلك :

١ـــ تسليح قوافل الحجاج، فكانت القوافل التي تخرج من مصر أو الشام يكون بصحبتها حامية عسكرية تحت قيادة أحد الأمراء مما يساعد في حفظ الأمن للقافلة[3].

٢ـــ معاقبة القبائل التي تهاجم قوافل الحجاج وذلك بتجريد الحملات عليها وقتالها ومن ذلك تجريد حملة عسكرية على قبيلة بلي سنة ٨٤٣هـــ فقتلت عدداً من أفرادها وأسرت منهم أربعين قدمت بهم الحملة إلى مصر حيث قتلوا جميعاً[4].

ومن ذلك أيضاً معاقبة الأمير سلار[5] لقبيلة بني سالم عندما نهبوا قافلة للحجاج حيث قبض على خمسين فرداً منهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف بعد أن استفتى العلماء فيهم[6].

---

(١) يقع وادي العقيق في غربي المدينة المنورة ويبدأ مساره بقرب حرة بني سليم ثم على مقربة من وادي الفرع في منطقة تعرف بالنقيع، وينتهي مساره في شمال غرب المدينة عند المنطقة المسماة بالغابة.

عبد العزيز كعكي، معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ ، جـــ١، صـــ٥٥١.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـــ١، صـــ٣٤١. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـــ٥، صـــ١٦٠.

(٣) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، جـــ١، صـــ٢٩٠.

(٤) السخاوي، ألضوء اللامع، جـــ١، صـــ٢٤٧.

(٥) هو الأمير سيف الدين التستري الصالحي المنصوري، كان من مماليك علاء الدين علي بن المنصور قلاوون ثم بعد وفاته اتصل بخدمة الأشرف وعندما حكم الناصر محمد بن قلاوون أصبح من كبار الأمراء وولي نيابة السلطة عندما توجه الناصر إلى الكرك وبعد تولي الناصر وعودته من الكرك اعتقله وقتله سنة ٧١٠هـــ.

محمد شاكر الكتبي، فوات الوفيات، جـــ١، صـــ٣١٩. و ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، جـــ١، صـــ٣١٤.

(٦) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـــ٢، صـــ٣٧٨.

٣ـــ دفع مبالغ من المال لبعض القبائل اتقاء شرها في عدم قطع الطريق، ومن ذلك دفع مبلغ من المال لقبيلة زُبيد[١]، يصلهم على يد أمير الحاج المصري كل عام[٢].

٤ـــ حث أمراء مكة على متابعة القبائل التي تهاجم قوافل الحجاج ومعاقبتها فقد كانت حكومة مكة المكرمة تجرد الحملات على هذه القبائل باستمرار.

ومن ذلك خروج السيد محمد بن بركات لمهاجمة قبيلة حرب سنة ٨٦٦هـــ عندما هاجمت قوافل الحجاج ورده لبعض ما أُخذ من الحجاج إليهم[٣].

وكذلك خروجه لقتال قبائل هذيل[٤] عندما هاجمت حاج بجيلة حيث استصرخ عليهم القبائل حتى أجبرهم على طلب الصلح خوفاً من جنود الدولة[٥].

هذا بالنسبة لتأمين طريق الحاج للوصول إلى المشاعر المقدسة، أما بالنسبة لحفظ الأمن في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة فقد قامت الدولة المملوكية بما يلي:

١ـــ كان حكام المماليك يطلبون من الشريف الذي تعينه الدولة حاكماً لمكة أداء قسم يتضمن الاهتمام بالحجاج وتسهيل حجهم بجميع ما يحتاجونه[٦]. ومن ذلك تحليف

---

(١)زبيد: بطن من بني مسروح الذين يملكون تغر رابغ وقسماً كبيراً من الأرض التي منها درب الحجاج فيه العشائر التالية، الصحف، العصوم، المغاربة، الصيادة، الوفيات، الجعاثمة، الهنود، الجراجرة، العزارة، والولدية، الجُهده، العسلان.

محمد رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـــ٢، صـــ٤٦٥. وعبد الرحمن المغيري، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب، صـــ١٨٦.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٤، صـــ٦١٦.

(٣)المصدر السابق، جـــ٤، صـــ٤٣٢.

(٤)هذيل إحدى القبائل العدنانية وتنسب إلى هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وديارهم حوالي مكة ولهم بها عدد وعدة ومنعة.

ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، جـــ١١، صـــ١٩٧، ١٩٨. وإبراهيم الشريفي، الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية، جـــ٨، صـــ٣٢٧٠.

(٥)ابن فهد، غاية المرام، جـــ٢، صـــ٥٤٢.

(٦)د.محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي، صـــ٢٤٤.

السلطان سيف الدين قلاوون للشريف أبي نمي أمير مكة بأن يسهل للحجاج والمعتمرين أداء الشعائر وأن يهتم بأمنهم(١).

وفي تعيين الشريف رميثة بن أبي نمي سنة ٧٣١هـ تضمن قوله: ((وألق وفد الله في البر والبحر بالحسنى فهم أضيافه، وأمن الحج ليتم نسكه وطوافه))(٢).

٢ـ إرسال الدولة لقوة عسكرية ترابط في مكة المكرمة قدرها ٥٠ جندياً تحت قيادة أحد الأمراء لحفظ الأمن في مكة، وكان هذا الإجراء لكثرة ما كان يقع من الفتن بين أفراد البيت الهاشمي في مكة من التنازع مما يؤدي إلى انتشار الفوضى وانعدام الأمن، وكانت هذه القوة تتغير باستمرار(٣).

٣ـ إقامة الحدود بمكة المكرمة تنفيذاً للشرع الشريف فيمن يتعرض للحجاج بالسرقة والنهب، ومن ذلك قطع أيدي اللصوص الذين قُبض عليهم يسرقون حجاج بيت الله الحرام وذلك عام ٧٢٩هـ(٤)، وكانت إقامة الحدود تكون من أمير الحاج القادم من مصر، ومن حاكم مكة(٥).

٤ـ إصدار تشريعات بمكة حفظاً للأمن مثل منع حمل السلاح في مكة المكرمة في موسم الحج، وكان الأمراء من مصر يتشددون في هذا الأمر حتى كان يحدث بسببه بعض الاشتباكات مع بعض الفرق العسكرية المحلية(٦).

٥ـ إلغاء المكوس(٧) التي كان حكام مكة يفرضونها على الحجاج والتجار ومحاولة القضاء عليها باستمرار حتى يسهلون للحجاج أداء نسكهم وكانت تكتب المراسيم بمنعها في

---

(١)المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٢، صـ١٥٧.

(٢)د.محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي، صـ٢٦٤.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٥٠، ٢٣٣. والسخاوي، التبر المسبوك، صـ٤٣.

(٤)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٧٠.

(٥)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٢٣٥، جـ٢، صـ٦٣٤.

(٦)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٥١٦.

(٧)المكوس هي مبالغ من المال يأخذها حكام مكة من الحجاج فقد وضع حكام مكة على كل جمل ثلاثين درهماً إذا كان من حجاج اليمن وخمسين درهماً على كل جمل من حجاج مصر وغيرهم.
الطبري، الأرج المسكي، صـ١٢٠.

أساطين المسجد الحرام[1]. وعندما يعاد فرضها تحاول الدولة إقناع حكام مكة بتخصيص مبلغ من المال من خزينة الدولة في مصر لحاكم مكة[2] واقطاعات زراعية بمصر والشام[3].

ثانياً: توفير مياه الشرب للحجاج في طريق الحج من مصر إلى الحجاز وفي مكة المكرمة والمشاعر المقدسة. ومن ذلك أن الدولة كانت بين الحين والآخر تصلح مناهل المياه بطريق الحجاج ومن ذلك في عام ٧١٩هـ أمرت الدولة بتوفير ماء للحجاج من عين خليص[4] وذلك بصرف أموال لصاحب خليص لكي يؤمن توفير الماء من العين للحجاج في بركة خاصة بالحجاج[5].

وفي عهد السلطان الظاهر برقوق عام ٧٩٢هـ عمر بطريق الحجاز بركتين للماء وذلك لحاجة المسافرين من الحجاج للماء[6].

وفي عام ٨٢٨هـ أمرت الدولة بتصليح مناهل الماء بالعمارة،[7] والأرجح أن هذه المناهل عبارة عن آبار وبرك يردها الحجاج في طريقهم إلى مكة.

أما في مكة المكرمة فقد اهتمت الدولة بتوفير المياه للحجاج من العيون القربية من مكة وعمرت البرك التي تملأها من هذه العيون، وكانت العمارة مستمرة في مجاري العيون كلما احتاجت إلى عمارة.

---

(١)النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، صـ٢٤١. والسنجاري، منائح الكرم، جـ٣، صـ٦٨.

(٢)العصامي، سمط النجوم العوالي، جـ٤، صـ٣٨.

(٣)المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، صـ٥٤.والجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، جـ٣، صـ١٧٠٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٩، صـ٥٩.

(٤)خليص: قرية في وادي فاطمة وهي محطة على طريق الحجاج بعد عسفان بها بئر ، وماؤها غزير ويسكنها زبيد وبالقرب منها واحة بها مياه جارية وبها بساتين ونخل.
محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم، جـ٢، صـ٣١٠، جـ٣، صـ٥٤٦.

(٥)المصدر السابق، جـ٣، صـ١٦٥. والجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، جـ٣، صـ١٧٠٢.

(٦)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٢، صـ١١٤.

(٧)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٦٢٥.

وكانت الحكومة في مصر تسمح لمن يريد أن يقدم عملاً لوجه الله تعالى بتوفير الماء للحجاج وسكان مكة أن يقوم بهذا العمل ومن ذلك قيام الأمير جوبان[1] نائب السلطنة العراقية سنة ٧٢٦هـ بإجراء عين بازان[2]، وأنفق على إجرائها مبالغ كبيرة[3].

ومن العيون التي أجريت لمكة عين تسمى بعين جبل ثقبة أجراها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٨هـ[4].

وكذلك في عام ٨٧٥هـ أمرت الحكومة في مصر بعمارة عين عرفة[5] فقام بالعمارة الأمير سنقر الجمالي فعم النفع بها الحجاج[6]، وكانت قد عمرت هذه العين عام ٨٥٣هـ ونظفت البرك التي تملأها بالماء للحجاج في صعيد عرفة[7].

ومن اهتمام سلاطين المماليك بأمر الماء وتوفيره للحجاج بمكة ما خصصه السلطان الأشرف شعبان من مبالغ مالية من الأوقاف التي جعلها في سبيل الله حيث خصص في كل سنة ألفي درهم لتنظيف عين جوبان ((بازان)) وترميمها، وخصص لمشائخ القبائل التي

---

(١)هو جوبان بن تدوان نائب سلطان العراق أبي سعيد بن خربندا ومدبر مملكة السلطان قام بأعمال كثيرة في مكة والمدينة النبوية، قتل سنة ٧٢٨هـ بأمر سيده أبي سعيد ونقلت جثته إلى المدينة المنورة ودفن بالبقيع وقد اشتهر بالصلاح وإقامة الدين والبر الكثير.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ٥٤١.

(٢)عين بازان هي عين حنين ومنبعها من جبل شامخ يقال له طاء من طريق الطائف وكان يجري الماء إلى أرض يقال لها حنين يسقى بها نخل ومزارع وكان يسمى حائط حنين، فاشترت السيدة زبيدة هذا الحائط وأجرت الماء إلى مكة المكرمة. وقد عمرها عدد من السلاطين منهم الأمير جوبان سنة ٧٢٦هـ.

القاضي، حنيف الدين، عمارة العينين، عين نعمان، وعين حنين، صـ٢٦، ٣٠.

(٣)محمد المكي، تاريخ مكة المشرفة، صـ١٠٢. والمقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، صـ٩٠.

(٤)محمد المكي ، تاريخ مكة المشرفة ، صـ١٠٢.

(٥)عين عرفة أمرت بجلبها إلى مكة السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وذلك عام ١٩٤هـ، وانفقت في هذا العمل أموالاً كثيرة لإزالة العقبات من طريق الماء حتى وصلت إلى المشاعر المقدسة ومنبعها ذيل جبل كرا على طريق الطائف.

القاضي حنيف الدين بن محمد، عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، صـ٢٨.

(٦)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٤، صـ٥٢٤.

(٧)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٦٥٨.

تجري العيون الهامة بأراضيهم مبالغ مالية على ألا يمنعوا أحداً من الحجاج من الشرب من العين ويقومون بحراسة الحجاج إذا مروا بأراضيهم[1].

هذا بالإضافة إلى ما كانت تقوم به الدولة من عناية بأمر ماء زمزم وسقي الحجاج منها وقد حدث أن أمرت الدولة عام ٩١٥هـ بالكشف عن بئر زمزم حيث نقص ماؤها فأرسلت معلمين من مصر فقاموا بتنظيف البئر وعاد الماء غزيراً كما كان في السابق[2].

ثالثاً: توفير الغذاء للحجاج بمكة المكرمة:

اهتمت الدولة بتأمين ما يحتاجه الحجاج في المشاعر المقدسة من غذاء وكان أول إجراء يؤدي إلى ذلك إلغاء المكوس التي كانت حكومة مكة المكرمة تأخذها من التجار في عهد السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٦٧هـ[3]، وهذا الإجراء يؤدي إلى قدوم التجار إلى مكة المكرمة وتوفر ما يحتاجه الحجاج .

وفي عام ٧٦٦هـ ألغت الدولة المكوس التي كانت على البضائع حفاظاً على حياة الناس وذلك عندما غلت الأسعار وقلت المؤن، وأرسلت بالمؤن الضرورية إلى مكة المكرمة[4].

ومن ذلك منح الدولة بمصر للشريف حسن بن بركات ألف دينار مقابل ترك المكوس على الخضروات، وأمرت بأن يسجل هذا الأمر على أساطين المسجد الحرام، حتى يراه الناس وكان ذلك عام ٨٢٤هـ[5].

ومع إلغاء المكوس لتسهيل وصول المواد الغذائية، قامت الدولة بالسماح للمتصدقين بالصدقة بمكة المكرمة من جميع طوائف العالم الإسلامي من ملوك وأمراء وتجار لأعمال البر في مكة المكرمة.

---

(١)راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، صـ٢٤٥.

(٢)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٤٢٦.

(٣)الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، جـ٣، صـ١٦٩٥. وابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٩٦.

(٤)المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٤، صـ٢٧٨.

(٥)السنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٤٢٩.

ففي عام ٦٥٩هـ زود المظفر يوسف بن رسول حجاج مصر بالأنعام والأزواد[١]

وفي عام ٧٠٠هـ حج الأمير بكتمر[٢] الجوكندار وتصدق بصدقات كبيرة من جملتها تجهيز سبعة مراكب في البحر الأحمر وشحنها بالغلال والدقيق وأنواع الإدام من العسل والسكر والزيت والحلوى[٣].

وعندما حج الأمير سلار عام ٧٠٢هـ بعث بعشر آلاف إردب قمحاً لتفريقها في مكة المكرمة على الحجاج والمقيمين[٤].

وفي عام ٧٨٧هـ أرسل الأمير جركس[٥] الخليلي قمحاً كثيراً إلى مكة والمدينة ليعمل منه في كل يوم خمسمائه رغيف تفرق على الفقراء والمجاورين[٦].

ومع هذا السيل المتدفق على مكة المكرمة من الصدقات من جميع أنحاء العالم الإسلامي كان بعض الموسرين من الملوك والتجار والأمراء يتصدقون بالأموال التي تؤدي

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٨٤. الخزرجي، العقود اللؤلؤية، جـ١، صـ١٢٤.

(٢)هو بكتمر أمير جندار المنصوري، ولي إمرة الحاج سنة ٧٠٠هـ فقام بأعمال بر كثيرة شكره الناس عليها، كان من أهل الحل والعقد في الحكومة المصرية ولي نيابة صفد ثم نقل إلى نيابة دمشق فمات قبل أن يصل إليها وقيل قتله الناصر لاشتراكه في تدبير مؤامرة ضده سنة ٧١٦هـ، كان صاحب بر وصدقات، لا يحب سفك الدماء.

ابن حجر، الدرر الكـامنة، جـ١، صـ ٤٨٢. وابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، جـ١، صـ١٩٤.

(٣)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٣٢. والمقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٢، صـ٣٤٢.

(٤)المصدر السابق، جـ٣، صـ١٣٨. والمصدر السابق، جـ٢، صـ٣٧٣.

(٥)هو جركس بن عبد الله الخليلي من أمراء الملك الظاهر برقوق بل أكبرهم صاحب الخان بالقاهرة توفي في معركة بين قادة المماليك بشقحب سنة ٧٩١هـ.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١١، صـ٣٨٣. وابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي،جـ١، صـ٢٣٣.

(٦)ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ١، صـ٣٦٦.

إلى ازدهار التجارة في ما يحتاجه الناس جميعاً والحجاج خصوصاً من مواد غذائية تكفيهم أثناء حجهم ويتزودون منها لسفرهم وعودتهم إلى ديارهم.

ومن أعمال الدولة في توفير الغذاء لحجاج بيت الله الحرام وسكان مكة منعهم للتجار الذين يحتكرون البضائع ويغلون الأسعار وتخرجهم من مكة، ومن ذلك ما قامت به الدولة عام ٨٢٣هـ من منع الباعة المصرين الذين استقروا بمكة وجلسوا بالمتاجر في المسعى وحكّروا التجارة، فأمرت بإخراجهم من مكة ومنعهم من التجارة[١].

(١)المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٧، صـ٤٥٣. وعبد الله غازي، إفادة الأنام، صـ٦٩.

المبحث الثاني: الاحتفال بدخول شهر رمضان المبارك وعيد الفطر والدعاء للحاكم من على قبة زمزم.

كان أهل مكة يحتفلون بدخول شهر رمضان وكان مظهر احتفال أهل مكة يتمثل غالباً في إيقاد الشموع في المسجد الحرام والاجتماع فيه وسماع الخطب وكانت الاحتفالات تتم بعد رؤية هلال شهر رمضان من على جبل أبي قبيس من قبل القضاة الأربعة(١).

يبدأ الاحتفال بقرع الطبول عند أمير مكة ثم يعقب قرع الطبول تجديد حصر المسجد الحرام وتكثير الشموع التي تسرج في ليالي رمضان لأجل الصلاة ثم يبدأ موسم العبادة في رمضان بكثرة الصلاة(٢) وقراءة القرآن وختمه في المسجد الحرام والدعاء بدعاء ختم القرآن(٣)،ويقوم أمير مكة احتفالاً بدخول شهر رمضان مثل الأشهر الأخرى حيث يأتي إلى المسجد الحرام يحف به كبار رجال الدولة مرتدين الملابس البيضاء فيصلي عند مقام إبراهيم عليه السلام ركعتين ويطوف حول الكعبة وفي أثناء طوافه ينادي رئيس المؤذنين من على قبة زمزم بالدعاء للأمير وتهنئته بدخول الشهر(٤).

ويعتبر قرع الطبول عادةً مستمرةً عند حلول المواسم الدينية ومن ذلك عند دخول شهر ذي الحجة تضرب الطبول في أوقات الصلاة وذلك لكي يشعروا الناس احتفالاً وابتهاجاً بدخول الموسم المبارك وتستمر هذه الاحتفالات بضرب الطبول حتى يوم الصعود إلى عرفات(٥).

---

(١)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٩٠١.

(٢)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٨١.

(٣)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٩٠٢.

(٤)المصدر السابق، جـ٢، صـ٩٠٣.

(٥)ابن بطوطة، صـ١٨٣.

أما الاحتفال بعيد الفطر المبارك يبدأ بإيقاد الشموع ليلة العيد في المسجد الحرام [١] والمصابيح وتوقد السُرج في مآذن المسجد الحرام، ويوقد أيضاً سطح المسجد الحرام بأكمله ويبدأ المؤذنون في التهليل والتسبيح طوال ليلة العيد حتى يصلوا صلاة الفجر ثم يبدءون في لبس الملابس الحسنة ويبادروا إلى المسجد الحرام للاستعداد لصلاة العيد، وكان بعض العلماء يقرأ عليهم الطلبة بعض كتب الدين بين صلاة الفجر وصلاة العيد ومن ذلك ما ذكره عبد العزيز بن فهد أن ابنه محمد جـــار الله قرأ عليه يوم العيد بين الصلاة والخطبة سنة ٩١١هـــ، والمقصود بالصلاة على الأرجح صلاة الفجر لعدم وجود وقت كافٍ للقراءة بين صلاة العيد وخطبته[٢] ويحضر الصلاة علّية القوم وعلى رأسهم حاكم مكة وبعد الصلاة وسماع الخطبة يقبل الناس بالتهنئة لبعضهم البعض، ثم يقصدون الكعبة المعظمة فيدخلونها، ثم يقصدون مقبرة مكة ((المعلاة)) فيزورونها ثم ينصرفون إلى شؤونهم[٣].

الدعاء للحاكم من على قبة زمزم:

وفي العصر المملوكي كان يُدعى للحاكم جهراً بحيث يسمعه كل من في المسجد الحرام ويقوم بالدعاء رئيس المؤذنين من على قبة زمزم، وكان هذا الدعاء يمثل إعلان للناس بتولي حاكم جديد أو إعلان استمرار الحاكم نفسه[٤].

وكان الدعاء يتم أثناء طواف الحاكم بالبيت، وبعد صلاة المغرب من كل يوم[٥] وفي أول يوم من كل شهر، حيث يدخل في الإنشاد التهنئة بدخول الشهر وذكر القصائد

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٣، صـــ٥٢٧.

(٢)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـــ٢، صـــ٩٠٠.

(٣)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـــ١٨٢، ١٨٣.

(٤)السنجاري، منائح الكرم، جـــ٣، صـــ٤٩. والمقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـــ٦، صـــ٤٢١.

(٥)الفاسي، العقد الثمين، جـــ٣، صـــ٥٦.

التي مُدح بها الحاكم وأجداده من آل البيت[1] وكان أمير مكة الشريف يأمر رئيس المؤذنين بالدعاء لمن يريد الدعاء له من أُسرته ومن ذلك أمر الشريف عجلان بن رميثة رئيس المؤذنين بالدعاء لابنه أحمد أثناء طواف ابنه وذلك عام ٧٦٢هـ[2] وكان هذا الأمر لتهيئة ابنه لتولي منصب رفيع في حكم مكة المكرمة.

وكان الدعاء يشمل أيضاً السلطان التركي الذي تقلد حكم الدولة عند توليته حيث يصل مرسوم إلى مكة بأخبار الناس بالحاكم الجديد فيقوم المؤذن بالدعاء للسلطان من على قبة زمزم[3] ومثل ذلك عندما تولى السلطان قايتباي حيث دُعي له على زمزم ولا يعتبر هذا العمل منافياً للدين وذلك لعدم معارضته من قبل العلماء أو الإشارة إليه وإنما كان بمثابة ناحية إعلامية بالسلطة السياسية في مصر و الحجاز.

---

(١)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، صـ١٧٨.

(٢)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٢٩١.

(٣)المصدر السابق، جـ٤، صـ٤٨٢.

المبحث الثالث: ظاهرة التصوف:

كانت ظاهرة التصوف منتشرة في مكة المكرمة في العصر المملوكي، والتصوف حركة دينية بدأت بالإعراض عن الدنيا والإقبال على العبادة ثم تطورت حتى صارت طريقة منحرفة يتوخى أصحابها تربية النفس للوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة وتأثرت بفلسفات هندية وفارسية ويونانية [1].

وقد كانت مكة في العصر المملوكي تعج بالمتصوفة الذين اتخذوا من الأربطة المحيطة بالمسجد الحرام سكناً لهم وكان لانتشار التصوف بمكة المكرمة في العصر المملوكي عدة أسباب نذكر منها:

١ــ بناء مدارس تدرس التصوف تضم خلاوي للمتصوفة من قبل بعض السلاطين مثل المدرسة الزمامية، والمدرسة الباسطية، والمدرسة الكنباتية، ومدرسة السلطان قايتباي[2]، فهذه المدارس تدرس التصوف إلى جانب تدريس العلوم الأخرى، وهذا يدل على أن علّية القوم كانوا يعطون التصوف قدراً كبيراً واعتقاداً زائداً.

٢ــ بناء الأربطة التي كان جل سكانها من المتصوفة، حيث كان موقفوها يخصصونها لسكن المتصوفة من الرجال والنساء، وقد كانت تحيط بالمسجد الحرام[3].

٣ــ قدوم مشايخ المتصوفة إلى مكة المكرمة من جميع أقطار العالم الإسلامي لأداء النسك والمكوث بها بعد أداء الشعائر مدداً طويلة[4].

٤ــ إقبال عدد كبير من السلاطين والأمراء والأثرياء على بذل الصدقات بمكة المكرمة على من بها من المحتاجين والذين أغلبهم من المتصوفة المقيمين بجوار المسجد الحرام طوال العام مما ساعد في تواجد عدد كبير من المتصوفة يعيشون على الصدقات الواصلة إليهم.

---

(١)السبكي، معبد النعم ومبيد النقم، صــ١٢٤. ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، صــ ٣٤١

(٢)انظر البحث، صــ٦١.

(٣)الفاسي، شفاء الغرام، جــ١، صــ٦٠٨.

(٤)السخاوي، الضوء اللامع، جــ٢، صــ٢١٦.

٥ــ ما ذكر عن بعض مشايخ الصوفية من أمور ذكرها الشيخ مسبقاً مطابقة لشيء من الواقع مما جعل عدد من الناس يعتقدون في المشايخ ويسلكون طريقهم. ومن ذلك مثلاً ما ذكر عن الشيخ عبد الله بن سعد(١) بن عبد الكافي المصري المعروف بالحرفوش، فقد كان الناس يعتقدون فيه لأنه قيل يخبر بأشياء تقع كما يقول(٢)، والشيخ عبد الكريم(٣) بن عبد الله الأنصاري الحضرمي الذي قدم مكة سنة ٨٥٢هــ كان يخبر بالمسروقات والمفقودات وأماكن وجودها(٤).

ومع تواجد عدد من شيوخ التصوف بمكة المكرمة في العصر المملوكي إلا أنه لم يكن هناك طريقة واضحة للتصوف والسبب الراجح في ذلك وجود المسجد الحرام حيث كان الجميع من المسلمين من المتصوفة وغيرهم يؤدون العبادة فيه، ولهذا لم تبرز طريقة عبادة مخالفة وقد كان الغالب على المتصوفة بمكة الاعتدال حيث يذكر عنهم المزيد من العبادة والزهد في أمور الدنيا ومن ذلك من كان يصوم الدهر ويقوم الليل مثل الشيخ محمد القدسي(٥) الذي كان يقوم الليل(٦)، وهذا الأمر مخالف للسنة النبوية بما ورد في

---

(١)هو عبد الله بن سعد بن عبد الكافي المصري المكي المعروف بحرفوش، وبعبيد جاور بمكة أكثر من ثلاثين سنة وكان للناس فيه اعتقاداً زائداً اشتهر عنه أنه أخبر بواقعة الأسكندرية قبل وقوعها سنة ٨٠١هــ.

ابن حجر، إنباء الغمر، جــ٤، صــ٦٣. والسخاوي، الضوء اللامع، جــ٥، صــ٢٠. والحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون، صــ٨٦.

(٢)ابن العماد، شذرات الذهب، جــ٧، صــ٧.

(٣)هو عبد الكريم بن عبد الله بن محمد الأنصاري الحضرمي ولد تقريباً سنة ٧٩٤هــ بحضر موت، تعلم وتصوف وساح في القفار نحوًا من ٢٠ سنة حج لمكة سنة ٨٥٢هــ وانقطع بمكة حتى مات بنى بمكة زاوية للتصوف مات سنة ٨٦٩هــ بمكة.

السخاوي، الضوء اللامع، جــ٤، صــ٣٠٤. وابن فهد، الدر الكمين، جــ٢، صــ٨٧٦.

(٤)الطبري، تاريخ مكة، إتحاف فضلاء الزمن، جــ١، صــ٢٥٨.

(٥)هو محمد المعروف بالقدسي والشيخ الحزام كان يسكن مصر ويتردد على مكة له معرفة بطريق الصوفية، كان يصوم الدهر ويقوم الليل، كان يسكن برباط الخوزي وبه توفي سنة ٨١١هــ ودفن بالمعلاة.

السخاوي، الضوء اللامع، جــ١٠، صــ١٢٤.

(٦)الفاسي، العقد الثمين، جــ٢، صــ٤٤٣.

الحديث الذي نهى فيه النبي ﷺ عن صيام الدهر في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث قال،((أُخبر رسول الله ﷺ أني أقول والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت فقُلت له قد قُلته بأبي أنت وأُمي قال: فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر وقم ونم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر قُلت إني أطيق أفضل من ذلك قال فصم يوماً وأفطر يومين قُلت إني أطيق أفضل من ذلك قال فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أفضل الصيام فقلت إني أطيق أفضل من ذلك فقال النبي ﷺ لا أفضل من ذلك[١].)) ويتبين من هذا الحديث النهي عن صيام الدهر.

والشيخ أحمد[٢] بن محمد بن محمد التلمساني، فقد كان يصوم الدهر، ويقوم الليل وحرم على نفسه أكل الرطب والفواكه واللحم والسمن حتى نحل جسمه ورق عظمه[٣].

وكان بعض الصوفية يحي الليالي بالذكر الجماعي حيث يجتمع لديه عدد من الناس وينشدون الأناشيد الدينية بأصوات رنانة، ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد الأنصاري الحضرمي، فقد كان يقيم هذه التجمعات في زاوية بسوق الليل بمكة[٤].

أما بالنسبة للأعمال التي تنافي تعاليم الدين الإسلامي وخروجاً على النصوص القرآنية وتدخل المتصوف في مجال خطير من الاعتقاد بل إلى الإشراك بالله سبحانه وتعالى، فقد ورد عن عدد من مشايخ الصوفية أمور شركية نذكر منهم: الشيخ عمر العرابي اليمني[٥] فقد ورد أن هذا الشيخ كان يدعي كرامات كثيرة أدت إلى اعتقاد الناس فيه،

---

(١)البخاري، صحيح البخاري، باب الصوم، حديث رقم ١٨٤٠.

(٢)هو أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني المالكي، حج وجاور بمكة ومات بها سنة ٧٤٠هـ، ذكرت له كرامات وأحوال.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ٢٩٩.

(٣)المصدر السابق، جـ٣، صـ١١١.

(٤)الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، جـ١، صـ٢٥٨.

(٥)هو عمر بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الشاوري اليمني يعرف بالعرابي قدم مكة سنة ٨١١هـ تزايد اعتقاد الناس به حتى صاحب مكة الشريف حسن بن عجلان وكان مقصوداً بالزيارة توفي سنة ٨٢٧هـ.

وقد قيل أن روح النبي ﷺ كانت تظهر له شفاهاً وتخاطبه وتأمره وتنهاه وأن من يقصده من المرضى وذوي العاهات ويمس يده المباركة يشفي وهذا لم يحصل للنبي ﷺ ولا للصحابة رضوان الله عليهم فقد كان النبي ﷺ يدعو للمرضى بالشفاء ويأمرهم بالعلاج.

وقد بلغ اعتقاد الناس بهذا الشيخ أنه أصبح يزار قبره بعد مماته سنة ٨٢٨هـ[١].

والشيخ محمد المعروف بحشيش، كان يعتقد فيه الناس حتى وصلوا إلى الشرك بالله بحيث ينذرون له النذور إذا وقعوا في شدة، فإذا قدموا مكة قابلهم وطلب منهم النذور، وهذا يدل على مكره وحبه للمال[٢] . ومن أشهر الصوفية الذين ظهر منهم الشرك واضحاً جلياً المدعو عبد الحق[٣] بن إبراهيم بن المرسي الرقوطي الشهير بابن سبعين فما يدل على شركه تحليله المحرمات من الخمر والزواج بأكثر من أربع وإسقاط التكاليف الشرعية عن المتصوف إذا بلغ مرتبة عالية في التصوف ثم ادعائه النبوة بقوله: ((لقد زرب بن آمنة على نفسه قال: لا نبي بعدي)) وكان يستخدم السحر ومن ذلك سحره لحاكم مكة أبي نمي عندما آراه خيلاً ملأت وادياً بمكة، وسحر الباعة إذا يشتري منهم الورق على أنه عمله[٤].

وكان بعض المتصوفة يجتمع بالنساء ويجالسهن ويطوف معهن بالكعبة بدون محرم، ومن هؤلاء الشيخ محمد الهوري، وكان ينكر عليه علماء مكة فعله هذا ولكنه لم يكن

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ١٣٢.

(١)الطبري، تاريخ مكة، جـ١، صـ٢١٢.

(٢)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٤٤٢.

(٣)هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد المقدسي الرقوطي المعروف بابن سبعين ولد سنة ٦١٤هـ، اشتغل بالعلم والفلسفة فتولد له من ذلك نوع من الإلحاد وصنف فيه، كان يلبس على الأغبياء من الأمراء والأغنياء، أقام بمكة واستحوذ على عقل صاحبها، كان يذهب إلى غار حراء يرتجي الوحي، كـان رأيه أن النبوة مكتسبة توفي سنة ٦٦٩هـ بمكة.

ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، صـ٢٦١. والذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٧، صـ٩٤.

(٤)محمد شاكر الكتبي، فوات الوفيات، جـ٢، صـ٢٥٣.

يلتفت إلى أحد، والشيخ محمد بن أبي البركات بن أبي الخير الهمداني، كان شيخاً للنساء الصوفيات بمصر وعندما يأتي إلى مكة تجتمع عنده النساء بمنزله بدون محرم[1]، وهذا أمر مناف لتعاليم الدين الإسلامي، والشيخ محمد المعروف بحشيش كان ممن يخالطه النساء أيضًا[2].

أما بالنسبة للنساء المتصوفات فقد كان في بمكة عدد من النساء ذكر عنهم التصوف منهن: السيدة خديجة بنت الشيخ شهاب الدين أحمد[3] بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن العقيلي النويري، فقد كانت من النساء العابدات تقيم الليالي الكثيرة للتعبد وقد اشتهرت بأم خليل الصوفية[4].

والسيدة عائشة[5] بنت علي بن عبد الله الرفاعي المعروفة بالظاهرية كانت شيخة لرباط أنشأته وكانت تقيم الاجتماعات به للتسبيح والأوراد في كل سبت مع إطعام الطعام للفقراء المتصوفة[6].

والشيخة عائشة[7] بنت محمد بن أحمد القيسي القسطلاني، المكية كانت من المحدثات وقد

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ١٢٠.

(٢)المصدر السابق، جـ٢، صـ٤٤٢.

(٣)هو أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن النويري العقيلي شهاب الدين، سكن مكة سنة ٧٢٣هـ تزوج بنت القاضي نجم الدين محمد بن محمد بن محب الدين الطبري توفي سنة ٧٣٧هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ١٧٣.

(٤)المصدر السابق، جـ٦، صـ٣٨٢.

(٥)هي عائشة بنت علي بن عبد الله بن عطية الرفاعي المغربي الشهيرة بالظاهرية أنشأت رباطاً بأسفل مكة وأوقفت عليه داراً عند باب الصفا كانت من الصالحات العابدات يجتمع عندها النساء، ماتت سنة ٨٣٧هـ بمكة.

ابن فهد، الدر الكمين، جـ٣، صـ١٤٨٨.

(٦)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٢، صـ٧٧.

(٧)هي عائشة بنت محمد بن أحمد بن علي القسطلاني، كانت عالمة محدثة سمع عليها طلبة العلم، منهم محمد الواني سمع عليها الحديث سنة ٧١٥هـ.

لبست خرقة[1] التصوف من الشيخ نجم الدين[2] بشير بن حامد التبريزي وألبستها[3].

ويظهر على النساء المتصوفات بمكة في العصر المملوكي الاعتدال بحيث اقتصر تصوفهن على العبادة والأذكار، حيث لم يرد عنهن خروجاً عن الطريق السليم في الاعتقاد.

هذا وكان التصوف بمكة يتم بعد الدراسة على يد شيخ من الصوفية والأرجح دراسة كتاب من كتب التصوف ثم بعد إتقانه هذا العلم يلبسه الشيخ خرقة التصوف، ومن ذلك أن الشيخ أحمد[4] بن محمد بن الزين القسطلاني أخذ العلم عن عمتي أبيه أمة الرحيم[5] فاطمة وأم الخير عائشة ابنتي محمد بن أحمد القيسي ولبس منهما خرقة التصوف، ثم أخذ يلبسها لمن يدرس علي يديه[6].

وكان لباس الخرقة يتم من بعض المشايخ المتصوفة بالمسجد الحرام تجاه الكعبة المعظمة، فالشيخ أحمد بن محمد التلمساني لبس الخرقة من القاضي أبي الفضل النويري تجاه

عمر رضا كحاله، أعلام النساء، جـ٣، صـ١٨٥.

(١)الخرقة تطلق على ثوب مرقع خشن من الصوف يلبسه المتصوف كشعار على صوفيته.

محمد العقيلي، التصوف في تهامة، صـ٣٨.

(٢)هو بشير بن حامد بن سليمان بن يوسف الهاشمي التبريزي الصوفي ولد بأردبيل سنة ٥٧٠هـ، طلب العلم فسمعه من عدد من العلماء بالعراق بلغ درجة الإفتاء، أعاد بالمدرسة النظامية ثم ولي نظر الحرم وعمارته، مات بمكة سنة ٦٤٦هـ.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٢٣، صـ٢٥٥.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، صـ٤١٥.

(٤)هو أحمد بن محمد بن محمد القسطلاني شهاب الدين ولد سنة ٧٠٦هـ بمكة طلب العلم فسمع من عدد من العلماء، لبس الخرقة من جدته عائشة بنت قطب الدين القسطلاني، كان خيراً، توفي بمكة سنة ٧٧١هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ٢٩٩.

(٥)هي فاطمة بنت محمد بن أحمد بن علي القسطلاني، تدعى أمة الرحيم بنت القطب سمعت العلم من عدد من العلماء، وأجاز لها عدد منهم، حدثت فسمع منها طلبة العلم، توفيت بمكة سنة ٧٢١.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، صـ٢٢٧.

(٦)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١١٠.

الكعبة[1]، ولعل المقصود في هذا الموضع التبرك بهذا المكان الطاهر. وكان لباس هذه الخرقة ينسبونه إلى عدد من مشايخ الصوفية وأنهم تناقلوا لبسها ويسمونه السند[2].

وذلك أن هذا الصوفي لبس الخرقة من شيخه فلان بحق لباسه من الشيخ فلان إلى أن يذكر عدد من المشايخ عاشوا في عصور سابقة[3] وكان مشايخ الصوفية في مكة المكرمة في العصر المملوكي مثل غيرهم في بقية أقطار الدولة يلبسون زياً مميزاً لهم عبارة عن لباس الدلق[4] ويلبسون أيضاً عمامة يرخون لها ذؤابة لطيفة على الأذن اليسرى[5] تدعى العذبة وقد كان الشيخ محمد[6] بن أحمد بن عبد الله البلقيني الشاذلي يرخي العذبة[7]، هذا وقد اشتهرت في مكة خانقاة[8] للصوفية وهي المدرسة الباسطية حيث كانت تضم خلاوي للتصوف، وكان لها شيخٌ يتولى مشيختها الصوفية وكان ممن تولى مشيختها السيد أحمد بن علي بن عمر الكلاعي الحميري فقد عين شيخاً لها سنة ٨٥٤هـ بعد الشيخ عمر بن محمد الشيبي [9] [10]، ولكن لم يبدو عن المتصوفين بهذه الخانقاه اتباع طريقة من الطرق في العبادة مما يؤكد أن هذه الخانقاه كانت تهتم أكثر بالعلم والتدريس أكثر من اهتمامها بالعبادات المبتدعة.

---

(١)المصدر السابق، جـ٣، صـ١١١.

(٢)محمد العقيلي، التصوف في تهامة، صـ٣٨.

(٣)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ١١١.

(٤)الدلق ثوب متسع بغير تفريج فتحتة على كتفه وهو نوع من الملابس يلبس تحت العباءة الفوقانية.

العمري، مسالك الأبصار، صـ٥٠.

(٥)د. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ٢، صـ٦٤٤.

(٦)هو الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم البلقيني الأصل المكي الشاذلي كان يحفظ القرآن، ويؤم بقرية سولة من وادي نخلة، ويتبرك به فيها بل يحسنون إليه بالزكاة، مات بمكة سنة ٨٦٧هـ.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٣٢٦.

(٧)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٢٢.

(٨)الخانقاه: كلمة فارسية معناها الدار التي يختلي فيها رجال الصوفية لعبادة الله تعالى.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٩، صـ١٤٤.

(٩)الشيخ عمر بن علي الشيبي شيخ الحجبة، ولد سنة ٨١٢هـ بعدن ونشا بمكة، طلب العلم فتعلم على يد عدد من العلماء، ولي مشيخة الباسطية المكية سنة ٨٤٢هـ ثم تركها سنة ٨٥٤هـ وولي حجبة الكعبة مات سنة ٨٨١هـ بمكة. السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ١٢١.

(١٠)المصدر السابق، جـ١، صـ٤٧٩.

المبحث الرابع: الاحتفال بالمولد النبوي:

سار المماليك على ما أحدثته الدولة الفاطمية من بدعة المولد النبوي والاحتفال في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام[1]، وهذا الاحتفال لم يقُم به النبي ﷺ ولا الصحابة رضوان الله عليهم وقد اختلف علماء المسلمين في حكم الاحتفال بالمولد، فمنهم من يحرمه ومنهم من يجيزه بدون إظهار لما يخالف الدين، ومنهم من يعتبره سنة حسنة[2]، والأرجح أنه لا يجوز الاحتفال بالمولد النبوي لحرمة هذا العمل المحدث في الدين لقول النبي ﷺ : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))[3]، أي مردود وفي حديث آخر: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))[4].

ولهذا يعتبر المولد النبوي ليس من دين الإسلام بل من البدع التي يجب تركها[5].

وفي العصر المملوكي كانت السلطة تحتفل بالمولد النبوي ويحضره السلطان بنفسه، وتُعمل الأطعمة والحلوى، وتوزع الأموال على الناس، وكان يحضر أيضاً بعض العلماء والفقهاء ممن يرون جوازه وكبار رجال الدولة في مصر[6].

وفي مكة المكرمة فبحكم أنها تتبع السلطة في مصر فقد كان يقام الاحتفال بالمولد بها ويحضربعض علّية القوم على رأسهم الشريف حاكم مكة،وبعض القضاة و العلماء [7]

---

(١)حسن الشيخة، المولد، صـــ٥٣.

(٢)مجلة الأزهر، مجلد ٤، ١٣٥٢هـــ، صـــ١٠٣.

(٣)البخاري، صحيح البخاري، جـــ٢، صـــ٩٥٩، حديث رقم ٢٥٥٠.

(٤)الترمذي، سنن الترمذي، جـــ٥، صـــ٤٢، حديث رقم ٢٦٧٦.

(٥)عبد العزيز بن باز، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٢، العام ١٤٠٥هـــ، صـــ٣٦٩.

(٦)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـــ١٥، صـــ٢٦٣، جـــ١٢، صـــ٧٣. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـــ٥، صـــ٤٠٩.

(٧)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـــ٢، صـــ٧٢١. والطبري، الإرج المسكي، صـــ٦٨.

طريقة الاحتفال بالمولد:

كانت طريقة الاحتفال بالمولد النبوي في العصر المملوكي بمكة المكرمة تبدأ من المسجد الحرام بعد صلاة المغرب ليلة الثاني عشر من ربيع الأول حيث يجتمع بعض القضاة وعدد من العلماء والفقهاء ممن يرون جوازه وعدد من عامة الناس و حاكم مكة إذا كان متواجداً بمكة فيخرجون في موكب عظيم تحت ضوء الشموع إلى المكان الذي يقال أن النبي ﷺ وُلد فيه[1] وهو مسجد بالقرب من الصفا[2] بمنطقة سوق الليل[3]، كان داراً فعملته مسجداً السيدة الخيزران[4] زوجة الخليفة المهدي[5] [6]، ثم اهتم به حكام المسلمين فيما بعد بالعمارة والتجديد[7]، وبعد الوصول إلى هذا المسجد الذي به موضع المولد تُلقى خطبة المولد التي عادة يلقيها خطيب المسجد الحرام ثم توزع قطع الحلوى على الحاضرين، وفي صبيحة اليوم الثاني عشر يعمل القاضي الشافعي اجتماعاً بمنزله يسمى مولداً يحضره علّية القوم ويؤكل الطعام[8].

---

(١)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ١، صـ٢٥٠، صـ٣٩٨.

(٢)السهيلي، الروض الأنف، جـ٢، صـ١٥٩.

(٣)الفاسي، الزهور المقتطفة، صـ١١٨. ومحمد المكي، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام ، صـ٧٨.

(٤)هي الخيزران بنت عطاء، زوجة الخليفة المهدي وأم الخليفتين الهادي والرشيد كانت حازمة عالمة أخذت الفقه على الإمام الأوزاعي، كانت لها كلمة في خلافة ولدها الهادي حتى أصبح يجتمع الناس ببابها مما أغضب ابنها الهادي ومنع الناس من الذهاب إليها، توفيت سنة ١٧٣هـ، ببغداد.

عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ١، صـ٣٩٥. والزركلي، الأعلام، جـ٢، صـ٣٢٨.

(٥)هو الخليفة أبو عبد الله محمد بن المنصور الهاشمي العباسي ولد بإذج في بلاد فارس سنة ١٢٧هـ، كان جواداً مداحاً معطاءً محبباً للرعية، ولاه والده طبرستان، وقد حرص عليه والده فعلمه وأدبه، من أشهر أعماله تتبعه للزنادقة بالقتل وعمارة المسجد الحرام ، توفي سنة ١٦٩هـ بعد حكم دام عشرة سنوات.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٧، صـ٤٠٠.

(٦)الأزرقي، أخبار مكة، جـ٢، صـ١٩٨. والطبري، القرى لقاصد أم القرى، صـ٦٦٤.

(٧)الطبري، الأرج المسكي ، صـ٦٨.

(٨)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٦٨٢، صـ٧٢١.

هذا وقد كان للمسجد الذي به موضع مولد النبي ﷺ خادماً يقوم برعايته، وممن تولى هذه المهنة خليفة(١) بن محمد بن خليفة الخزاعي الفاخوري(٢). ويدل هذا على كثرة الزائرين لهذا الموضع تبركاً به(٣).

وكان مما شجع على إقامة المولد اهتمام العلماء بهذا الاحتفال وتدريسه لطلبة العلم من كتب ألفوها لذلك وممن ألف في هذا الأمر الإمام السخاوي حيث ألف كتابه الفخر العلوي في المولد النبوي(٤) وكان طلبة العلم يدرسون علي يديه(٥)، وأيضاً كتاب آخر لمؤلف يدعى العراقي عن المولد النبوي كان يدرسه طلبة العلم ويسمعونه على العلماء(٦).

كما اهتم العلماء بالقصائد الشعرية التي قيلت في مدح النبي ﷺ وصارت تنشد في الموالد مثل قصيدة البوصيري(٧) ((البردة)). والتي مطلعها:

أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

فقد كان الطلبة يدرسون هذه القصيدة ويحفظونها عن ظهر قلب ويسمعونها على العلماء(٨) في المسجد الحرام(٩).

---

(١)هو خليفة بن محمد بن خليفة بن سالم الخزاعي الفاخوري المكي، كان خادم المولد النبوي برأس شعب بني هاشم بمكة كان خيراً ديناً أضر بآخره وانقطع بمترله، توفي سنة ٨٣٣هـ بمكة ودفن بالمعلاة.
السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ١٨٧.

(٢)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ٧٢٠.

(٣)خالد البلوي، تاج المفرق، جـ١، صـ٣١١.

(٤)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٨، صـ١٨.

(٥)المصدر السابق، جـ٦، صـ٢٨٢، جـ١٠، صـ٢٤٢.

(٦)المصدر السابق، جـ٨، صـ١٣٣.

(٧)هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجي، كان أحد أبويه من بوصير فركبت له نسبة واشتهر بالبوصيري، كان يعاني صناعة الكتابة والتصوف، شاعر قصيدة البردة الشهيرة.
محمد شاكر الكتبي، فوات الوفيات، جـ٣، صـ٣٦٢. والصفدي، الوافي بالوفيات، جـ٣، صـ٨٨.

(٨)شرف الدين البوصيري، بردة المديح، صـ٢.

(٩)ابن فهد، الدر الكمين، جـ١، صـ٣٣، صـ٣٠٧.

المبحث الخامس: بعض المظاهر الأخرى:

ظهر في العصر المملوكي مظاهر دينية غير مشروعة كان يمارسها الناس مع وجود عدد كبير من العلماء والفقهاء، ولم تكن معظم هذه المظاهر بدأت في العصر المملوكي، وإنما ظهر أكثرها في عصور سابقة، واستمرت خلال العصر المملوكي، وقد كان من العلماء من ينكر هذه المظاهر ويعمل على حث الناس والسلطة على تركها، ولكن كان في الجانب الآخر من يرى أن القيام بهذه المظاهر دليل على العاطفة الدينية فيعمل على إقامتها. والأرجح أن كثيراً من هذه المظاهر والممارسات كانت تُدر على مجموعة من الناس مبالغ مالية من الزوار والمعتقدين مما جعلهم يحرصون على بقائها والدفاع عنها، ولنأخذ هذه المظاهر بشيء من الدراسة ونبدأ بما يلي:

أناشيد المؤذنين:

كان المؤذنون في العصر المملوكي بالمسجد الحرام يقومون بجانب الأذان بالتسبيح والتهليل وإنشاد المدائح بالمنائر في آخر الليل[1].

وهذا أمر مبتدع لم يرد عن النبي ﷺ ولم يفعله صحابته رضوان الله عليهم، وكان ظهور مثل هذه البدع راجع إلى أفكار تطرأ على بعض أصحاب النفوذ فيأمرون بها ومن ذلك ما أمر به الأمير قرقماس[2] سنة ٨٢٨هـ وكان أمير الجند المقيمين بمكة، فقد أمر المؤذنين بالصلاة على النبي ﷺ بعد أذان العشاء كل ليلة، وأمر الظاهر برقوق بذلك بعد

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، صـ٧. والسخاوي، الضوء اللامع، جـ١، صـ٢١٦.

(٢)هو قرقماس الشعباني الظاهري، قدم مكة مع علي بن عنان كالشريك له في أمرها وأقام بها نحو سنة ثم نقل إلى القاهرة حيث عين حاجباً كبيراً، ثم عين نائباً على حلب خرج على السلطان جقمق سنة ٨٤١هـ. فقبض عليه وسجن ثم قتل سنة ٨٤٢هـ بالأسكندرية.

السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٢١٩.

أذان الظهر والعصر[١]، وأمر الأمير تنم للمؤذنين بالتسبيح جماعياً بعد تسبيح رئيس المؤذنين في آخر الليل[٢]، وقد كان يصل الأمر ببعض الأمراء إلى منع رئيس المؤذنين من عمله لمجرد رغبة في تطبيق فكرة رآها في هــذا الأمر، ومن ذلك منع الأمير الباش عام ٩١٩هـ لرئيس المؤذنين من الآذان وعدم رضاه عنه حتى تدخل الشريف بركات محمد لمجرد أن أخويه يقدمان التسبيح ويؤخران السلام، مما يدل على تدخل الأهواء في هذا الأمر المبتدع وغير المستند إلى دليل شرعي[٣] بل للعواطف والأهواء.

وكانت هذه المنكرات تحتاج لموقف شجاع من قبل بعض أصحاب النفوذ مثل ما قام به الأمير تغري برمش التركماني فقد أنكر على المؤذنين في المدائح النبوية بعد أخذ الدعم من قبل السلطة بالإنكار على المنكرات بمكة سنة ٨١٨هـ، وقد ساعده على ذلك عدد من الفقهاء والعلماء في مكة ومصر[٤] مما يدل على عدم رضى كثير من أصحاب العلم بهذه المنكرات، ولكن لم تلبث أن عادت الأمور إلى سابق عهدها لنفوذ أصحاب الأهواء.

الطواف بالميت حول البيت:

من المظاهر غير المشروعة التي كانت سائدة في العصر المملوكي الطواف بالمبيت حول البيت سبعة أشواط، وكان هذا الأمر خاص بعلّية القوم من الأمراء وبعض العلماء ، ولم يكن هذا الفعل محدثاً في العصر المملوكي بل ورد أن ذلك حدث قبل عهد المماليك حيــث طيــف بالشيخ أبي بكر أحــمد بن علي بن أحمد العلني سنة ٥٠٤هـ[٥].

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ٦٢٢.

(٢)المصدر السابق ، جـ٤، صـ١٩٧.

(٣)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٦٢٠.

(٤)ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، صـ١٥٩. وابن حجر، إنباء الغمر، جـ٧، صـ٣٩٤.

(٥)أبو يعلى، طبقات الحنابلة، جـ٢، صـ٢٥٦.

وكان العلماء في ذلك الوقت على علم بعدم صحة هذا العمل ولكنهم اعتادوا أن يُعمل ذلك بعلية القوم فُسكت عنه ويدل على ذلك ما ذُكر في عام ٦٦١هـ. عندما توفي الشيخ سليمان بن خليل بن إبراهيم العسقلاني إمام مقام إبراهيم وخطيب المسجد الحرام فطيف به حول الكعبة قبل أن يُصلى عليه فكان حاضراً الشيخ أبو العباس الميورقي فسأل ابن أخي الشيخ سليمان الفقيه محمد بن عمر عن دليل شرعي في الطواف بالميت فأجابه بأن العادة جرت للأشراف من البيت الحاكم ومن عظم قدره من الناس ولهذا هم يقومون به تقليداً[١].

واستمر الناس على هذا التقليد حيث ذُكر أنه عندما توفي الشريف قايتباي بن محمد بن بركات سنة ٩١٨هـ طيف به حول الكعبة[٢].

وكان يصاحب الطواف بالميت ذكر لمحاسن للميت وأوصافه يقوم به المؤذن من على قبة زمزم[٣].

البناء على القبور:

من الأمور التي كانت سائدة في العصر المملوكي بمكة بناء القباب على القبور وهذا أمر مخالف للشريعة الإسلامية التي تدعو إلى عدم رفع القبر بالبناء حيث ورد عن رسول الله ﷺ قوله فيما يرويه علي بن طالب رضي الله عنه : ((أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته))[٤].رواه أ حمد والنسائي والترمذي.

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، صـ٢٣٧. ك،سنوك، صفحات من تاريخ مكة، جـ١، صـ١٨٢.

(٢)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٨٩٨.

(٣)المصدر السابق، جـ١، صـ٣٣٤، جـ٢، صـ٥٩٣.

(٤)أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، حديث ١٠١٢.

النسائي، سنن النسائي، باب الجنائز، حديث ٣٠٠٤.

الترمذي، سنن الترمذي، باب الجنائز، حديث رقم ٩٧٠.

وكان البناء على القبر عبارة عن قبة كبيرة تبنى على قبور علية القوم من أمراء مكة فقد بنى على قبر الشريف أحمد بن عجلان بن رميثة سنة ٧٨٨هـ قبة[١]، وكذلك جميع الحكام الأشراف مثل الشريف بركات بن حسن بن عجلان سنة ٨٥٩هـ[٢] وكذلك عندما توفي الشريف أبو نمي بن حسن بن قتادة بُنِي على قبره قُبة سنة ٧٠١هـ[٣]. وعندما توفي الشريف محمد بن بركات سنة ٩٠٣هـ عملت له قُبة على قبره بالمعلاة[٤] كانت أكبر قبة بالمقبرة. وعندما توفي ابنه الشريف قايتباي عام ٩١٨هـ دفن بقرب والده تحت هذه القبة[٥].

ولم يقتصر بناء القباب على قبور علّية القوم من أمراء مكة بل بنيت القباب على قبور بعض من يعتقد الناس فيهم الصلاح فكان هذا الفعل سبب في الدخول إلى الشرك ومن ذلك بناء قبة على قبر رجل يدعى علي اليماني[٦] والمشهور بخروعة كان الرجل ساكناً لا يكلم أحد ويلبس أثواباً مقطعة، وكان الناس يعتقدون في صلاحه فعندما مات هذا الرجل سنة ٨٤٤هـ بُنِي على قبره قبة بالمعلاة وجعل عليه قنديل، وصار يزار قبره ويُتبرك به[٧]، وهذا يدل على ضعف عقائد العامة من الناس.

---

(١)الفاسي، العقد الثمين، جـ٣، صـ٦٢.

(٢)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ١٤. أحمد دحلان، أمراء مكة، صـ٦٤.

(٣)السنجاري، منائح الكرم، جـ٢، صـ٣٢٥. وأحمد دحلان، أمراء البلد الحرام، صـ٤٤. ك، سنوك، صفحات من تاريخ مكة، جـ١، صـ١٨٢. وابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٣٨.

(٤)ابن فهد، بلوغ القرى، جـ٢، صـ٥٩٦.

(٥)المصدر السابق، جـ٢، صـ٨٩٨. عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، جـ٣، صـ٢٤٧.

(٦)هو علي اليماني اشتهر بخروعة شيخ صالح معتقد مجذوب تحكى له كرامات كان في أول أمره ذا صورة حسنة ويغني غناءً حسناً ثم ترك الغناء وأقام خارج باب الندوة لا يكلم أحداً ثم انتقل إلى المعلاة فأقام في قرن خالٍ اعتقد فيه الناس مات سنة٨٤٤ هـ، وبنى على قبره وصار يقصد للتبرك والزيارة.
السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٦١.

(٧)ابن فهد، الدر الكمين، جـ٢، صـ١١٠٠.

ومن القبور التي كان يُعتقد في أصحابها وتزار قبر عبد الملك[1] بن عبد الحق بن هاشم الحربي المغربي المتوفى سنة ٨٤٥هـ[2].

كما بنيت القباب على قبور قديمة أشاع الجهلة أنها قبور لأشخاص صالحين، ومن ذلك قبر بوادي مُر يزعم سكان الوادي أنه قبر مريم بنت عمران، ويقصدونه بالزيارة والنذر ويذبحون عنده[3]، وهذا شرك واضح والأرجح أن هذا الإدعاء سبب رغبة بعض الأشقياء في جمع الأموال وأكل الأطعمة من قبل من يزوره من الجهلة وهذا الأمر من الخطورة بحيث لو انتشر بشكل كبير وصدقة عدد كبير من الناس لجعل للصليبيين طريقاً للدخول إلى البلاد المشرفة بإدعاء أهلها.

قراءة القرآن عند القبور وبعد الموت والكتابة عليها:

من الممارسات غير المشروعة التي لم يرد عنها أصل في القرآن والسنة المشرفة قراءة القرآن عند قبر الميت وفي المسجد الحرام بسبب موت أحد الأشخاص فقد كان إذا مات أحد علّية القوم من أمراء مكة وفضلائها يُعين قراء يقرؤون القرآن الكريم كل يوم صباحاً ومساءً لبضعة أيام[4].

فعندما توفي الشريف بركات بن محمد عُين قراء يقرؤون القرآن كل يوم جمعة عند القبر[5]، وعندما توفي إبراهيم[6] بن السلطان المؤيد في مصر سنة ٨٢٣هـ أمر الشريف

---

(١)هو عبد الملك بن عبد الحق بن هاشم المغربي الحربي، يذكر أنه شريف حسني ولي مشيخة رباط السيد حسن بن عجلان،وكان صالحاً مباركاً، توفي سنة ٨٤٥هـ بمكة،ودفن بالمعلاة،وبُني عليه نصب وحطيرة وهو يزار ويتبرك به. المصدر السابق ، جـ٢، صـ٩٤٠.

(٢)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، صـ٨٥.

(٣)ابن ظهيرة، الجامع اللطيف، جـ٣٥٣.

(٤)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٢، صـ٥٩٦.

(٥)ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، صـ٤٥١. وأحمد دحلان، أمراء مكة، صـ٦٤.

(٦)هو إبراهيم بن شيخ الأمير صارم الدين بن المؤيد أبي النصر المحمودي الظاهري ولد بالشام أوائل القرن التاسع، شارك في حروب والده وفتح عدة مناطق في البلاد القرمانية مات مسموماً سنة ٨٢٣هـ وهو في حدود العشرين، وقد كان شاباً حسناً شجاعاً مائلاً إلى الخير والعدل والعفة عن أموال الناس.

بركات بقراءة القرآن لمدة عشرة أيام صباحاً ومساءً من قبل بعض القضاة والفقهاء بالمسجد الحرام وكان يحضر القراءة بنفسه، وهذا يدل على موافقة بعض رجال العلم على هذه البدعة[1]. وعندما توفي القاضي إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة قُرئ له في المسجد الحرام صباحاً ومساءً، وكان يحضر القراءة علّيه القوم[2]، وكانت تشمل القراءة للنساء من علّية القوم بالمقبرة والمسجد الحرام في الصباح والمساء ومثل ذلك ما حدث من قراءة بعد وفـــاة زوجة الشيخ عبد العزيز بن فهد أم كمالية بنت أحمد بن محمد بن فهد عـــام ٩١٨هـــ مدة ثلاثة أيام[3].

وفي عام ٩١٩هـــ توفي القاضي شهاب الدين[4] أحمد بن برهان الدين بن ظهيرة فقُرئ له القرآن الكريم في المسجد الحرام ومقبرة المعلاة مرتين في اليوم صباحاً ومساءً حتى ختم القرآن الكريم بعد أربعة أيام من وفاته[5].

وكان أيضاً يكتب على القبر اسم صاحبه وتاريخ وفاته، وذلك بالنقش على الأحجار التي توضع على القبر[6]، وهذا أمر مبتدع لم يعمله الصحابة رضوان الله عليهم على قبر رسول الله و لم يأمر به النبي ﷺ لأحد من الصحابة الذين توفوا في حياته.

السخاوي، الضوء اللامع، جـــ١، صـــ٥٣.

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـــ٣، صـــ٥٧٣.

(٢)السخاوي، الضوء اللامع، جـــ١، صـــ٩٩.

(٣)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـــ٢، صـــ٥٦٠.

(٤)هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن علي الجمال أبو السعود بن البرهان بن ظهيرة ولد سنة ٨٨٢هـــ بمكة، يعرف بابن ظهيرة نشأ في كنف أبيه فحفظ القرآن والمنهاج ، سمع الحديث من عدد من العلماء وخصوصاً والده. السخاوي، الضوء اللامع، جـــ٢، صـــ٦٨.

(٥)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، جـــ٢، صـــ٥٩٣.

(٦)الفاسي، العقد الثمين، جـــ٢، صـــ١٢٠، ١٨٠.

بدعة العروة الوثقى و بدعة سرة الدنيا:

أشهر البدع وأضرها على المسلمين ما ابتدع في الكعبة المعظمة، وهي ما سمي بالعروة الوثقى، وسرة الدنيا .أما بدعة العروة الوثقى : فقد شاع بين الناس أن بالجدار الغربي للكعبة المعظمة من داخلها جزء عالٍ به حلقة تسمى العروة الوثقى مقابل باب الكعبة فأخذ الناس إذا دخلوا البيت يحاولون لمس هذا الجزء ومسك الحلقة فيركب بعضهم على بعض والنساء على الرجال فيحدث بهذا العمل منكراً كبيراً[١].

أما بدعة سرة الدنيا في عبارة عن مسمار وضع في وسط الكعبة سُمي سرة الدنيا وشاع بين الناس أن من يضع عليه سرته فقد وضع سرته على سرة الدنيا فكانوا إذا دخلوا البيت يكشف المرء عن سرته وينبطح على هذا المسمار[٢] وكان يعتقد أن من لمس الحلقة فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن وضع سرته على سرة الدنيا فقد أُعتق من النار، وهذا أمر مخالف للشرع يُعمل به في بلد يعج بالعلماء والفقهاء وقد استنكر العلماء في مكة هاتين البدعتين استنكاراً كبيراً ولكن يدل انتشار هاتين البدعتين سذاجة عامة الناس في تصديق هذا الاعتقاد، ويتبين من هاتين البدعتين أن المسؤول عنها سدنة البيت الشريف حيث هم من يفتح البيت ويغلقه وهم من يسمح للناس بدخوله، والأرجح أن هاتين البدعتين عُملت بسبب جلب أكبر عدد من الناس لدخول البيت للحصول على أكبر قدر من المال مما يجود به الناس وقد أزيلت هاتان البدعتان عام ٧٠١هـ على يد زين الدين[٣] أحمد بن محمد بن

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، جـ٣ ، صـ١٣٧،١٣٣

(٢)ابن ظهيرة، الجامع اللطيف، صـ١٠٣. الطبري، القرى لقاصد أم القرى، صـ٥٠٢. وابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ٢٩٧.

(٣)هو أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم زين الدين الشهير بابن حناء سمع من سبط السلفي، وحدث عنه، تفقه ودرس، وكان فقيهاً ديناً رئيساً وافر الحرمة، مات في صفر سنة ٧٠٤هـ.

ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، صـ٢٨٣.

علي الشهير بابن حناء ولله الحمد والمنة[1]. وذلك بعد استنكار العلماء وإشعار السلطة في مصر وأمرها بإزالتهما و لم يعرف تاريخ محدد لظهور هاتين البدعتين ولكن الأرجح أنها كانت قبيل العصر المملوكي في بداية القرن السابع[2].

---

(١)ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٣، صـ١٣٢. وابن ظهيرة، الجامع اللطيف، صـ١٠٣.

(٢)ابن فهد ، إتحاف الورى ، جـ٣، صـ١٣٧،١٣٣.

الخـــــاتـــمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

بفضل من المولى عز وجل حاولت جاهداً أن أُلم بالناحية الدينية في مكة المكرمة في العصر المملوكي الذي بدأ منذ عام ٦٤٨هـ إلى سقوط دولة المماليك على يد العثمانيين عام ٩٢٣هـ، ومن خلال الدراسة التي شملت جوانب متعددة للحياة الدينية أستطيع أن استخلص النتائج التالية:

١ـ اهتمام سلاطين المماليك بأمر المسجد الحرام والكعبة المعظمة اهتماماً كبيراً تجلى في ما قاموا به من أعمال عمرانية تدل على حبهم للإسلام واهتمامهم بقبلة المسلمين فكانوا حريصين على تفقد المسجد الحرام والكعبة المعظمة على مدار العام والإسراع بعمل الترميمات والإصلاح مستخدمين في ذلك أفضل المهندسين والبنائين، وأفضل مواد البناء، والاستجابة السريعة لكل ما يلاحظ على أعمال العمارة، وتخصيص كبار رجال الدولة للإشراف على هذه الأعمال المختصة بالمسجد الحرام والكعبة المعظمة.

٢ـ اهتمام سلاطين المماليك بالعلم وأهله من علماء وطلبة علم فحرصوا على إقامة المدارس والسماح للموسرين والمتبرعين من جميع أقطار العالم الإسلامي حكام ومحكومين بإقامة المدارس، ولم يتدخلوا في طبيعة التدريس بها، كما أنهم خصصوا الأوقاف للإنفاق على هذه المدارس، ولم يتعرضوا للمدارس التي كانت مقامة قبل ظهور دولتهم، وقد تعددت صور التعليم في العهد المملوكي، فكانت الأربطة وحِلق العلم بالمسجد الحرام عبارة عن مدارس بجانب المدارس الأساسية، وقد أخذت هذه المدارس الصبغة الدينية حيث كان جل تدريسها منصب على العلوم الشرعية والعربية والتاريخية.

٣ـ ظهور الاهتمام بالكتاب والمكتبات فكان في غالبية الأربطة مكتبات تبرع بكُتبها رجال العلم بالإضافة إلى المكتبات الشخصية لبعض العلماء وقد راجت تجارة الكتاب فكان لها من ينادي في الأسواق مما يدل على كثرة المشترين من طلبة العلم.

٤ــ اهتمام المماليك بأمر توفير الماء في مكة المكرمة لسقيا الناس وذلك بإقامة الأسبلة والتشجيع على إقامتها وتخصيص الأوقاف لبقاء هذه الأسبلة تقوم بدورها مما جعل مكة المكرمة تمتلئ بالأسبلة التي تسابق الموسرون في إقامتها والعناية بها.

٥ــ ازدحام مكة المكرمة بالوافدين عليها من شتى أرجاء المعمورة وذلك لمكانة مكة المكرمة في نفوس الناس فكان الوافدون إليها ينوون الإقامة بها لعدة أسباب من بينها التعبد بجوار البيت الشريف فظهر في العصر المملوكي ما يسمى بالأربطة حيث انتشرت حول المسجد الحرام بشكل واضح وملموس وقد تسابق الموسرون من حكام العالم الإسلامي ومن بينهم سلاطين المماليك على إقامة هذه الأربطة والعناية بها تقرباً لله سبحانه.

٦ــ اهتمام سلاطين المماليك بمساجد المشاعر المقدسة في منى وعرفات، وذلك لخدمة حجاج بيت الله الحرام فقاموا بأعمال التجديد والإصلاح وتوفير ما يحتاجه الحجاج من مرافق ضرورية تساهم في راحة الحجاج، وقد سمحوا للمتبرعين بمشاركتهم في هذه الأعمال الخيرة.

٧ــ حرص سلاطين المماليك على الانفراد بكسوة البيت الشريف وعدم السماح لأي زعيم بمنافستهم في أمر الكسوة وللمحافظة على استمرارها أوقفوا الأوقاف التي تغل الأموال للإنفاق عليها حرصاً على استمرارها في جميع الظروف.

٨ــ عدم تدخل سلاطين المماليك في بعض الأمور الدينية مثل إمامة المسجد الحرام فقد استمر الحال كما كان في العهد الأيوبي حيث يؤم المصلين بالمسجد الحرام أربعة أئمة يمثلون المذاهب الأربعة. لذا لم يفرضوا إمامًا واحداً في المسجد الحرام. بل تركوا الأمر كما كان في السابق.

٩ــ ظهور توارث المنصب في الوظائف الدينية في مكة المكرمة من إمامة وخطابة وقضاء ...الخ، كما برز الصراع بشكل كبير على المناصب الدينية بين العلماء مما جعل الدولة أحياناً تولي المنصب لأكثر من واحد مثل الخطابة مثلاً.

١٠ــ المركزية في تقليد المناصب الدينية في مكة المكرمة فكان كل منصب ديني مثل القضاء والحسبة ونظارة الحرم وسدانة البيت الشريف يتم التعيين فيه من قبل السلطة في

مصر ويصدر فيه مرسوم يُقرأ في المسجد الحرام، وكان العلماء من طلبة الوظائف يتسابقون على عاصمة الدولة للحصول على هذه المناصب.

١١ــ اهتمام السلطة في مصر بأمر المسجد الحرام وتفقد جميع شؤونه ومن ذلك اهتمامهم بأمر بوابي المسجد الحرام وأعمالهم التي يقومون بها ومتابعتهم وتعيينهم وهذا يدل على ما يصل السلطة من أخبار عن كل صغيرة وكبيرة في مكة المكرمة عموماً والمسجد الحرام خصوصاً.

١٢ــ نشوء ظاهرة الطوافة في العصر المملوكي ولم تكن تعرف في العصور السابقة والسبب الأرجح في ظهورها الإنتاج الفكري الديني الأدبي للأعداد الغفيرة من العلماء الموجودين في مكة في مختلف الفنون فنتج منهم تأليف أدعية معينة جامعة تقال في الطواف والسعي واستحسنها الناس فأصبح من يحفظها يدعى بها الناس وقد بدأت في أول الأمر لدى كبار رجال الدولة. وأول المطوفين هم من القضاة الذين كانوا على درجة عالية من العلم الشرعي والإبداع اللغوي.

١٣ــ اهتمام سلاطين المماليك بأمر الحسبة في مكة المكرمة وذلك لكثرة سكانها وكثرة القادمين إليها، فكان لابد لهذا البلد الذي يضم ثقافات مختلفة أن يحتاج إلى من يقوم بأمر الحسبة فيه فحرص سلاطين المماليك على تقليد أمر الحسبة للرجال الأكفاء من القضاة ورجال الدولة.

١٤ــ اهتمام دولة المماليك بأمر القضاة في مكة المكرمة واستحدث في هذا العصر منصب الأربعة القضاة حيث لم يكن يعمل به قبل الدولة المملوكية، فقد كان القضاء يتبع المذهب الشافعي وفي العصر المملوكي أُضيف ثلاثة قضاة مثل ما حدث في القاهرة فأصبح بمكة المكرمة قاضي حنفي وحنبلي ومالكي. وقد احتفظت الدولة في مصر بمركزية تعين القضاة في مناصبهم.

١٥ــ كانت مكة مصدر الفتيا لعدد كبير من المستفتين من شتى أرجاء شبه الجزيرة العربية وذلك لمكانة علماء مكة العلمية والدينية فقد كانت ترد إلى علماء مكة الأسئلة الفقهية فيجيبون عليها مما يدل على قناعة المستفتين بمكانة علماء مكة العلمية والفقهية. وقد أدى

تواجد العديد من العلماء في شتى أرجاء العالم الإسلامي بمكة إلى بروز فكر علمي متنوع المصادر وذلك لتعدد المذاهب الفقهية مما جعل مكة المكرمة تضم بين جنباتها معيناً فكرياً لكل من يسأل عن مسألة في أي مذهب كان.

١٦ـ شهدت مكة المكرمة في العهد المملوكي ثورة علمية كبيرة برزت في العدد الكبير من المدارس التي أحاطت بالمسجد الحرام وقد كان التعليم مستقلاً عن السلطة حيث سمح المماليك لجميع المتبرعين من سلاطين وأُمراء وموسرين بفتح المدارس والصرف عليها بل ساهم سلاطين المماليك وكبار رجال الدولة بإقامة المدارس وتوقيف الأوقاف للصرف عليها لكي تستمر فترة طويلة تؤدي رسالتها، كما سمحت أيضاً بإقامة الدروس في المسجد الحرام مما أدى إلى ظهور نهضة تعليمية كبيرة وكان لتوافد العلماء على مكة في المواسم الدينية ومشاهدتهم لهذه النهضة العلمية ما ساعد في اجتذاب عدد من العلماء للبقاء في مكة لمنافسة زملائهم من العلماء في إقامة الدروس واستقبال طلاب العلم.

١٧ـ بروز بعض الظواهر المخالفة للسنة النبوية المطهرة مثل ظاهرة التصوف التي كانت في العصر المملوكي ظاهرة بشكل كبير يدل على تسامح رجال الدولة واعتقادهم في بعض رجال التصوف وكانت مكة في هذا العصر تعج بالمتصوفين من شتى بقاع العالم الإسلامي مما أدى إلى ظهور بعض الاعتقادات الفاسدة من بعض مشايخ التصوف التي كان لها بعض الأثر على الناحية الدينية لمكة المكرمة.

والظاهرة الأخرى هي ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وقد اتبع الناس في مكة المكرمة قيادتهم في مصر بالاحتفال بهذا المولد مع وجود أعداد غفيرة من العلماء بمكة ولكن يتضح أن بعض العلماء كانوا متعاطفين في هذه الظاهرة ولم يناقشوها من جانب أنها أمر مبتدع.

أما بعض الظواهر المخالفة والتي ابتدعها الناس وكان لها تأثيراً خطيراً على الناحية الدينية مثل بدعة العروة الوثقى، وسرة الدنيا في الكعبة المعظمة، فنجد أن الدولة تقف منهما موقفاً صارماً وتأخذ برأي العلماء في منعهما ويدل هذا على احترام سلاطين المماليك للعلماء والوقوف عند ما يأمرون به من أمور وخصوصاً الأمور الماسة بالدين.

١٨ــ اهتمام سلاطين المماليك بأمر الحج وتسهيل أدائه لجميع المسلمين من جميع أقطار الأرض وذلك بالقيام ببعض الأمور التي تهدف إلى راحة الحجاج وتسهيل أدائهم للركن الخامس من أركان الإسلام وقد تمثل ذلك أولاً في توفير الأمن للحجاج وكذلك توفير ما يحتاجه الحجاج من ضروريات وقد كان أمر الحج شاغل السلاطين الأول فكان السلطان المملوكي يسأل عن وضع الحجاج في كل عام أول ركب يصله من الحجاز بعد موسم الحج ويوصي باستمرار حكام مكة المكرمة بالحجاج خيراً.

١٩ــ التسامح الكبير الذي أبداه سلاطين المماليك تجاه حكام مكة من الأشراف وعدم الدخول معهم في عملية إقصاء كاملة وقد كانوا في فترات كبيرة من حكم المماليك سبب للقلائل في الحجاز ومصدر إزعاج للسلطة وتعطيل لشعائر الحج بسبب التنافس بينهم على حكم مكة وقد كان المماليك يقدرون نسب هذه الأسرة الرفيع ويستمعون بعمق لأقوال العلماء في تجنيب حكام مكة وأهلها ويلات الجيوش الغازية.

هذا وبعد العرض لأهم نتائج البحث أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت في تتبعي لمجالات الحياة الدينية في مكة المكرمة في العصر المملوكي.

راجياً من الله العلي القدير أن يثيب كل من ساهم في إخراج هذا البحث ومد لي يد العون والمساعدة وأولهم سعادة الأستاذ: ضيف الله بن يحي الزهراني أمد الله في عمره ونفع بعلمه طلبة العلم والله من وراء القصد.

الباحث

عبد الحفيظ بن حمدي السالمي

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر المخطوطة.

الهندي: عبد الله بن محمد غازي (ت ١٣٦٥هـ).

١ــ **إفادة الأنام بأخبار البلد الحرام**، مخطوط مكتبة الحرم المكي، مصور على فيلم برقم ٢٧٤٣.

ثالثاً: المصادر المطبوعة:

ابن الاثير: علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ).

١ــ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢ــ **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.

ابن إياس: محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ).

٣ــ **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٧٥م.

ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن بطوطة (ت ٧٠٤هـ).

٤ــ **رحلة ابن بطوطة** (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف: (ت ٨٧٤).

٥ــ **الدليل الشافي على المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ١٣٧٥هـ القاهرة.

٦ــ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٧ــ **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، حققه د.محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب.

ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هــ).

٨ــ **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

٩ــ **إنباء الغمر بأبناء العمــر**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنــان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هــ.

١٠ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، **صححه الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هــ.**

ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت٤٥٦هــ).

١١ــ **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هــ.

ابن حميد النجدي: محمد بن عبد الله (ت١٢٩٥هــ).

١٢ــ **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، حققه بكر بن عبد الله أبو زيد، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هــ.

ابن حنبل: أحمد بن محمد (ت٢٤١هــ).

١٣ــ **مسند الإمام أحمد**، دار الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هــ).

١٤ــ **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠١هــ.

ابن خلكان: أحمد بن محمد : (ت٦٨١هــ).

١٥ــ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،الطبعة الأولى،١٤١٩هــ.

ابن رجب: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٩٥هــ).

١٦ــ **الذيل على طبقات الحنابلة**، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ).

١٧ـ **الطبقات الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠هـ.

ابن ظهيرة: جمال الدين محمد جار الله القرشي (ت٩٨٦هـ).

١٨ـ **الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف**، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، ١٣٤٠هـ.

ابن عباد: إسماعيل (ت٣٨٥هـ).

١٩ـ **المحيط في اللغة**، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله (ت ٧٦٩هـ).

٢٠ـ **شرح ابن عقيل**، دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة عشر.

ابن العماد: عبد الحي بن أحمد الحنبلي: (ت ١٠٨٩هـ).

٢١ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن فضل الله العمري: أحمد بن يحي: (ت٧٤٩هـ).

٢٢ـ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار، الشرقية، القاهرة.

ابن فهد: عمر بن محمد بن فهد (ت٨٨٥هـ).

٢٣ـ **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق فهيم محمد شلتوت وعبد الكريم الباز، دار المدني جدة.

٢٤ـ **الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق أد.عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ.

ابن فهد: عبد العزيز بن عمر بن فهد، (ت٩٢٢هـ).

٢٥ـ **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى.

٢٦ـ **بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، الجزء الثالث، تحقيق عبد الرحمن بن أبو الخيور، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ.

ابن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت٨٥١هـ).

٢٧ـ طبقات الشافعية، تحقيق د.الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ).

٢٨ـ البداية والنهاية في التاريخ، دار الفكر العربي.

ابن المجاور: يوسف بن يعقوب بن محمد (ت٦٩٠هـ).

٢٩ـ صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماه تاريخ المستبصر، صححها وضبطها أو سكر لوفغرين، مطبعة بريل، لندن، ١٩٥١م.

ابن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ).

٣٠ـ لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.

ابن هشام: أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، (ت٢١٣هـ).

٣١ـ السيرة النبوية، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر، (ت٧٤٩هـ).

٣٢ـ تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ.

أبو الحسن: محمد بن أبي يعلى (ت٥٢٦هـ).

٣٣ـ طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت٢٢٣هـ).

٣٤ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي صالح محسن، دار الثقافة، الطبعة السادسة، ١٤١٤هـ.

البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت٢٥٦هـ).

٣٥ـ صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي.

البلوي: خالد بن عيسى، (ت قبل ٧٨٠هـ).

٣٦ـ تاريخ المفرق في تحلية علماء المشرق (رحلة البلوي)، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

البوصيري: محمد بن سعيد بن حماد (ت٦٩٦هـ).

٣٧ـ **بردة المديح**، دار القرآن للطباعة والنشر، القاهرة.

الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٥٧هـ).

٣٨ـ **سنن الترمذي**، مكتبة دار الدعوة، حمص، سوريا، ١٣٨٥هـ.

الجزيري: عبد القادر بن محمد، (ت٩٧٧هـ).

٣٩ـ **درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة**.دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

الحميري: محمد عبد المنعم، (ت٩٠٠هـ).

٤٠ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار**، حققه د.إحاسن عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

الحموي: ياقوت شهاب الدين عبد الله، (ت٦٢٦هـ).

٤١ـ **معجم البلدان**، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

الخزرجي: علي بن الحسن (ت٨١٢هـ).

٤٢ـ **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، دار الآداب، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

الداري: تقي الدين بن عبد القادر التميمي، (ت١٠٠٥هـ).

٤٣ـ **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**، تحقيق د.عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

الدحلان: أحمد بن زيني (ت١٣٠٤هـ).

٤٤ـ **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت.

الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز (ت٧٤٨هـ).

٤٥ـ **سير أعلام النبلاء**، تحقيق. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٦ـــ **معجم الشيوخ**، تحقيق د.محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى، الطائف، ١٤٠٨هـــ.

السبكي: عبد الوهاب، (٧٧١هـــ).

٤٧ـــ **معيد النعم ومبيد النقم**، حققه محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـــ.

السخاوي: محمد بن عبد الرحمن، (ت٩٠٢هـــ).

٤٨ـــ **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، مكتبة الكليات الأزهرية.

٤٩ـــ **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـــ.

٥٠ـــ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـــ.

٥١ـــ **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

السنجاري: علي بن تاج الدين (ت١١٢٥هـــ).

٥٢ـــ **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، دراسة وتحقيق، د.جميل عبد الله المصري وماجدة زكريا، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـــ.

السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين (ت٩١١هـــ).

٥٣ـــ **تاريخ الخلفاء**، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٥٤ـــ **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، حققه فيليب حتي، المكتبة العلمية بيروت، لبنان.

الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـــ).

٥٥ـــ **الملل والنحل**، حققه أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة.

الشوكاني: محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ).

٥٦ـ **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٣٤٨هـ، القاهرة.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (ت٧٦٤هـ).

٥٧ـ **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

الصيرفي: علي بن داود الجوهري، (ت٩٠٠هـ).

٥٨ـ **إبناء الهصر بأبناء العصر**، تحقيق د.حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠م.

الطبري: أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، (ت٦٩٤هـ).

٥٩ـ **القرى لقاصد أم القرى**، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

الطبري: علي بن عبد القادر الطبري (ت١٠٧٠هـ).

٦٠ـ **الأرج المسكي في التاريخ المكي**، تحقيق أشرف أحمد الجمال، المكتبة التجارية مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

الطبري: محمد بن علي الطبري (ت١١٧٣هـ).

٦١ـ **إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن**، تحقيق د.محسن محمد حسن سليم، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى.

العبدري: أبو عبد الله محمد بن محمد (كان حياً ٦٨٨هـ).

٦٢ـ **الرحلة المغربية**، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، ١٩٦٨هـ.

العصامي: عبد الملك بن حسين (١١١١هـ).

٦٣ـ **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، المطبقة السلفية، القاهرة، ١٣٧٩هـ.

العليمي: مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٩٢٨هـ).

٦٤ـ **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد**، حققه عبد القادر الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت٨٣٢هـ).

٦٥ـ **الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة**، تحقيق مصطفى محمد الذهبي، مكتبة نزار الباز، الطبعة الأولى.

٦٦ـ **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق د.مصطفى محمد الذهبي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الثانية.

٦٧ـ **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق د. عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

الفاكهي: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس (ت٢٨٢هـ).

٦٨ـ **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

الفراء: أبو يعلى محمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ).

٦٩ـ **الأحكام السلطانية**، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.

الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت٨١٧هـ).

٧٠ـ **القاموس المحيط**، دار الفكر، بيروت، لبنان.

القاضي عيد: حنيف الدين بن محمد، (ت١١٤٣هـ).

٧١ـ **عمارة العينين عين نعمان**، وعين حنين، تحقيق د.ناصر الحارثي، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٣.

الفيومي: أحمد بن محمد بن علي (ت٧٧٠هـ).

٧٢ـ **المصباح المنير**، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ.

القرافي، بدر الدين، (ت١٠٠٨هـ).

٧٣ـ توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق أحمد الشتيوي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

القلقشندي: شهاب الدين أبو العباس أحمد (ت٨٢١هـ).

٧٤ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

الكتبي: محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ).

٧٥ـ فوات الوفيات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية.

الماوردي: علي بن محمد (ت٤٥٠هـ)

٧٦ـ الأحكام السلطانية، الولايات الدينية، دار الفكر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

مسلم الإمام: أبو الحسن النيسابوري (ت٢٦١هـ).

٧٧ـ صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ.

المغيري: عبد الرحمن بن حمد بن زيد (ت١٣٦٤هـ).

٧٨ـ المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

المقريزي: أحمد بن علي، (ت٨٥٤هـ).

٧٩ـ السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

المكي: محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء (ت٨٨٥هـ).

٨٠ـ تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق علاء إبراهيم الأزهري، أيمن نصر الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

المكي: أحمد بن محمد المكي.

٨١ــ **إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام**، تحقيق د.الحافظ غلام مصطفى، دار الصحوة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٥هـــ.

النسائي: أحمد بن شعيب بن علي (ت٣٠٣هـــ).

٨٢ــ **سنن النسائي**، شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

النهروالي: قطب الدين محمد بن أحمد المكي، (ت ٩٩٠هـــ).

٨٣ــ **الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**، تحقيق هشام عبد العزيز عطا، المكتبة التجارية، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، ١٤١٦هـــ.

اليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت٧٦٨هـــ).

٨٤ــ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعبر من حوادث الزمان**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـــ.

النووي: أبو زكريا محي الدين بن شرف الدين النووي الدمشقي، (ت٦٧٦هـــ).

٨٥ــ **تهذيب الأسماء واللغات**، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـــ،بيروت.

المراجع العربية:

أمين: محمد محمد، وليلى علي إبراهيم.

١ــ **المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية**، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

أنيس: إبراهيم مصطفى وآخرون.

٢ــ **المعجم الوسيط**، دار الفكر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان.

أحمد: د.سعد فهمي.

٣ــ **البدر التمام في من لقب من العلماء بشيخ الإسلام**، مكتبة البلد الأمين.

باسلامة: حسين بعد الله (ت١٣٦٤هـ).

٤ــ **تاريخ عمارة المسجد الحرام**، تحقيق عمر عبد الجبار، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

٥ــ **تاريخ الكعبة المعظمة**،عمارتها وكسوتها وسدانتها،تهامة،الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

الباشا: حسن.

٦ــ **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.

٧ــ **الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٣٨٥هـ.

٨ــ **المدخل إلى الآثار الإسلامية**، دار النهضة العربية.

بك: محمد فريد.

٩ــ **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

البلادي: عاتق بن غيث.

١٠ــ **معالم مكة التاريخية والأثرية**، دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١١ــ **معجم معالم الحجاز**، نادي الطائف الأدبي، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

الحجبي: محمد صالح بن أحمد.

١٢ــ **إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام**، تحقيق إسماعيل أحمد إسماعيل، مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٤٠٥هــ.

حسن: إبراهيم.

١٣ــ **تاريخ الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة.

الخطيب: محمد عجاج.

١٤ــ **السنة قبل التدوين**، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة،١٤٠٠هــ، بيروت.

الدقن: السيد محمد.

١٥ــ **كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ**، مطبعة الجبلاوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هــ، القاهرة.

دهمان: السيد محمد أحمد.

١٦ــ **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دمشق، دار الفكر ١٤١٠هــ.

رزق: عاصم محمد.

١٧ــ **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، الطبعة، مكتبة مدبولي، القاهرة.

الزركلي، خير الدين، (ت١٣٩٦هــ).

١٨ــ **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشرة، ١٤١٨هــ.

الزهراني، ضيف الله، وعادل غباشي.

١٩ــ **تاريخ مكة المكرمة التجاري**، الغرفة التجارية الصناعية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هــ.

السباعي: أحمد.

٢٠ــ **تاريخ مكة المكرمة**، نادي مكة الثقافي، الطبعة السادسة، ١٤٠٤هــ.

الشريفي: إبراهيم جار الله بن دخنة.

٢١ــ **الموسوعه الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية**، الناشر بدون.

الشيبي: طلحة حسن.
٢٢ـ تحقيق المـرام في تاريخ البيت الحـرام، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
الشيخة: حسن.
٢٣ـ المولد، مطابع الأهرام التجارية، ١٣٩٠هـ.
عاشور، سعيد عبد الفتاح.
٢٤ـ التراث المعماري في العصر المملوكي، الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة.
عبد الله عبد الرحمن صالح.
٢٥ـ تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الشروق، جدة، الطبعة الأولى.
العبيدي: صالح حسين.
٢٦ـ الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني،المكتبة الوطنية بغداد ١٩٨٠م.
العبيكان: طرفة عبد العزيز.
٢٧ـ الحياة العلمية والاجتماعية في مكة المكرمة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٦هـ.
العقيلي: محمد بن أحمد.
٢٨ـ التصوف في تهامة، دار البلاد للطباعة والنشر، جدة.
عنقاوي، فؤاد عبد الحميد.
٢٩ـ مكة الحج والطوافة، دار خضر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
القحطاني، راشد سعد راشد.
٢٣٠ـ أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٤هـ.
كحالة: عمر رضا.
٣١ـ معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٢ــ **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ.
٣٣ــ **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ.
الكردي: محمد طاهر.
٣٤ــ **التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم**، تحقيق د.عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
كعكي: عبد العزيز بن عبد الرحمن.
٣٥ــ **معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
ماهر: محمد.
٣٦ــ **الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية.
معروف: ناجي.
٣٧ــ **المدارس الشرابية في بغداد**، وواسط،ومكة، مطبعة دار الشعب بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ.
المعلمي: عبد الله بن عبد الرحمن.
٣٨ــ **أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري**، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
الهاشمي: أحمد.
٣٩ــ **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.
الهيلة: محمد الحبيب.
٤٠ــ **التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر**، مؤسسة الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤١هـ.

المراجع الأجنبية:

مايز: ل /م.

١ـــ **الملابس المملوكية**، ترجمة صالح الشيتي، مراجعة وتقديم د.عبد الرحمن فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سنوك: هور خرونية.

صفحات من تاريخ مكة، ترجمة د.علي عودة الشيوخ، مكتبة الدارة المئوية، ١٤١٩هـــ.

الرسائل العلمية:

الحارثي: عدنان.

ـــ **عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن التاسع الهجري**، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة قسم الدراسات التاريخية والحضارية، ١٤١٦هـــ.

الحميضي : عبد الرحمن .

ـــ **القضاء نظامه في الكتاب والسنة** ، رسالة دكتوراة ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة ، قسم الشريعة والدراسات الإسلامية ، ١٤٠٤هـــ.

الدوريات:

١ـــ **دائرة المعارف الإسلامية**، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢ـــ **المنجد في الأعلام واللغة**، دار المشرف، بيروت، لبنان.

٣ـــ **المؤسوعة العربية الميسرة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤ـــ **موسوعة المعرفة**.

المجلات:

١ــ الأزهر:

مجلة الأزهر ، المجلد الرابع ، المولد النبوي ، ١٣٥٢هـــ ، .

٢ــ البحوث الإسلامية.

مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثاني عشر، ما هكذا الدعوة إلى الله ، ١٤٠٥هـــ.

٣ــ جامعة أم القرى.

مجلة جامعة أم القرى، السنة الثالثة، العدد الخامس ، ناظر الحرم في العصر المملوكي ، ١٤١١هـــ.

٤ــ الجمعية العراقية:

المجلة التاريخية للتاريخ والآثار، العدد الثالث ، منائر المسجد الحرام، ١٩٧٤م .

٥ــ كلية الشريعة:

مجلة كلية الشريعة، العدد الثالث،المدارس الإسلامية ، السنة الثالثة، ١٣٩٧م .

٦ــ نور الإسلام:

مجلة نور الإسلام ، العدد الثامن ، الحسبة.

قــائمة المحتويات